الموقف الأدبي



220





مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

220

العدد 6 السنة 37 نيسان 1990

فهرست

■ موقفنا :

■ وثائق

■ آراء ومناقشات نحو المؤتمر الخامس لحزبنا

■ عالم راهن

■ ادب وفن

الغلافان الأول والأخير للفنان جبر علوان



بيان الحزب الشيوعي العراقي في الذكرى ٥٦ لتأسيسه

فلنشدد النضال من أجل الخلاص من الدكتاتورية وتحقيق البديل الديمقراطي!

ياأبناء شعبنا العظيم
ايها العمال والفلاحون والطلبة والمثقفون، والعسكريون الشرفاء، والكسبة والحرفيون والتجار الوطنيون عرباً وكرداً وأقليات قومية.

يستقبل حزبنا في الحادي والثلاثين من هذا الشهر الذكرى السادسة والخمسين لتأسيسه. ويغتنم هذه المناسبة النضالية المجيدة ليتوجه اليكم، حيثما كنتم في أرجاء وطننا المعذب، مجدداً العهد على مواصلة النضال من أجل الاهداف النبيلة، في الديمقراطية والازدهار الاقتصادي والعدالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي والسلام.

فلقد انبثق حزبنا كحركة سياسية مقدامة من صميم حركة شعبنا الوطنية الثورية وحركة طبقتنا العاملة الفتية، يتبنى الفكر الاشتراكي العلمي ويسترشد بالماركسية اللينينية، ليناضل من أجل:

- الاستقلال والسيادة الوطنية، لتخليص الوطن من السيطرة الامبريالية ومعاهداتها الجائرة، واجلاء الجيوش الاستعمارية.
- تحرير ثرواتنا الوطنية وفي مقدمتها النفط.
- القضاء على النظام الاقطاعي وتوزيع الأراضي على الفلاحين.
- حقوق العمال وحرياتهم النقابية.

ـ الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب واحزابها الوطنية والحقوق القومية للشعب الكردي والحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية.

ـ نصرة الشعوب العربية المناضلة من أجل التحرر والديمقراطية والوحدة، ومساندة نضال الشعب العربي الفلسطيني ضد الامبريالية والصهيونية.

ـ دحر الفاشية وحماية السلم وأمن الشعوب.

وأثبت الشيوعيون العراقيون، جيلاً بعد جيل، انهم اوفياء للشعب، مخلصون للوطن، فتصدروا مظاهرات الجماهير واضرابات العمال والطلبة وانتفاضات الفلاحين ووثبات الشعب، وقدموا التضحيات الغالية، وصعد قادتهم الاماجد ورفاقهم الابطال اعواد المشانق واستشهدوا في ساحات النضال الوطني والطبقي والقومي وتحملوا عذابات السجون والمنافي من أجل انتصار قضية الشعب العادلة.

وكان الشيوعيون، دوماً، في طليعة الساعين لوحدة الصف الوطني، وقوة أساسية في كل التحالفات الوطنية التي توجت بجبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧، والتي كانت القاعدة السياسية لانتصار ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة عام ١٩٥٨.

ومنذ الرابع عشر من تموز الأغر، والشيوعيون العراقيون يناضلون من أجل الديمقراطية للشعب، والسلم والحكم الذاتي في كردستان العراق ومن أجل الاصلاح الزراعي الجذري وحقوق العمال وحرياتهم النقابية ورفع مستوى الجماهير الواسعة المعيشي والثقافي. ودفعوا ثمن مواقفهم النضالية الصلبة، إلى جانب اخوانهم المناضلين من الاحزاب والقوى الوطنية الأخرى، ألوفاً بل عشرات الوف الشهداء والسجناء والمعتقلين والمنفيين على ايدي الحكومات الدكتاتورية المتعاقبة واجهزة قمعها الهمجية، وخصوصاً على ايدي الحكام الدكتاتوريين الحاليين.

ياأبناء شعبنا المناضل

ان الشيوعيين العراقيين اذ يستعرضون، في هذه الذكرى المجيدة، الصفحات المشرقة من تاريخهم النضالي في خدمة الشعب، واسهامهم الفعّال في كل النضالات التي خاضها شعبنا، فانهم لا يقومون بهذا من أجل التذكير بما تعرفه الجماهير، وبما عاشته وتعيشه اليوم مع ابنائها الشيوعيين افراحاً واتراحاً، بل من أجل ان يستمدوا العبرة من الماضي، بنجاحاته واخفاقاته، ويستفيدوا من تجربته الغنية، ويستلهموا المزيد من العزم على مواصلة النضال، وتجديد حزبهم وتسديد مساره وتقريب يوم الخلاص من الدكتاتورية الغاشمة وتحقيق البديل الديمقراطي وبناء العراق الديمقراطي المزدهر.

لقد عانى شعبنا الكثير من المآسي والكوارث جراء الحرمان من الديمقراطية وتسلط الطغم الرجعية والدكتاتورية. وأكبر هذه الكوارث هي الحرب التي اشعلها صدام حسين،

منذ ما يقرب من عشر سنوات، وتوقف القتال فيها منذ حوالي السنتين، ولكن عواقبها لم تنته حتى الآن، وما زالت تلقي بثقلها المرهق على شعبنا، حرماناً من الحريات وارهاباً دموياً غاشماً، ودماراً اقتصادياً وغلاءاً فاحشاً، وتشوهاً اجتماعياً واخلاقياً فظيعاً، وحرباً شوفينية بشعة ضد الشعب الكردي وتهجيراً لمئات الالوف من ابناء الوطن، ومواصلة للنزعة العسكرية التي تسبرق من افواه الشعب المليارات بعدالمليارات.

ولذا فان انتزاع الديمقراطية لجماهير الشعب، ووقف الحرب الشوفينية الظالمة ضد الشعب الكردي وتمكينه من ممارسة الحكم الذاتي الحقيقي، وتحويل وقف اطلاق النار بين العراق وايران إلى سلم وطيد بين البلدين الجارين عن طريق تثبيت الخيار السلمي وتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ تحتل رأس قائمة الاهداف التي يناضل الشيوعيون العراقيون من أجلها.

ان حزبنا يناضل من أجل الخلاص من الدكتاتورية، وتصفية مخلفاتها واقامة دولة القانون عن طريق:

- انهاء الاوضاع الاستثنائية.
- اطلاق الحريات الديمقراطية للشعب: حرية التنظيم الحزبي والنقابي والنشر والصحافة والتعبير عن الرأي والتظاهر واقامة الاجتماعات والاضراب، واحترام العقائد السياسية والدينية.
- الغاء جميع القوانين المنافية للديمقراطية، وفي مقدمتها قانون الحزب القائد والدستور المؤقت الذي يكرس سلطات مجلس قيادة الثورة اللاشرعية، و«المجلس الوطني» المزيف، والغاء هذين المجلسين.
- الغاء جميع المؤسسات والاجهزة القمعية المتمرسة بمحاربة الشعب: الأمن العامة والمخابرات والجيش الشعبي وغيرها ومحاسبة مسؤوليها واستبدالها بمؤسسات تصون أمن الوطن وكرامة المواطن وتخضع لرقابة الشعب عبر ممثليه المنتخبين بحرية.
- الغاء قرارات التهجير، والسماح بعودة جميع المهجرين العراقيين، وضمان حقوقهم العادلة وتعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم.
- تصفية سياسة «التبعيث» القسري والتمييز القومي والديني والطائفي والنزعات العنصرية الشوفينية.
- تطهير اجهزة الدولة ومؤسساتها العامة، وخاصة القوات المسلحة، من العناصر الرجعية والفاشية المعادية للشعب.
- اصدار عفو عام شامل عن المواطنين المسجونين والمعتقلين والمطاردين السياسيين كافة واعادة جميع المفصولين الوطنيين، المدنيين والعسكريين إلى أعمالهم

وكلياتهم ومدارسهم وتعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم.

ـ اعادة توطين المشردين والمهجرين من ابناء الشعب الكردي وتمكينهم من الاستقرار والعمل في مدنهم وقراهم، وتعويضهم عن الخسائر التي لحقت به، واعمار المدن والقرى المخربة والغاء المناطق المحرمة « «الحزام الأمني».

ـ سن قانون ديمقراطي لانتخاب مجلس تأسيسي للبلاد يشرع دستوراً ديمقراطياً، ويثبت الأسس القانونية لحياة ديمقراطية راسخة كاسلوب في الحكم (مؤسسات مركزية ومحلية، ولأقليم كردستان) وكحريات عامة للجماهير الشعبية واحزابها وقواها السياسية ومنظماتها الاجتماعية.

ـ اجراء انتخابات المجلس الوطني في جو من الحرية الحقيقية، وعلى أساس حق الانتخاب العام والمتساوي والمباشر لكل من بلغ الثامنة عشرة من عمره من الذكور والاناث، وبالاقتراع السري لتمكين الشعب من التعبير عن ارادته الحرة وانتخاب ممثليه إلى السلطة التشريعية.

ـ انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه ومجلس الوزراء والمحكمة العليا والمدعي العام من قبل المجلس الوطني، الذي له حق اقالتهم أيضاً.

ـ اجراء انتخابات ديمقراطية للمجلس التشريعي لأقليم كردستان ذي الحكم الذاتي على نفس أسس الانتخابات الديمقراطية العامة.

ـ اجراء انتخابات ديمقراطية لمجالس امانة العاصمة والبلديات وهيئات الحكم المحلي ورؤسائها من قبل سكان الوحدة البلدية والادارية المعنية.

ياأبناء شعبنا المناضل

هذا هو الطريق الحقيقي لأقامة دولة القانون والحريات الديمقراطية وليس ما يدعيه الحكام من مزاعم، وما يتخذونه من اجراءات مزيفة كقرارات «العفو» المثقلة بالاشتراطات المخلة، والخالية من أية ضمانات تمنع الملاحقة والتنكيل بالمواطنين، وما يعلنون من نوايا لاقامة «تعددية» حزبية لا تسمح بغير اقامة «احزاب» على شاكلة حزبهم الحاكم، ومن دستور يكرس دكتاتوريتهم لعشرين سنة قادمة على الأقل!

ولن تتحقق دولة القانون والحريات الديمقراطية كهبة من الحكام الدكتاتوريين، بل تتحقق عن طريق تعبئة كل قوى الشعب الحية، المعادية للدكتاتورية، في جبهة وطنية عريضة، وبالتعاون مع كل القوى التي تتعرض لعسف الدكتاتورية وارهابها بما فيها قوى داخل الحزب الحاكم نفسه.

فلنشدد النضال من أجل تعبئة كل قوى الشعب من أجل الخلاص من الدكتاتورية، وتحقيق البديل الديمقراطي وبناء دولة القانون والحريات الديمقراطية وضمان الحقوق

القومية للشعب الكردي في العراق وفي مقدمتها الحكم الذاتي الحقيقي، واعادة العراق إلى الصف العربي التحرري المعادي للامبريالية والصهيونية، والمناضل من أجل السلم العالمي وحماية الحياة على الأرض.

تحية لكل رفاقنا واصدقائنا الابطال الصامدين بوجه الدكتاتورية وارهابها الدموي في السجون والمعتقلات وفي كل ربوع وطننا الحبيب.

تحية لانصارنا البواسل.

تحية لرفاقنا واصدقائنا المشردين والمهجرين والمغتربين قسراً في كل الاقطار.

تحية لشعبنا العراقي المناضل، عرباً واكراداً واقليات.

ومجداً لشهدائه الابرار.

وعهداً على مواصلة النضال حتى تتحقق اهدافه في بناء عراق ديمقراطي مزدهر.

اواسط آذار/ ١٩٩٠



بلاغ

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي اجتماعاً اعتيادياً كاملاً في آذار ١٩٩٠، ابتدأته بالوقوف دقيقة صمت تمجيداً لشهداء الحزب والحركة الوطنية العراقية.

وحيا الاجتماع الذكرى السادسة والخمسين لتأسيس حزبنا ومناضليه البواسل وانصاره الشجعان وكل الاحزاب والقوى الوطنية المناضلة من أجل «الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق».

ناقش الاجتماع مشروع الموضوعات السياسية والفكرية والبرنامجية والتنظيمية التي اعدها م. س، المعنونة «في سبيل استنهاض قوى الشعب لتحقيق السلم والبديل الديمقراطي» في إطار عمليات التجديد الجارية في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، واعادة البناء (البريسترويكا) في الاتحاد السوفييتي، والتطورات العاصفة التي تشهدها بلدان اوربا الشرقية، والتفكير السياسي الجديد الذي يتغلغل في الحياة الدولية.

وقرر الاجتماع طرح المشروع، بعد اجراء التعديلات عليه واقراره، على المناقشة الحزبية العامة، في جميع منظمات الحزب.

لقد استلهمت المناقشات الخصائص الوطنية العراقية وتجربة الحزب التاريخية، وظروفه النضالية الراهنة، كاساس للتفاعل مع هذه التغيرات ولتقييم عملياتها، بجوانبها الايجابية والسلبية، وانعكاساتها على حزبنا، وعلى الحركة الوطنية، وعلى الاوضاع في البلدان العربية والعالم.

وانطلقت اللجنة المركزية في بحثها مختلف جوانب حياة الحزب وسياسته من الضرورة الموضوعية والحاجة الذاتية الملحة لتجديد الحزب، على أساس اشاعة الديمقراطية فيه، وتدقيق وتصويب سياسته وتوجهاته البرنامجية والتنظيمية، والارتقاء بمستواه الفكري واساليبه الكفاحية، بما يساعد على خلق افضل الظروف والامكانيات لتعبئة قوى الشعب واستنهاضها لتحقيق السلم والبديل الديمقراطي.

وفي معرض تحليل الاوضاع العربية والدولية، توقفت اللجنة المركزية أمام الخطوات الهامة التي تحققت في عدد من البلدان العربية باتجاه اطلاق الحريات الديمقراطية والتعددية الحزبية، وأكدت تضامنها مع الاحزاب الشقيقة والقوى الوطنية في هذه البلدان، ودعمها لجهودها من أجل ترسيخ الحياة الديمقراطية وتعميقها.

وأعربت اللجنة المركزية عن تضامنها الحار مع الشعب العربي الفلسطيني المناضل وانتفاضته الباسلة في دولة فلسطين المحتلة، وعن ادانتها لجرائم الصهاينة المحتلين والدعم الذي يلقونه من الامبرياليين الامريكان.

وحيت نضال الشعب اللبناني ومقاومته الوطنية الباسلة ضد الاحتلال الصهيوني للجنوب ومن أجل انهاء تمرد ميشيل عون، وضمان وحدة لبنان وعروبته وديمقراطيته. وشجبت موقف حكام بغداد الداعم لهذا التمرد.

وادانت اللجنة المركزية التحرشات الامريكية بالجماهيرية الليبية، واعربت عن تضامنها مع الشعب الليبي.

وحيت مواقف سوريا المعادية للامبريالية والصهيونية.

وتوقفت اللجنة المركزية عند الانقلاب العسكري الرجعي في السودان، وطالبت بوقف الانتهاكات الفظة للحقوق والحريات الديمقراطية وباطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين.

وفي الوقت الذي عبرت فيه اللجنة المركزية . عن تعاطفها مع الاحزاب الشقيقة في بلدان اوربا الشرقية وحلفائها من القوى الديمقراطية، في النضال لصيانة ما تحقق من منجزات في عملية البناء الاشتراكي والتغلب على الثغرات والاخطاء التي تفشت فيها وتجديد ذاتها، أكدت اللجنة المركزية حرصها على مواصلة التعاون والعمل المشترك معها، ومع الاحزاب والقوى الحريصة على ارساء الاوضاع على الاسس الديمقراطية وحقوق الانسان ودولة القانون والقيم الانسانية.

وأشار الاجتماع إلى اهمية الاستفادة من رياح التغيير التي تهب على العالم باسره، والأخذ بنظر الاعتبار عناصرها الايجابية، في توطيد السلم والبدء بتصفية الاسلحة النووية، وحل النزاعات بالطرق السلمية، وتصفية انظمة الاستبداد والعسف، لتطوير

نضالات الحزب والقوى الوطنية في بلادنا وتشديد الحصار على الدكتاتورية، وانهاء حالة الحرب مع ايران بتطبيق قرار مجلس الامن المرقم ٥٩٨، وتثبيت خيار السلم وحل الخلافات بالطرق السلمية بين البلدين ووقف الارهاب الدموي ضد شعبنا العراقي وقواه واحزابه الوطنية، والحرب الشوفينية ضد الشعب الكردي، وتحقيق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان.

ان اللجنة المركزية اذ تطرح موضوعاتها التجديدية على عموم الحزب، تعبر عن ثقتها بتحقيق نقلة نوعية على صعيد اشاعة الديمقراطية، وتنشيط صراع الآراء على اسس مبدأية والاسهام الفعال في انعاش الحياة الحزبية فكرياً وسياسياً، ونقلها إلى مستويات أكثر كفاءة وقدرة على النهوض بمسؤوليات الحزب الوطنية والقومية والأممية.

وترى اللجنة المركزية ان من شأن اشراك رفاق الحزب واصدقائه في عملية تجديده بالاسترشاد والاستفادة من التطورات العالمية، دون تماثل مخل أو افتعال التمايز، وتحسين ادوات الحزب وتعزيز طاقاته للاسهام بقسطه، في تعزيز نضال شعبنا، ان من شأن هذا تجاوز الصعوبات التي تعاني منها الحركة الوطنية العراقية، والوصول إلى اطر العمل المشترك الكفيلة باستنهاض قواها، وتنشيط دورها السياسي لتحقيق البديل الديمقراطي الذي ينشده شعبنا المناضل.

اللجنة المركزية
للحزب الشيوعي العراقي
أواخر آذار/ ١٩٩٠



في سبيل:
استنهاض قوى الشعب لتحقيق السلم والبديل الديمقراطي

مضى عام على إنعقاد الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب اوائل آذار ١٩٨٩، ولا تزال الاتجاهات العامة لتحليلاته والمهام التي اقرها، تشكل منطلقات سليمة وحيوية لاستيعاب ما استجد داخلياً وعربياً ودولياً، واجراء نقلة نوعية في كل جوانب حياة ونشاط وتوجهات الحزب واساليب عمله، مما يجعل من فهم هذا الجديد والتفاعل معه قوة اضافية في الكفاح لاختراق جدار الدكتاتورية، وتعبئة كل القوى لتحقيق البديل الديمقراطي.

ورغم سعي النظام وقادته للاستفادة من الاوضاع الجديدة، فان الطابع العميق لمجمل التغيرات التي نتجت عن التطورات العالمية، يسهم في تشديد الحصار على الدكتاتورية نفسها، سياسياً وفكرياً، ويضعف مقومات وجودها واستمرارها من الجذور.

ان حزبنا يجتاز ظروفاً تتميز ببالغ الصعوبة والتعقيد، ويتصدى لحل مهام واسعة ومتشعبة تغطي مرحلة تاريخية طويلة قبل ولوج طريق الاشتراكية. وهو يحتاج لكي يرتقي إلى مستوى هذه المهام والتحديات الكبرى التي تطرحها المرحلة النضالية المتطورة، إلى مراجعة انتقادية شاملة وعميقة تتناول ميادين حياته ونشاطه وتوجهاته البرنامجية، وشعاراته واساليب عمله، وتستهدف تدقيقها وتصويبها، واغناءها وجعلها أقرب إلى تطلعات اعضائه وجماهيره، وأكثر تحسساً واستجابة لنبض الحياة وروح العصر.

وهو اذ يؤكد تصميمه على مقارعة الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي ، يمتلك من الجرأة والشجاعة ما يؤهله لمعاينة الاتجاهات الجديدة الناشئة في البلاد وترابطاتها العربية والدولية وانعكاساتها على نهجه السياسي ، واساليب عمله ، مما يتطلب تقييماً نقدياً وشاملاً . وهو واثق ان ذلك من شأنه بلورة المنطلقات الواقعية الفعالة لوثوبه إلى الامام ، باستشراف آفاق المستقبل الذي لن يكون إلا ديمقراطياً .

ان اقرار حزبنا بالظروف الموضوعية التاريخية لعملية التجديد وطابعها الشمولي الخلاق ، ينطوي على وعي المخاطر التي تحيط بها وتلازمها ، وتناقضاتها ، والعوامل التي تتحكم بمجراها ، وتكبحها أو تغير وجهة جريانها ، مما يستلزم التأكيد على قيم الاشتراكية وافضلياتها ، والاسترشاد بالروح المبدعة والاسلوب الجدلي لمؤسسي الماركسية اللينينية ، . وتطويرهما و اغنائهما باستمرار بمنجزات العلم وخبرة الحياة والحركة الثورية اذ لا يمكن تطوير مفاهيمنا حول الاشتراكية ، وكامل المنظومة السياسية والفكرية والتنظيمية المرتبطة بها ، إلا بهذا الاسترشاد بالعلم الماركسي ومضمونه الجدلي .

وفي هذا الاطار شرع المكتب السياسي للحزب منذ دورته في ايلول ١٩٨٩ باعادة تقييم وضع الحزب وحياته الداخلية على ارضية اشاعة اوسع لديمقراطية فيها بما يرفع دور الشيوعيين في رسم سياسة الحزب وابداعهم في تطبيقها ، وقدرتهم على تقويمها وتصويبها ، وتعديل مسارها ، ومتابعة عمل قيادة الحزب وانتخابها ، وحجب الثقة عنها عند الضرورة ، وتجديدها باستمرار .

وقد عمم المكتب السياسي خلاصة مناقشاته الاولية حول القضايا البرنامجية والسياسية وحياة الحزب الداخلية في مجرى عملية التجديد التي يستهدفها ، تمهيداً لعقد المؤتمر الوطني الخامس للحزب .

وعلى الرغم من انعكاس موقف الحزب ازاء عملية التجديد الجارية في الاتحاد السوفييتي ، بوجه عام ، في تقريري الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية أيار ١٩٨٨ وآذار ١٩٨٩ ، ومعالجات المكتب السياسي منذ الاجتماع الأخير ، فان الواقع الذي آلت اليه الاوضاع في بلدان اوربا الشرقية (الاشتراكية) والاشواط التي قطعتها البريسترويكا (اعادة البناء) في الاتحاد السوفييتي ، على مختلف الصعد والميادين ، جعلت من الضروري تجاوز العموميات ، والانتقال إلى التحديدات الملموسة لمفاهيم التجديد ، خصوصاً فيما يتعلق بتفاعل الحزب مع جوهرها واستنتاجاتها الجديدة ، والأخذ بنظر الاعتبار تأثيراتها المباشرة على الوضع في العراق ، ومحيطه العربي والاقليمي .

ومن هذا المنطلق قدم المكتب السياسي إلى ل . م طائفة من القضايا والتساؤلات الفكرية والسياسية والتنظيمية للنقاش ، وتبادل الرأي ، استكمالاً للمنطلقات التي وردت في

تعميمه اواخر ايلول ١٩٨٩، نوقشت في اجتماع ل. م الاعتيادي الكامل، واقرتها ل. م بعد ان اجرت عليها جملة من التعديلات، وقررت طرحها للمناقشة الحزبية العامة.

أولاً:

العالم يتغير....

أدت التطورات المتسارعة في البلدان الاشتراكية، التي حفزتها البريسترويكا، إلى نشوء وضع نوعي جديد، شديد التعقيد والتشابك والتناقض في الحركة الشيوعية وفي العالم بأسره.

ورغم الطابع المتناقض للعمليات الجارية، من حيث مضامينها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وابعادها الايديولوجية، وميادين تجليها، فان جوهرها الديمقراطي، المناهض لكل أشكال العسف والتسلط، وانتهاك حقوق الانسان ومصادر ابداعه، يكسبها قوة المثل، ويحولها إلى طاقة تغييرية، واداة ثورية للنضال ضد الدكتاتورية والطغيان.

فالقيم الديمقراطية والانسانية العامة اكتسبت ابعادها الشعبية الواسعة على الصعيد العالمي بفضل المبادرة التجديدية التي اطلقها الحزب الشيوعي السوفييتي لاظهار الجوهر الديمقراطي الانساني العميق للاشتراكية الذي شوهته وطمسته الممارسات الستالينية الاستبدادية، الامرية، العقائدية الجامدة، وعبادة الفرد، ومراحل الركود.

وفي هذه العملية التي تنطوي على مراجعة نقدية عميقة في النظرية والتطبيق تتجسد الجرأة وروح الاقدام والاستعداد لتحمل المسؤولية عن الاخطاء والاخفاقات ومواصلة العمل للخروج من الازمة بالاعتماد على طاقات الشعب المبدعة وروحه الخلاقة، وارادته الحرة.

وكان لابد لهذه التطورات، واتجاهها العام، وما رافقها من مناخ سياسي وفكري، ان تنعكس على الاوضاع الملموسة لكل حزب، وبلد، وفي سائر الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية، وتتفاعل معها.

وقد نشأ مثل هذا الوضع على صعيد حزبنا وبلادنا وحركتنا الوطنية بمجموعها، وان لم تتوضح معالمه بعد، بالعمق الذي يساعد على تحديد ابعاده، ومظاهره البارزة، وتأثيراته اللاحقة.

وتزامنت هذه التحولات مع الاوضاع التي تكونت بعد ايقاف القتال في الحرب العراقية ـ الايرانية، وانفراد السلطة بالحركة الوطنية، وتفريغها مناطق كردستان من حركة الانصار بقوة الاسلحة الكيمياوية، التي استخدمتها، والارهاب الشامل الذي يسود البلاد كلها.

ان الاوضاع الناشئة عن عمليات التجديد، وانعكاساتها في اوربا الشرقية، تتسم بطابع مصيري، ومجرى انعطافي حاد في سائر الميادين لم يسبق له مثيل في حركتنا الشيوعية، ومسيرة البناء الاشتراكي، منذ انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى.

ومع ان التطورات العاصفة التي حدثت في هذه البلدان لم تهدأ بعد، ويشتد التناقض والصراع بين قواها المكونة وتختلط الاوراق والمفاهيم والشعارات في مجراها المحتدم، إلا ان ما هو اساسي فيها، حتى الآن، يؤشر إلى نشوء توازن هش للقوى لا يبدو انه يتحرك لصالح الاحزاب الشيوعية، في المدى القريب، واحياناً كثيرة، حتى لغير صالح القوى المناضلة لمواصلة مسيرة البناء الاشتراكي، وتجديده، وازالة كل ما علق به من تشويهات ونواقص، وانتهاكات فظة جراء النهج الستاليني والركود.

وينجم عن هذا الوضع كله مراجعة انتقادية شاملة لكل المبادىء والمسلمات والمفاهيم، بما في ذلك مفهوم الاشتراكية نفسها، وسبل بنائها، وشروطها، وبنية الحزب الشيوعي، ونظريته، ودوره، واولويات اهداف الانسانية، ومفاهيم الديمقراطية الاشتراكية، والتعددية في المجتمع والحزب، وبكلمة موجزة، كل القضايا الايديولوجية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية التي كانت تشكل نسيج حركتنا الشيوعية والحزب بالمفهوم اللينيني.

ومن باب أولى، فان هذه المراجعة النظرية ـ العملية الشمولية تطال التوجهات البرنامجية للاحزاب الشيوعية والعمالية في بلداننا العربية، في إطار ما يماثلها من البلدان النامية في العالم الثالث. ويشمل هذا طبيعة المرحلة، وقواها المحركة، وتحالفاتها، واهدافها، وحدّي برنامجها، الأدنى، وأفقه الستراتيجي، وكذلك اساليب ووسائل الكفاح المعتمدة في كل مرحلة.

ولابد ان نقر بجرأة ان مصائر حركتنا، باشكالها واساليبها وآلياتها الراهنة كلها، مطروحة للنقاش في هذا الاطار النظري والعملي، مما يتطلب اسهاماً فكرياً وسياسياً جريئاً ونشيطاً لانتشالها من الازمة التي تعاني منها، وتجديدها، واستنهاض قواها بالاستناد إلى منجزات العلم وخبرة الحياة والحركة الثورية وبالاسترشاد بالماركسية اللينينية.

ان العالم يتغير من حولنا، مستثيراً الآمال والمخاوف، ومفتتحاً الطريق دونما مسلمات أو ضوابط على كل الاحتمالات، بما في ذلك الانكفاء المؤقت، وتعذر احتواء

نتـائج الازمة المتفاقمة في (البلدان الاشتراكية) وانعكاساتها السلبية على مصائر حركتنا ومسيرتها التاريخية، على المدى المنظور.

فالتحولات العاصفة هزت بلدان اوربا الشرقية والبنى القائمة فيها، واطلقت القوى الاجتماعية، على اختلاف تياراتها ونوازعها، واصولها الطبقية، متسلحة باساليب وافكار وشعارات غير مألوفة، وهي تتدافع في مجرى واحد شديد التناقض، لتعصف بما هو قائم، دون تمييز، لصالح بديل غير واضح المعالم، تتنازعه شتى الاهواء والاهداف والمصالح، والقوى، مما يطرح على بساط البحث، عملياً، مصائر هذه البلدان.

والأمـر الـواقـع، المرير، الذي يتشكل اليوم على خلفية هذه الاحداث، هو ان «المنظومة الاشتراكية» وما يرافقها من مفاهيم واطر وعلاقات، اقصيت عنها عملياً غالبية بلدان اوربـا الشرقية، بعد ان انتقلت السلطة فيها إلى احزاب ليست اشتراكية على أية حال، أو انهـا، في افضـل نماذجها، احزاب اشتراكية ديمقراطية، ويجري التوجه فيها لاتخاذ تدابير ذات طابع بنيوي، وبالعودة إلى آلية السوق الرأسمالية وعلاقاتها.

وفي مثل هذه الاجواء يكون الانغلاق، أو مقاومة التجديد، أو التخلف عن المبادرة بالغ الخطورة، ومحكوماً بالفشل واحتمالات السقوط في متاهات فكرية وسياسية.

وقـد أدت الاوهـام والتصـرفـات الكيفية السـاذجـة لـ «صد» رياح التجديد، إلى تداعيات وهـزائم سياسية، تاريخية، حتى في (بلدان اشتـراكية) مدججة بالقوة والخبرة والكثير من المنجزات.

وقـد شرع العـديد من الاحـزاب، محكومة بظروفها الخاصة، في تقييم تاريخها ومواقعها الفكرية والسياسية، واطرها التنظيمية، ومآلها كجزء من الحركة الشيوعية.

ثانياً:

مفهوم التجديد ومحاوره الاساسية....

تجاوزت عملية التجـديد واعـادة البنـاء (البـريستـرويكا) في الاتحاد السوفييتي منطلقاتها الاولية، وتحولت، عبر خطوات متدرجة، إلى مراجعة نوعية، جذرية وحاسمة. ومع انتقال رياحها إلى البلدان الاشتراكية في اوربا الشرقية، اكتسبت في عدد من هذه البلدان مضموناً آخر تماماً وشكلت خروجاً عن سياق التجديد بمفهومه الاشتراكي الذي انـطلق من شعـار «مزيد من الديمقراطية مزيد من الاشتراكية»، فتوجهت للانقطاع عن

الماضي (كنظام اجتماعي ـ اقتصادي اشتراكي) وليس كنموذج شوهته عهود عبادة الفرد، والركود.

وهكـذا ينبغي التمييز بين عمليات التجديد، من حيث منطلقاتها الاساسية (الاشتراكية) التي دشنها اجتماع نيسان ١٩٨٥ للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي، وطورها المؤتمر السابع والعشرون للحزب، وعمقها الكونفرنس الحزبي التاسع عشر في تموز ١٩٨٨، واتخذت ابعادها الشمولية الواسعة فيما بعد، وهي لا تزال تتحرك باتجاهات متعددة ومتناقضة، وبين انعكاساتها في بلدان اوربا الشرقية التي تتخذ لها مساراً آخر (خارج الاشتراكية)، أو خارج المفهوم السائد للاشتراكية. وهي في بعض الاحوال تعبر عن رفضها للشيوعية ولاحزابها وقيمها ومفاهيمها، وتسعى لدفع هذه الاحزاب إلى هامش الحياة السياسية، وبعيداً عن مركز القرار السياسي الحاسم.

كما ان مفاهيم التجديد: (البريسترويكا) والعلنية (الغلاسنوست)، والتفكير السياسي الجديد، قد اكتسبت ابعاداً أعمق وأوسع في الحزب الشيوعي السوفييتي نفسه.

فبينما بوشر في بلدان اوربا الشرقية (بولونيا، هنغاريا، جيكوسلوفاكيا، المانيا الديمقراطية، رومانيا) بالتوجه، أو اعلان النية للتوجه، بعيداً عن الخيار الاشتراكي، يستمر الصراع في الحزب الشيوعي السوفييتي بين مختلف الاجنحة في الحزب، وتتفجر التناقضات داخل المجتمع بين مختلف القوى السياسية والاجتماعية المتضاربة حول مضمون مفهوم التجديد والاصلاح والعلنية.

ومع ذلك فان الكثير من المفاهيم والتصورات والتوجهات قد حسمت وتشق طريقها إلى وعي الناس، وتتحول إلى قوانين ومراسيم دستورية.

هناك بدايات أولية لصياغة مفهوم جديد عن الاشتراكية يجمع مفهوم ماركس ولينين مقروناً بالخبرة العملية والعلمية العالمية المعاصرة، باعتبار الاشتراكية جزءاً عضوياً من الحضارة العالمية المعاصرة. وينطلق هذا المفهوم من الاعتراف باولوية القيم الانسانية العامة. ويقر بأن العالم المعاصر المتناقض انما هو وحدة مترابطة الاجزاء، وهذا «الترابط في نمو» مستمر، والانسان وتطوره الشامل، ذهنياً واخلاقياً وبدنياً، هدف الاشتراكية ومحورها.

وفي هذا السياق تجري العودة لمؤسسي الماركسية لتحطيم البنى الفكرية التبريرية الدوغمائية الملازمة للبنى القديمة، وتنقية النظرية من الوظيفة الايديولوجية الاعلامية المحرفة التي أسندت اليها لتبرير الاخطاء والاوهام والتشويهات.

ويجري على الصعيد الاقتصادي تغيير علاقات الملكية (ديمقراطية المنتجين في المؤسسات العامة واشكال المقاولة والتأجير والملكية الخاصة)، والاعتراف بضرورة

العـلاقـات السلعية ـ النقدية، واقامة علاقات انتاج تزيل اغتراب المنتج وانفصاله عن وسائل الانتـاج، والانتقـال إلى ايجـاد آلية سوق جديدة ترتبط بالتخـطيط وتعـزيز روح المنافسة والمبادرة، واجتثاث نزعة الاحتكار والفئوية والانانية التي تأصلت في المؤسسات، واعادة الاعتبار للفهم اللينيني لدور التعاونيات في عملية البناء الاشتراكي، ونشر وتطوير مختلف اشكال تنظيم الانتاج الجماعي. ويشتد الصراع في هذا الاطار حول أسس آلية السوق ومدياتها.

ان تغيير نظرتنا باسرها إلى الاشتراكية يتطلب، وفقاً لمنظري البريسترويكا، ادراك الاتجاه الذي فكر فيه لينين، قبيل وفاته، كمحور لهذا التغيير، حيث انتهى إلى وضع التصورات والمنطلقات الاولية لهذا التغيير.

ويتحقق التحول النوعي العميق في مجال الاصلاح السياسي، الذي شمل الدولة والمجتمـع والحـزب، ولا تزال تفـاعلاته تترك آثارها في سائر مجالات الحياة السياسية والاقتصـادية والاجتمـاعية والايديولـوجية، ويشتـد الصراع حول مضامين هذا الاصلاح ووجهة تطوره.

وتعـاد صياغـة وتطوير المفهوم اللينيني للعلاقات بين القوميات. ويلقى الانبعاث القـومي التحفيز والتشجيع من سياسة التجديد، وتوضع اسس دستورية جديدة للاتحاد تتمتع بموجبها الجمهوريات باوسع الصلاحيات والحقوق.

وفي هذا الميدان الخطر من ميادين الاصلاح السياسي، وبسبب من اخطاء الماضي صارت تتفجـر صراعات قومية دامية، وتتصاعد المطالب الانفصالية، وتنتعش الشوفينية والتعصب القومي الاعمى. ويتجسد الاتجاه العام للتطور، في هذا الميدان، في نهوض الشعوب والقوميات، واستيقاظها من سبات الركود، حيث تبقى الابواب مشرعة على كل الاحتمالات.

وتـرتبط هذه التغييرات البنيوية بالحزب مباشرة، بدوره وعلاقاته وحياته الداخلية، وتوجهاته البرنامجية، ومكانته في المجتمع والدولة.

ان التفكير السياسي الجديد، الذي يعكس نهج البريسترويكا في ميدان العلاقات الدولية، أرسى اسس تغييرات ايجابية. وجعل من الممكن تعزيز الميل العالمي للانتقال من المجابهة العسكرية، والتوتر، وسباق التسلح، إلى التعاون و«المصالحة» ونزع السلاح واخمـاد بؤر التـوتر، وتوازن المصـالح، لتجنب الكارثة النووية، وتغليب القيم الانسانية العـامـة، وحقـوق الانسان والديمقراطية والاهتمام بالبيئة وتصفية المديونية، ودعم حق الشعـوب في اختيار طريق تطورهـا المستقـل. وفي مقـابـل ثنـائية السوق الرأسمالي ـ الاشتراكي تطرح وحدانية السوق العالمي، والتوجه نحو البيت الاوربي المشترك.

وكما اثارت البريسترويكا الآمال والمخاوف لدى اصدقاء الاتحاد السوفييتي اثارت لدى خصومه آمالاً ومخاوف من نوع آخر، ومنطلقات أخرى.

فالدوائر الامبريالية الرجعية في الغرب والصهيونية العالمية، التي وقفت منذ ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، ضد الثورة، وضد توجهاتها لبناء عالم جديد تتحرر فيه الشعوب من نير الاضطهاد القومي والاستغلال الطبقي، وتعيش في ظل السلم والطمأنينة والتقدم، لجأت هذه الدوائر، إلى التدخل العسكري والحصار الاقتصادي والمؤامرات الدنيئة وصولاً إلى العدوان الفاشي الغادر أيام الحرب العالمية الثانية، وشن الحرب الباردة وسباق التسلح والتهديد النووي بعدها.

ان هذه الدوائر لم تقف مكتوفة الايدي تجاه عملية البريسترويكا بل سعت وتسعى لاحباطها وحرفها عن مسارها الصحيح وافراغها من جوهرها المتمثل بتخليص الاشتراكية من التشويهات التي لحقت بها، وابراز وجهها الانساني. وعملت على الاستفادة من الاجواء التي اتاحتها البريسترويكا، بالذات، لاثارة الصعوبات والمشاكل والنزاعات داخل الاتحاد السوفييتي وسائر دول (المنظومة الاشتراكية) على كل الاصعدة السياسية والاقتصادية والفكرية والعلاقات بين القوميات والدول مستخدمة في ذلك اجهزتها الدعائية الضخمة ومخابراتها وقدراتها الاقتصادية.

ان الآثار المدوية للتغيرات التي اطلقتها البريسترويكا، على كل الاصعدة الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والنفسية، والتناقضات التي تفاقمها، لا تزال، بحكم استمرارها، وفجائيتها وقوة صدماتها، والكثير من تجلياتها ونتائجها السلبية، خصوصاً على صعيد مصائر اوربا الشرقية، تثير التشوش والبلبلة والاحباط على نطاق واسع، ومعها يتسرب القلق إلى اوساط كثيرة في الحركة الثورية مما يدفعها إلى التراجع والتخلي عن مواقعها السياسية والفكرية، وذلك بسبب الطابع المتناقض لهذه العملية.

ولكن منطلقاتها الجوهرية، للارتقاء بالاشتراكية ومثلها وقيمها وفعاليتها، تستثير الآمال أيضاً، حيث تهب رياحها في اتجاه تجديد حركتنا واحزابنا.

ثالثاً:

جوهر التجديد ـ الديمقراطية، التعددية، وحقوق الانسان، ودولة القانون، ادارة المنتجين للانتاج المادي والفكري، تنوع اشكال الملكية، دمج التخطيط بآليات السوق

ان العناصر المذكورة في هذا العنوان هي مكونات واجزاء من كل واحد تنتمي لمجتمع يتوجه لبناء الاشتراكية في طور محدد من تطوره الذاتي ومن تطور محيطه العالمي.

واذ كان المضمون الاقتصادي ـ الاجتماعي لهذا البناء يمس مفهوم الاشتراكية في التطبيق ويتطلب اعادة نظر من وجهة نظرية، فان المضمون الديمقراطي ـ السياسي يمسنا مباشرة مادمنا نواجه مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، أي يمسنا ليس فقط نظرياً، وانما عملياً، وليس فقط عملياً بوجه عام، بل عملياً بصورة آنية ومباشرة. لذلك نركز الحديث على هذا الجانب بالتفصيل، دون الجوانب الأخرى.

لقد استعادت الديمقراطية، بفضل البريسترويكا، مكانتها كقيمة انسانية شمولية. واصبحت رمزاً لكل ما هو تقدمي وثوري، وشرطاً ملازماً لأي تقدم وعدالة، ويستحيل بدونها تحقيق تطلع الانسانية الاشتراكي أو أي مجتمع ينشد تحرر الانسان وسعادته.

ويسود عالمنا اليوم مناخ صحوة ديمقراطية انسانية شاملة. ويستنهض النضال في سبيل الديمقراطية، وحقوق الانسان قوى شعبية لا مرد لارادتها في انحاء مختلفة من العالم، بما في ذلك العديد من البلدان العربية.

ولم تعد الديمقراطية مفهوماً عاماً مجرداً، قابلاً للتجزئة أو التفسير الكيفي، بل اصبحت بنية سياسية ملموسة تجد تعبيراتها في دولة القانون الديمقراطية، والتعددية السياسية والحزبية، والحياة البرلمانية، والانتخابات الحرة المباشرة، وحريات التنظيم والصحافة والاحزاب، وكل ما يلغي اغتراب الانسان عن السلطة في المجتمع المتوجه اشتراكياً، وكل ما يلغي حرية الانسان في المجتمع الرأسمالي.

ورغم الطابع المتناقض لهذا النضال، الذي امتد ليشمل البلدان الاشتراكية كلها، تقريباً، من حيث مضامينه الاجتماعية ـ الاقتصادية، وابعاده الايديولوجية، وميادين تجليه، فان جوهره المناهض لكل أشكال العسف والتسلط وانتهاك حقوق الانسان، يكسبه قوة المثل لكل الشعوب المبتلاة بالدكتاتورية والطغيان.

لقد اكتسبت معارك النضال في سبيل الديمقراطية ابعادها الشعبية الواسعة على

الصعيد العالمي، بفضل المبادرة التجديدية التي اطلقها الحزب الشيوعي السوفييتي، لاظهار الجوهر الديمقراطي الانساني العميق للاشتراكية، التي شوهتها وطمست معالمها الممارسات الاستبدادية، وعبادة الفرد، والجمود العقائدي.

ان التغيرات العاصفة، والتحولات الديمقراطية العميقة، التي شهدها العالم، تعزز، موضوعياً مواقع القوى والشعوب المناضلة في سبيل التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي، وتسهم في تشديد الحصار على انظمة الحكم الدكتاتورية والعنصرية والفاشية، التي تشكل هي نفسها بؤراً للتوتر والانفجارات والعدوان والحروب المحلية والاقليمية، كما في جنوب افريقيا واسرائيل والسلفادور والعراق، وغيرها من انظمة التسلط والقمع ومصادرة الحريات.

ومهما اتخذت هذه الانظمة من اجراءات وتدابير احترازية، فانها لا يمكن ان تبقى بمنأى عن تأثيرات التغيرات والاتجاهات الايجابية التي يشهدها العالم، اذ يترسخ مفهوم ترابط العالم وتزايد الاعتماد المتبادل بين شعوبه.

وقد بانت بواكير هذا التأثير، الذي تفاعل مع العوامل الموضوعية الداخلية، في اعادة ترتيب اللوحة السياسية في عالمنا العربي، واحرز خطوات غير قليلة للانتقال إلى الحياة الديمقراطية، والتعددية السياسية والحزبية، في كل من تونس والجزائر والاردن وشطري اليمن. وتجتاح المظاهرات الجماهيرية الكويت لاستعادة الحياة البرلمانية الملغاة فيها. وتنضج تحت سطح الحياة السياسية الراكدة، في غالبية البلدان العربية الأخرى، بوادر وامكانات نهضة شعبية ديمقراطية واعدة.

وتلعب التطورات التي شهدتها البلدان الاشتراكية (اوربا الشرقية) دوراً محفزاً باتجاه الديمقراطية وحقوق الانسان، وفضح الصيغ الاستبدادية والأسرية، وانظمة الحزب الواحد، وكل الشعارات وانماط الحكم واطر التطور الاقتصادي الاجتماعي التي تبرر مصادرة الحريات والحقوق الديمقراطية (رغم ان خصومنا الفكريين يحاولون جاهدين استخلاص استنتاجات معاكسة تقول بان الماركسية فشلت، وان خصوصيتهم الاستبدادية «نجحت»، مما يتطلب صراعاً فكرياً لتعميق الدلالات الحقيقية للتحول نحو التعددية في العالم).

ومع ان التغيرات العميقة الناجمة عن التطورات المستمرة في هذه البلدان، تطرح تساؤلات جدية حول وجهة «التطور الاشتراكي» فيها، وتستثير نقاشاً واسعاً حول طائفة من المفاهيم والقيم والاحداث التاريخية، وتفسح المجال أمام شتى التأويلات الفكرية بشأن دور الاحزاب الشيوعية، وواقعية البناء الاشتراكي وغيرها من القضايا العقدية، فان جوهر هذه التغيرات يشكل رافعة قوية لشعوبنا المناضلة في سبيل الديمقراطية والسلم والعدالة

الاجتماعية، ويزيل الاوهام الفكرية والسياسية وتجلياتها التنظيمية، التي لعبت دور الكابح والمشوِّه للاشتراكية والنضال في سبيلها، واضعفت هيبة قواها، وتثير الحيرة والالتباس والاحباط بين صفوف الطامحين لتحقيق العدالة الاجتماعية.

وبطبيعة الحال، فان الطابع المأزوم للتغير في كل من المجر والمانيا الديمقراطية وجيكوسلوفاكياوبولونيا، وطابع الاخفاق والانهيار الدامي كما في رومانيا والتأزم الدامي في الصين، بالاضافة إلى الانفجارات القومية والعمليات المعقدة الجارية في الاتحاد السوفييتي، تخلق مناخاً ملائماً تسعى الاوساط المعادية للاشتراكية والتقدم على الصعيد العالمي، والانظمة والحاكمين المستبدين في بلداننا العربية، لاستغلاله ضد القوى الثورية الطامحة للتغيير وفي مقدمتها الاحزاب الشيوعية.

ولكن هذا المناخ سرعان ما يبدد هذه الاهام، وخصوصاً في «اطراف» العالم، حيث يشتد الصراع حول شعارات ومضامين برامج الحد الادنى للاحزاب: الخبز، الحرية، الديمقراطية، وحقوق الانسان (اضافة إلى وقف نهب ثرواتنا، واسترجاع اراضينا المحتلة).

وتظل الاشتراكية في هذا الصراع تحمل تطلعات هذه القوى وامانيها التاريخية في نفس الوقت الذي تتوالى فيه مآسي الرأسمالية وشرورها المتمثلة بالاستبداد والتسلط والاكراه، التي تعيش في ظلها شعوب هذه البلدان.

رابعاً:

موقع حزبنا وحركتنا الشيوعية من عمليات التجديد الشاملة

يحاول حزبنا انطلاقاً من واقعه الملموس ان يتمثل جوهر التجديد، واتجاهاته الرئيسية، في معرض تحديد المؤشرات الاساسية للصيغة الجديدة لبرنامج الحزب ونظامه الداخلي، وتدقيق سياسته العامة، وتأكيده على ضرورة تأثرها وتجاوبها مع هذه العمليات لصالح ابراز قيم الاشتراكية وافضلياتها ومضامينها الديمقراطية العميقة، على ان تتناول وجهة التأثير والتجاوب ما هو جوهري من هذه العملية الموضوعية، وما ينسجم فيها مع الخصوصية والظروف الملموسة في بلادنا وحزبنا وحركتنا الثورية، والتأكيد على الترابط الديالكتيكي بين الخصوصية والوطنية وخبرة الحركة الثورية في مجرى تطبيقات جوانبها المختلفة، سواء في (البلدان الاشتراكية) أو تجارب الاحزاب الشيوعية والعمالية والحركات

التحررية، وبشكل خاص مناطق حركة التحرر الوطني، وعموم بلدان العالم الثالث، وبضمنها عالمنا العربي، على ان يجري تجنب الاستنساخ وافتعال التمايز، ورفض التفاعل لدى تحديد ملامح حركتنا ووجهة التجديد في الحزب، من موقع التمسك بالمواقع وكأن شيئاً لم يحدث.

وتكتسب هذه الموضوعة الاساسية اهميتها الاستثنائية من رواج الاتجاهات والميول التصفوية والعدمية التي تتغذى على مزاعم فشل الاشتراكية وتراجعها كخيار انساني لم ينجح في تأكيد ذاته.

كما ان الضغوط الفكرية والسياسية التي تفاقمت بالارتباط مع الاخفاقات والتغييرات السلبية في بلدان اوربا الشرقية، والانفجارات الاثنية والقومية، والعديد من المظاهر الاخرى في الاتحاد السوفييتي تؤدي إلى تغييب جوهر الاشتراكية ومنجزاتها، وتتحول، في مجرى نقد الماضي وابراز تشويهات ومآسي حقب عبادة الفرد والركود، إلى هجوم شامل على الاشتراكية، وانتعاش للميول الفكرية والسياسية والتنظيمية التصفوية.

ان الطابع الموضوعي للتجديد في مسيرة البناء الاشتراكي يجعل امتداده إلى الحركة الشيوعية، برمتها، عملية طبيعية. ولكن التفاعل في إطارها يتخذ مظاهر في غاية التنوع والتباين، تبعاً لاختلاف الظروف والاوضاع والتراكمات والمهام الملموسة.

ان الاتجاه السائد في بلدان اوربا الشرقية في مجرى التجديد يتجسد في الانحسار والانكفاء بل والهزيمة السياسية، حتى وان كانت مؤقتة بالمقاييس التاريخية، التي برزت في عدد من هذه البلدان، والتي عبرت عن نفسها في اجبار الاحزاب الشيوعية والعمالية الحاكمة على الانسحاب خارج الحكم (مثال رومانيا، المجر والمانيا د.)، أو الانتقال إلى مواقع الدفاع المحض، والاقرار بالادانة، والتشارك في الحكم (بولونيا، جيكوسلوفاكيا).

وعلى نتائج هذا الصراع الذي يخوضه الشيوعيون وانصار الاشتراكية لمحاصرة هذا الاتجاه، وارتباطاً بمصائر التغيير في الاتحاد السوفييتي ووجهة تفاعل فصائل الحركة الشيوعية العالمية، يتوقف تحديد الاطار الذي ستتشكل فيه الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، وحدود التغييرات التي ستتحقق في فصائلها.

لقد تعرضت مصداقية قيادات الاحزاب الشيوعية والعمالية الحاكمة في بلدان اوربا الشرقية لامتحان صعب، نتيجة نهجها البيروقراطي وتسلطها وممارساتها الاستبدادية، وعزلتها عن قواعد الحزب والشعب، وفشل نموذجها «الاشتراكي»، وتتداخل العوامل الذاتية مع الخلفية التاريخية الموضوعية، والعديد من الاسباب التي أدت إلى نشوء الازمة الحادة التي انفجرت في هذه البلدان، وتضطر احزابها الشيوعية، بحكم هذه العوامل كلها، إلى اعادة النظر جذرياً باوضاعها وبنيتها واسسها البرنامجية وشعاراتها، بل واتخاذ

اقسى التدابير، بما في ذلك التخلي عن اسمائها وتكييف هويتها الفكرية والسياسية، للتبرؤ من سلبيات ماضيها المدانة.

وفي اجواء الضغوط السياسية والاحباطات التي تولدها الهبات الجماهيرية الواسعة، وانهيار القيادات الحزبية والحكومية، وتحت تأثير التيارات التصفوية، تضطر بعض هذه الاحزاب للتخلي كلياً عن مواقعها الفكرية والسياسية والتنظيمية.

وهذا الوضع الخطير الذي تشكلت ملامحه، بسرعة غير متوقعة فاجأت العالم بأسره، ترك بصماته سريعاً على اوساط واسعة في الاحزاب الشيوعية والحركات الثورية، التي باتت تشعر بثقل هذه الهزائم على اوضاعها النضالية، وتبحث عن خلاصها من تبعات الادانة الفكرية والسياسية، ويجنح عدد منها لتغيير اسمه أو التفكير بتعديل هويته الفكرية محاكياً بذلك الاحزاب الحاكمة، التي لا تجد أمامها احياناً غير تجديد نفسها كلياً.

ان تراجعات الاحزاب الشيوعية الحاكمة ترتبط اساساً بتعثر مسيرة البناء الاشتراكي وتغييب الديمقراطية، وعبادة الفرد والركود وغيرها من المظاهر السلبية بالاضافة إلى تأثيرات بعض الاتجاهات السلبية في عملية البريسترويكا. وقد أدى الانغلاق، والتأخر في معالجة الخلل، بل ومقاومة التغيير، إلى تراكمات خطيرة.

ان المنطلقات الاساسية للبريسترويكا في الاتحاد السوفييتي، وامتداداتها في (البلدان الاشتراكية)، وبغض النظر عن نتائجها العملية المباشرة، انما تستهدف معالجة الخلل البنيوي، واعادة صياغة مفهوم الاشتراكية نظرياً وعملياً والتخلص من عواقب الانماط الاستبدادية والبيروقراطية، والارتقاء بالاشتراكية، ونماذجها التطبيقية المتبدلة، بتبدل مراحل التطور، إلى مستوى الطموح والمثل الملهم.

ولهذا ترتبط مصائر البناء الاشتراكي في بلدان اوربا الشرقية، وقدرة احزابها على استعادة مواقعها الطليعية، بمدى النجاحات التي تتحقق على صعيد معافاة اوضاع هذه الاحزاب، ومصائر عملية التغيير في الاتحاد السوفييتي، والبرهنة على طاقة الاشتراكية في تجاوز الازمة الراهنة، وإيجاد الآليات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لتقديم البدائل والحلول العملية للنهوض مجدداً.

ومثل هذه العملية مديدة، وتكتنفها التناقضات والصراعات البالغة الحدة.

ولابد من الانطلاق في التعامل مع الاوضاع المستجدة في (البلدان الاشتراكية) على أساس اللوحة السياسية التي تتبادل فيها المواقع قوى متباينة تتجاذب البلاد نحو خيارات مفتوحة على تجاوز الخيار الاشتراكي.

وفي هذه اللوحة، ستتبارى احزاب وقوى من مواقع الاشتراكية أيضاً. وهذا الواقع الجديد المتحرك يتطلب نظرات ومواقف عملية ملموسة من جانب حزبنا باتجاه الانفتاح

على هذه القوى واقامة الصلات والتفاعل السياسي والفكري معها، نظراً لامتداد تأثيراتها إلى مختلف جوانب نشاط حزبنا وحركتنا الشيوعية.

ان جوهر الاصلاحات يتمثل في ابراز الوجه الانساني الديمقراطي العميق للاشتراكية وافضلياتها. ومهما اكتسب من قوة معنوية بين اوساط الشيوعيين وجماهيرهم والقوى التقدمية، فان تقديم هذا الوجه المضيء على خلفية ادانة الماضي بكل مكوناته، وتحطيم البنى القائمة، على ايدي الحركة الجماهيرية، واستمرار التداعيات السياسية والمراجعات النظرية ذات الطابع البنيوي، الشمولي، يجعل من العسير إظهار مضامين الاصلاحات الايجابية في مدى قريب. وهذا الواقع المرير يشدد الميل إلى ابراز التماثل بين جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية، وتحميلها مسؤولية ما يجري، وتوسيع الضغط لدفعها إلى الاستسلام السياسي والفكري، والغاء التمايز بينها، من حيث المواقع والمهام والمسؤولية.

فالاحزاب الشيوعية والعمالية المناضلة في مناطق حركة التحرر كانت، طوال تاريخها، ضحية الاضطهاد والقمع والانظمة الدكتاتورية والاستبدادية، وصفحات هذا التاريخ تزخر بالبطولات والتضحيات دفاعاً عن شعوبها واستقلال بلادها. وتتصدى برامجها لمعالجة المهام الوطنية والديمقراطية المباشرة: إنجاز وصيانة الاستقلال الوطني، اطلاق الحريات الديمقراطية ودفع البلاد إلى طريق التطور الاجتماعي والاقتصادي التقدمي. وقد ارتبطت اسماء هذه الاحزاب وشعاراتها ونضالاتها بهذه المهام والاهداف.

ان هذا التمايز العميق لا يعني تنصل هذه الاحزاب عن المنطلقات الايديولوجية والسياسية، والمسيرة التاريخية، بجوانبها الايجابية والسلبية، للاشتراكية العالمية. ولكن أهميته تكمن في كونه يؤشر لاتجاهات معالجاتها لعواقب الازمة عليها، ومقاومة المحاولات التي ترمي إلى محاصرتها، واظهار عجزها عن مواصلة النضال دون التخلي عن هويتها واهدافها الستراتيجية.

ان حزبنا مدعو للتأثر والتجاوب والتفاعل العميق والشامل مع حركة التجديد، لا بدافع محاكاة ما يجري في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاخرى، بل للارتقاء بنشاطه إلى مستوى المهام التي يطرحها الصراع في بلادنا، والتغيرات التي تشهدها حركتنا الشيوعية والعالم بأسره. والحزب، بكل جوانبه، موضوعُ هذا التجديد.

ولكي يتجنب التجديد عندنا نزعة الافتعال والتماثل الاستعراضي القسري، لابد له من ان ينطلق من تقييم الاتجاه العام لتجربة الحزب التاريخية، والحقائق الواقعية التي يستند اليها في سياسته وتوجهاته ونشاطاته الراهنة، ومن مناخه السياسي والفكري والتنظيمي الخاص.

ان نشـوء الحـزب وتـطوره، في إطـار علمية صيرورة الحـركة الشيوعية والعمالية العـالمية، جعلا منـه امتداداً حياً لهذه الحركة، يتأثر بها ويتشكل نسيجه من مضامينها واشكال حركتها. ولا يمكن فصل محتوى المؤشرات التاريخية الرئيسية لكل من الحزب والحـركـة. وان تغلب روح المسـايرة للبلدان الاشتراكية على الحزب بدلاً من التفاعل الثوري، واحتكامه إلى المنطلقات العقائدية الجامدة، وضعفه الايديولوجي، وممارسته الـوحيدة الجـانب لمفـاهيم الاممية ووحـدة الحـركة الشيوعية، أي الركون إلى التلقي السياسي والفكري، وقيامه بدور المروج دون تحفظ لنماذج الانظمة الاشتراكية القائمة، وتزكية ممارساتها وسياساتها، قد الحق اضراراً بالغة عانينا ونعاني منها الآن. ولقد لعب تشوه التكوين الطبقي للمجتمع العراقي وتجلياته الاقتصادية والسياسية والفكرية وانعكاسه على تركيب الحزب دوراً في تشديد هذه الاضرار، فضلاً عن دور الارهاب الدموي الذي عانى منه الحزب كثيراً، وافقده كوكبة وراء كوكبة من المع قادته وكوادره واعضائه وأوفى اصدقائه منذ تأسيسه حتى اليوم.

وكـانت هذه الظاهرة المرضية «التي الحقت الاضرار بالحزب» سمة مشتركة لغالبية فصائل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، مع اختلاف في درجة وحدة التماثل تبعاً لتطور المجتمع المعني ولموقع كل فصيل ومكانته، ومتانته الفكرية، ودوره في الحياة السياسية.

ان تشخيص هذا التشـوه والمنـطلقـات الفكـرية والسياسية الخـاطئة المرتبطة به وانعكاسها على بنية الحزب واساليب عمله وسائر ميادين نشاطاته ضرورة لازمة لتحديد مؤشرات التجديد، وحلقاته المترابطة وارسائه على اسس تضمن له الاستمرارية والتوارث، وتجنبه الانقطاع العدمي الذي يتبدى بصورة قفزة في الفراغ أو هروب إلى الامام تشجع عليها الاجواء السلبية التي تسود الحركة في الظروف الراهنة.

لقـد عانى حزبنا، بسبب من ظروف نشأته واجواء الحركة الشيوعية العالمية وجملة العوامل التي اتينا على ذكرها سابقاً، من ضعف شديد في تطبيق الديمقراطية، (كاتجاه عام، وكمضامين اساسية) في حياة الحزب. وتجلى ذلك في طرق صياغة سياسات الحزب وتوجهاته البرنامجية، أو تطبيقاتها، أو في اسس بناء تشكيلاته التنظيمية وصلاحياتها، وفي اساليب تربية الكادر ومعايير اصطفائه واصطفافات الهيئات القيادية، والمفاهيم المرتبطة بالعمل القيادي عموماً. وخضعت ترتيبات الوضع القيادي في احيان كثيرة لاسس ومفاهيم نخبوية بعيدة عن الديمقراطية.

وبدلاً من اخضاع الظروف النضالية ومكوناتها لتحليل مستمر، واستنباط الاساليب والوسائل الجديدة دوماً، التي تمكن الشيوعيين من ممارسة دورهم واستفتائهم، في ظروف العمـل السري القاسية، حول الشؤون الحزبية، وهذا تقليد لينيني ثابت، والبحث عن

مؤشرات لفهم مزاج الجماهير السياسي والفكري، ومستوى استعدادها النضالي، جرى الاستناد إلى الظروف الصعبة والارهابية لتبرير عدم اشراك الشيوعيين وهيئات الحزب المختلفة واعاقة اسهامهم في صياغة سياسته وبرامجه ومواقفه.

ان مؤشرات تجديد الحزب ومحاوره الاساسية لابد ان تعالج جذور هذه الظاهرات المرضية وترسي الاسس التنظيمية والفكرية والسياسية الكفيلة بانهاض الحزب والارتقاء بدور الشيوعيين فيه، في الاتجاهات العامة التالية:

في العمل الفكري

- ايلاء اهتمام استثنائي بتحسين مستوى الحزب فكرياً، ورفد الهيئات الحزبية القيادية بالكفاءات المتميزة في ميادينها المتنوعة.
- اطلاق حرية النقاش والبحث والاجتهاد في القضايا النظرية والسياسية العقدية في صحافة الحزب ووسائل اعلامه، وفي نشرات داخلية.
- افساح المجال لصراع الآراء والمناقشات الواسعة في صحافة الحزب الداخلية، في إطار اغناء وتدقيق وتعديل سياسة الحزب، خصوصاً في المنعطفات وعشية الاجتماعات الهامة للجنة المركزية ومؤتمرات الحزب.
- العمل على اشراك الكفاءات النظرية والمتخصصة في اجتماعات موسعة للجنة المركزية وفي الاجتماعات النوعية.
- اقرار علنية الفكر والسياسة في عموم الحزب، مقابل التوكيد على سرية التنظيم. واعتبار التعددية والتنوع في الاجتهاد عند تطبيق سياسة الحزب العامة وتوجهاته البرنامجية ظاهرة ايجابية في إطار وحدة الالتزام بسياسته ومواقفه العامة وتعميق الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية في إطار المركزية الديمقراطية.
- اعتماد مبدأ «الحوار المفتوح» مع المثقفين، وتوسيع وتطوير اهتمام الحزب بالعمل في صفوفهم، والتخلي عن التقييم الايديولوجي المجرد لمنتجاتهم الابداعية، والتفاعل مع مختلف مدارسهم وتياراتهم واتجاهاتهم الادبية والفنية.
- الارتقاء بالعمل الايديولوجي وتوسيع ميادينه، والعناية بالكفاءات العلمية في الحزب وحوله، وايجاد الاساليب التنظيمية الملائمة لتحقيق هذا الطموح.

في التنظيم

ـ اشاعة أوسع ديمقراطية في حياة الحزب على الاصعدة الفكرية والسياسية والتنظيمية. ومكونات هذه الديمقراطية تجد تعبيراتها في اقرار حق الشيوعيين المطلق بالاسهام في صياغة ومناقشة واقرار ومتابعة ومراقبة تنفيذ سياسة الحزب وبرنامجه وانتخاب قيادته وهيئاته.

ـ ارساء الاسس الضامنة لتبادل وصراع الآراء الصريح والحر، وتعدد البدائل، اثناء مناقشة القضايا العقدية، واحترام رأي الاقلية والتفاعل معها في إطار وحدة الارادة والعمل، وتمكينها من عرض وجهة نظرها على مجموع الحزب، على ان لا يؤثر ذلك على تنفيذ القرارات الحزبية المتخذة بالاكثرية.

ـ الغاء المراتبية الحزبية فعلياً، وابراز الهوية النضالية للمهام الحزبية.

ـ تحديد اربع دورات لعضوية متواصلة في اللجنة المركزية، ودورتين لمركز الامين العام، وثلاث دورات لعضوية المكتب السياسي على ان لا تتجاوز من حيث الفترة **الزمنية** خمسة عشر عاماً متواصلة. وفي حالة الترشيح لدورة اضافية يتوجب حصول المرشح **على** ثلثي الاصوات.

ـ اقرار مبدأ الأنتخاب في جميع الهيئات الحزبية، وممارسة مختلف **اشكال** الاستفتاء واستمزاج الرأي في حالات الارهاب الواسعة، وفي الظروف غير الطبيعية امنياً.

ـ اعتماد مبدأ الانتخاب المباشر وضمان حق اعضاء الحزب للترشيح إلى الهيئات الحزبية كافة.

ـ اعتماد مبدأ الترشيح الفردي في انتخابات المكتب السياسي، وتثبيت ممارسته سنوياً في اجتماع اعتيادي كامل للجنة المركزية، ومبادرة م. س إلى اتاحة الفرصة للجنة المركزية لتقييم نشاط كل عضو من اعضائه على انفراد، وتجديد عضويته أو انهائها.

ـ الاحتكام إلى تنوع الكفاءة لدى الانتخاب إلى الهيئات القيادية وبشكل خاص اعتماد معيار الكفاءة الفكرية والسياسية والعمل القيادي والتخصصي، بالاضافة إلى معايير الانحدار الطبقي والجهادية والخبرة النضالية والسيماء السياسي.

ـ ضمان التواصل والتوارث، بايجاد الاشكال التنظيمية القيادية الاستشارية لذوي الخبرة والقدرة والاهلية من الرفاق الذين يتعذر عليهم مواصلة عضوية الهيئات القيادية لاسباب نظامية أو غيرها.

ـ تضييق مجالات الاحتراف الحزبي إلى أبعد الحدود.

ـ تشكيل لجنة مركزية لمنظمة اقليم كردستان للحزب.

- تقليص الحلقات الوسيطة في التسلسل الهرمي الحزبي والعمل على ربط اللجان القيادية في المحافظات بقيادة الحزب مباشرة وتوسيع صلاحياتها.
- انتخاب لجنة رقابة مركزية من قبل المؤتمر.

في العمل الجماهيري والديمقراطي

- تعزيز تقاليد الحزب في العمل الجماهيري والديمقراطي وتجديد مضامينها واساليبها بالانطلاق من حلقات الحزب القاعدية النشيطة المرتبطة بالتجمعات الجماهيرية مباشرة، وخلق القادة والوجوه الجماهيرية والشعبية البارزة، والتزام قضايا الجماهير اليومية، والدفاع عن مصالحها، والاصغاء إلى آرائها وملاحظاتها.
- تحفيز الشيوعيين على العمل الجماهيري والديمقراطي في النقابات العمالية والمهنية والاتحادات والمنظمات الابداعية الرسمية وغيرها، واطلاق مبادراتهم، وضمان استقلالية المنظمات التي يعملون فيها أو يشاركون في قيادتها، والتخلي عن وصاية الهيئات الحزبية على نشاطاتها، والعمل على توسيع وتنويع التمثيل الفكري والسياسي فيها.

حول التحالفات

أ ـ الوطنية

- اجراء نقلة نوعية في سياسة الحزب التحالفية ارتباطاً بتجديد مفهومنا لمضامين ومهام المرحلة الديمقراطية من ثورتنا وطابعها الانتقالي التاريخي ذي الخيار الاشتراكي، ومحتواها الديمقراطي. والأخذ بنظر الاعتبار الموقع البارز الذي ستحتله هذه السياسة في كامل نهج الحزب الستراتيجي ونشاطاته اليومية، مما يتطلب جهداً تحليلياً علمياً للتغيرات الاجتماعية ـ الاقتصادية العميقة التي شهدها مجتمعنا العراقي، ومواقع وموازين القوى التي تعكسها لوحة الصراع الطبقي، ومظاهرها السياسية والايديولوجية. والانطلاق من ذلك كله لتحديد الطبقات والقوى السياسية والاجتماعية المعنية بتحالفات الحزب، وانجاز مهام المرحلة الديمقراطية من ثورتنا.
- التوجه نحو تعزيز التحالفات الاجتماعية (طبقات، فئات) إلى جانب مواصلة المساعي لاقامة التحالفات السياسية (احزاب، حركات) وتعزيز العمل الوطني المشترك بمختلف الأشكال.

ـ تأكيد الثوابت التالية في أي عمل جبهوي، ثنائي أو متعدد الاطراف أو شامل:

* الاستقلالية السياسية والفكرية والتنظيمية.

* التكافؤ والمساواة والاحترام المتبادل.

* رفض اشتراط الوصاية، والدور المتميز أو القائد، وتجلياتها التنظيمية والقانونية.

* ضمان حق النقد العلني في إطار التعاون والتحالف والعمل المشترك، وضمان حق اشهار العقيدة الايديولوجية وستراتيجيتها السياسية وتعبيراتها الملموسة والدعاية لها بكل الوسائل.

* ارساء اسس ديمقراطية ثابتة، واشاعة اجواء المنافسة في إطار حوار الافكار والبرامج والشعارات والنشاط السياسي بين الاحزاب والقوى والتيارات السياسية والفكرية، والاحتكام إلى آراء وارادة الجماهير.

* هجر الاساليب والمفاهيم الخاطئة في الموقف من القوى الاخرى وفي العمل الجبهوي، ذي الحد الواحد، أما النقد الشامل، أو التزكية دون تحفظات.

* اعتبار الديمقراطية الشاملة، والتعددية، ودولة القانون، وحقوق الانسان، والعدالة الاجتماعية، والقيم الانسانية العامة، مبادىء اساسية لأي إطار تحالفي يكون الحزب طرفاً فيه.

تنوع أشكال نشاط الحزب التحالفي

(**شامل «اجتماعي»**): على أساس الاهداف العامة، التي تجمع كل القوى والتيارات الاساسية في المجتمع. والمحتوى الرئيسي لهذا التحالف ضمان الحريات الديمقراطية العامة وصيانة استقلال البلاد وحماية ثرواتها الوطنية.

محدود: يستقطب الاحزاب والقوى التي يجمعها خيار التطور والتقدم الاجتماعي والاشتراكي.

ثنائي أو متعدد الاطراف

* حول مهام واهداف مباشرة.

* وفي إطارات مطلبية أو حملات سياسية، محدودة (الانتخابات، استفتاء... الخ).

* وعلى ارضية اصطفافات فكرية وسياسية في اطر التحالفات العريضة والشاملة.

فوقي:

* على أساس البرامج والاتفاقات والمواثيق المعقودة مع قيادات الاحزاب، على ان لا تقيد نشاط الحزب الجماهيري، الذي يشكل، باستمرار، أحد أهم وسائل الضغط السياسي لتعديل موازين القوى، وتحسين شروط الاتفاق في مثل هذه التحالفات.

جماهيري :

وهو الاطار الأكثر تأثيراً وفعالية. لتعزيز مواقع الحزب ونفوذه، وخلق اجواء العمل الوطني المشترك، وحماية الديمقراطية ومنجزاتها وتعميقها، والدفاع عن مصالح مختلف الفئات الاجتماعية.

ولابد للحزب من تركيز جهود استثنائية في هذا المجال، وتجديد اساليب كفاحه المطلبي المتنوع والمتعدد الاغراض والبحث عن الاشكال المتطورة لاحياء الفعاليات الجماعية، في الاحياء الشعبية والمدن والارياف والقطاعات والمنشآت، حول مطالب اجتماعية واقتصادية، وثقافية وحياتية ملموسة، والحرص على تجنب اضفاء الطابع السياسي أو الايديولوجي المباشر عليها.

ولتحقيق مثل هذه النشاطات ينبغي على الشيوعيين ومنظمات الحزب القاعدية، التحرر من اسس وانماط العمل الاتكالية، «انتظار المخططات والبرامج والاوامر والارشادات من فوق»، والمبادرة النشيطة لايجاد اطر العمل الجماهيري المشترك على أساس الاهداف العامة للحزب والحركة الوطنية، ومزاج الجماهير وميولها:

- نوادٍ رياضية وثقافية واجتماعية وعلمية.
- جمعيات تعاونية وخيرية، ودور حضانة، وهواة، وموهوبين، ودفاع عن البيئة، وصناديق تعاون، ولجان حقوق الانسان، وعيادات شعبية.
- مؤسسات ومنظمات واتحادات تعاونية (للسكن، اعانات زواج، علاج مشوهين... الخ).
- مرافيء (تجمعات) في المنظمات والاتحادات تشكل قوى ضغط باتجاه مطلبي محدد في المجال المعني.
- دور نشر وطباعة تعاونية.

العمل على صياغة ميثاق وطني تعاهدي

يكرس المبادىء الديمقراطية العامة، والقيم والاهداف المشتركة للشعب العراقي، والركون إلى ارادته، ويرفض احتكار السلطة والهيمنة ويدين العسف والقوة والقمع كوسائل لحسم الخلافات.

ولا يشترط لهذا الميثاق ان يكون إطاراً لأي عمل جبهوي أو تعاون، بل هو عقد تعاهدي يجري التوقيع عليه والدعوة له والالتزام بمضمونه من قبل جميع الاحزاب والقوى والشخصيات والاوساط التي تتطلع لاخراج البلاد من مأزق الاحتراب والاقتتال والانقلابات.

ب ـ العربية

يتميز الوضع العربي بتنامي النضال السياسي من أجل فرض بنية سياسية ديمقراطية تعـددية، واحترام حقوق الانسان، في إطار عالمي يتميز بالسير الحثيث نحو التعددية، وعلى خلفية ازمة اقتصادية ـ اجتماعية في معظم الدول العربية.

فبعـد فرض التعـددية في الجـزائـر والاردن، وقبلها في تونس (ولفترة سنوات في السـودان ايضـاً)، يتصـاعـد النضال في الاتجاه نفسه بتحركات جماهيرية قاعدية (مثل الكويت) أو بمبادرات رسمية ذات طابع تجديدي (كما في اليمن الديمقراطية) أو ذات طابع تنفيسي (كما في العراق).

واذ تتحرك الجماهير الشعبية على خلفية ازمة اقتصادية ـ اجتماعية خانقة تتجلى في اشتداد الغلاء وتنامي المديونية، وانهيار أو ضعف العملات المحلية، وانخفاض الانتاج واتساع البطالة. . . الخ فانها تسعى إلى تغيير البنية السياسية الاستبدادية سواء كانت بشكل نظام الحزب الواحد أو نظام الاسرة الواحدة الذي عفا عليه الزمن.

ويتميز التحرك الشعبي، بمسعى لتوجيه مسار التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي وجهة تخفف الاضرار الناجمة عنه والتي تصيب هذه الجماهير في صميم حياتها اليومية، جوعاً وبطالة وعوزاً وعسفاً.

ويلاحظ بالمقـابل، ان النزوع نحو التعددية ما زال متناقضاً وغير حاسم بعد، اذ تمسك بزمامه النخب الحاكمة القديمة نفسها، والتي تحاول التكيف، جزئياً، كي لا تفقد مواقعها.

ويمتلئ النزوع نحو التعددية بمحتوى متناقض، فهو مسعى للحريات الديمقراطية على مستوى الجماهير الشعبية والدفاع عن مصالحها الاجتماعية والاقتصادية)وهو مسعى لربط الانتقال إلى التعددية بالليبرالية الاقتصادية، والتخلي عن دور الدولة (رغم تناقضه).

وتواجه مسيرة التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي في الدول العربية، على وجه العموم، آفاقاً صعبة، سواء في ضوء الوضع الحالي أم المتوقع مستقبلاً. ارتباطاً باتجاهات التطور المحتملة للعالم الرأسمالي، الذي ترتبط اقتصاداتنا به ارتباطاً بنيوياً.

ويشير عدد من الدراسات المستقبلية إلى ان المنطقة العربية مرشحة للاصابة بركود اقتصادي وبتفاقم المشكلات الراهنة، وهي في مظاهرها الخارجية مشكلة مديونية وازمة نقدية وازمة تبعية من نوع جديد.

وعليه فان النضال من أجل الديمقراطية، ومن أجل التطور العقلاني للانتاج والتطور العلمي ـ التقني الهائل، والكتل الاقتصادية المتعددة، مهمة اساسية، مدخلها الرئيسي هو الديمقراطية السياسة، بوصفها مفتاحاً لفرض نموذج تنمية رشيدة تلبي حاجات الجماهير

الشعبية في المستوى الراهن من التطور.

ويتسم الوضع العربي الراهن باشتداد ميول التقارب والمصالحات العربية ـ العربية. ولعله ما من فترة شهدت هذا القدر من العمل العربي الرسمي المشترك، بصرف النظر عن مضامينه، إلا ما ندر.

وقد اشارت ل. م في تقريرها السابق (آذار ١٩٨٩) إلى وجود ميلين في هذه العملية، ميل تنامي اندماج كل بلد عربي منفرد بالسوق الرأسمالي العالمي، ونشوء ميول محلية، قطرية في لغة الادب السياسي السائد، وميول ضاغطة سياسية وعسكرية وامنية تدفع إلى اللقاء.

ومن هذا المنطلق ينبغي نقد مساعي تشتيت الجهود الوحدوية في التعاون الامني والسياسي، بالغ التقلب، أو في مساعي تطوير ميادين غير منتجة، وتبذيرية (مشاريع عسكرية، سياحية، الخ) أو الاكتفاء بالمهرجانات الخطابية. ومن هذا المنطلق أيضاً تنبغي ادانة تهريب رؤوس الاموال العربية أو التوظيفات الضخمة في العقارات، والمضاربات الخ، التي يقوم بها الرأسمال العربي الخاص أو الحكومي، في البلدان الرأسمالية المتطورة.

وتنبغي الاشارة إلى تجربة الوحدة اليمنية، التي تحاول السير على اساس واقعي قوامه الديمقراطية والتعددية سياسياً، وتوحيد المؤسسات الانتاجية اقتصادياً، بهدف تحقيق وحدة شطري اليمن، والنهوض بالبلاد وتطويرها اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً على اساس التعددية والحريات الديمقراطية.

وإلى جانب هذا الاتجاه العام للتطور، يتواصل النضال الوطني التحرري، وبخاصة نضال الشعب العربي الفلسطيني، الذي تدخل انتفاضته الباسلة شهرها الثامن والعشرين من أجل انتزاع الحقوق الوطنية المشروعة، بقيادة ممثله الشرعي والوحيد م. ت. ف.

ان قضية الشعب الفلسطيني تحتل اليوم مركز الصدارة عالمياً. ولم يعد بوسع السوق الاوربية ولا الادارة الامريكية ادارة الظهر لها.

وتشهد المشاريع العديدة (مشروع مبارك، مشروع بيكر، مشروع شامير) المطروحة في سوق السياسة، على القلق الكبير الذي يسود الاوساط الامبريالية من استمرار الانتفاضة، التي ما تزال تتحرك في محيط عربي رسمي غير ملائم عموماً.

ان من شأن استمرار الانتفاضة، وتنامي الدعم العربي والعالمي، ان يفتحا الطريق إلى تجاوز صلف المحتلين.

ان التعنت الاسرائيلي أمام الاستجابة لمطامح الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه، يزداد شراسة بفعل موجة هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي إلى الاراضي المحتلة، والتي

تشكل عامل اخلال للتوازن الديمغرافي، وبالتالي عامل نسف لآفاق التسوية الدولية المطلوبة.

ويطالب حزبنا، سوية مع القوى التقدمية العربية، بوقف الهجرة إلى الاراضي المحتلة، لما يشكله من انتهاك لحقوق الانسان العربي الفلسطيني ولما ينجم عنه من عواقب سياسية وخيمة. فمغادرة اليهود السوفييت للاتحاد السوفييتي في إطار ممارسة حق التنقل شيء، وتوجههم إلى الاراضي المحتلة شيء آخر.

وتلعب الولايات المتحدة دوراً مرائياً. فقد شجعت هجرة اليهود السوفييت بادىء الأمر إلى الولايات المتحدة، مقدمة الاغراءات العديدة لذلك، ثم اغلقت هذا الباب لتوجيه التدفق البشري إلى اسرائيل، واعلنت بمراءاة انها تعارض توطينهم في الاراضي العربية المحتلة، فيما تعمل على دعم الهجرة والتوطين مالياً وسياسياً في واقع الأمر.

ان معالجة هذا الموضوع الخطر ينبغي ان تنطلق من اعتبارات المصالح العربية، بما في ذلك تمتين عرى الصداقة الكفاحية بين شعوبنا العربية والاتحاد السوفييتي وبما يخدم مصالحنا المشتركة.

ويتنامى نضال القوى الوطنية اللبنانية للخلاص من الاحتلال الاسرائيلي المشين للجنوب اللبناني، ولتحقيق المصالحة الوطنية، على أساس اتفاق الطائف، واحترام الشرعية. ويأتي تمرد الجنرال عون، واحتدام المعارك المؤسية في بيروت الشرقية، بدعم من اسرائيل وحكام بغداد واوساط امبريالية، ليطيل أمد المأساة، ويحجب آفاق الحل الديمقراطي المنشود. ان حزبنا يدعم نضال القوى الوطنية اللبنانية، ويؤكد مجدداً تضامنه الكامل معها. ويعلن ادانته للتحرشات الامريكية المتصاعدة ضد الجماهيرية الليبية، ويعبر عن تضامنه مع الشعب الليبي.

لقد تعرض الشعب السوداني وحركته الوطنية والحزب الشيوعي السوداني الشقيق إلى محنة قاسية منذ الانقلاب العسكري الذي استهدف الاجهاز على المسيرة الديمقراطية في البلاد وتعطيل الحياة البرلمانية، والذي قوبل بمعارضة كل القوى الوطنية السودانية، التي جمعت صفوفها في (التجمع الوطني الديمقراطي) للنضال من أجل استعادة الديمقراطية.

ان حزبنا يدعم نضال الشعب السوداني الشقيق، وقواه واحزابه الوطنية الديمقراطية ويطالب باطلاق سراح كل المعتقلين السياسيين واعادة الحقوق والحريات الديمقراطية المستلبة.

ان النجاحات الهامة، التي تحققت في العديد من البلدان العربية على صعيد اشاعة الحريات الديمقراطية، واقامة الحياة البرلمانية في إطار التعددية الحزبية تتزامن،

في مجرى التناقضات المحتدمة، مع بروز واتساع ظاهرة الحركات الدينية التي تلعب دوراً متناقضاً في التطورات السياسية الايجابية الجارية، ان هذه النجاحات تحوي جوانب سلبية في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، مما يستلزم من الاحزاب والقوى الوطنية العلمانية بذل كل مساعيها لتعطيل هذه الجوانب السلبية، وكسب جمهور هذه الحركات، عبر الحوار والتفاعل، وتحويله إلى قوة دفع لصيانة وترسيخ المكتسبات الديمقراطية.

ويتطلب تحقيق توجهاتنا العامة:

- **الاهتمام بابراز النهج الوحدوي للحزب على الصعيد العربي**، والتفاعل ايجابياً مع الظاهرات والميول واتجاهات العمل العربي المشترك التي تشيع اجواء التقارب والتضامن والتكامل على اسس ديمقراطية. والاسهام في صياغة المبادىء والمنطلقات الوحدوية، وممارستها عملياً عبر المشاركة في الانشطة والفعاليات الشعبية والرسمية العربية. والدعوة لاتخاذ التدابير العملية، على الصعيد الرسمي، لالغاء الحواجز والعراقيل التي تحول دون تحقيق التقارب والتمازج الحضاري والثقافي والنفسي بين الشعوب والبلدان العربية، والحد من تعميق التفاوت بينها، وارساء الممهدات السياسية والاقتصادية والقانونية لتحقيق السوق العربية المشتركة، والسير نحو الوحدة الديمقراطية على اساس الخطوات الواقعية المتدرجة، واحترام المصالح المتبادلة، واحترام سيادة وخيارات كل شعب وحقوق قومياته واقلياته.

- **انهاض العمل الشعبي المشترك** في إطار الاحزاب والاتحادات والجمعيات والهيئات الاجتماعية والاقتصادية والاعلامية.

- الحرص على مواصلة التنسيق والتعاون والعمل المشترك في إطار اسرة الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية، مع الأخذ بنظر الاعتبار المناخ والظواهر الجديدة في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية، التي تستلزم تجاوز الاساليب والصيغ التي أخذت تعيق بل وتحول دون عقد أي لقاء شيوعي عربي مشترك.

- **تأكيد اتجاه توسيع الاسرة الشيوعية**، لتشمل الاحزاب والمنظمات والتيارات الماركسية الثورية، والبحث عن الآليات المناسبة لتحقيق هذا الهدف.

- الاهتمام بالاجتماعات واللقاءات النوعية بين الاحزاب الشيوعية والمنظمات الماركسية.

- **تحديد التزامات تضامنية متبادلة في إطار العمل المشترك تراعي**:

* دعم الاحزاب المناضلة ضد الانظمة الدكتاتورية والاوضاع الاستبدادية والاستثنائية واعتبار الديمقراطية وحقوق الانسان ثوابت في تقييم أي نظام أو سلطة.

* التخلي عن اعتبار قضية حزب ما، أو شعب ما قضية قومية تبرر تجاوز قضايا

الشعوب ونضال الاحزاب الاخرى، والتمييز بين العلاقات التي تتكون بين الدول والحكومات، وبين الاحزاب والحكومات.

وعلى صعيد القضية الفلسطينية، يمكن تمييز علاقات منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وحكومته مع الحكومات والدول العربية، عن علاقات المنظمات الفلسطينية.

* توسيع دائرة التعارف مع الاحزاب والقوى الوطنية والقومية والتيارات السياسية والاجتماعية السليمة وفصائل حركة التحرر العربية على أساس مناهضة الامبريالية والصهيونية، والعدوان، والدكتاتورية، وفي إطار خلق اجواء واسس التقارب والتنسيق العربي على طريق الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي والتكامل والوحدة.

جـ ـ الاممية/ العالمية

ـ الانطلاق من العمل الوطني، والقومي، إلى العمل الاممي، وباعتبار دور الحزب في معارك النضال الطبقي والوطني والقومي، وتعزيز موقعه في الحياة السياسية، وتصدّر نضالات الشعب... باعتبار ذلك اسهامه الرئيسي في النضال الاممي.

ان الحزب يمثل مصالح الطبقة العاملة والشغيلة وجمهرة كادحي اليد والفكر، بغض النظر عن اديانهم وقومياتهم وطوائفهم. وبهذا يكتسب هويته الوطنية والاممية، هذه الهوية التي تتطلب مراعاة الطابع القومي السائد، والتقاليد الشعبية، والتراث الوطني.

ـ مواصلة التفاعل والتضامن مع الاحزاب الشيوعية والعمالية في العالم، على أساس المستجدات السياسية والفكرية والتنظيمية، ومراعاة التكافؤ والاستقلالية، والبحث عن الصيغ التي من شأنها تحقيق هذا التفاعل والتضامن مع مراعاة الحرص على استمرارية الاطر القائمة بعد تجديدها لتلائم الاجواء الحالية (اللقاءات الاستشارية العالمية والاقليمية والثنائية)، استثمار فرص المؤتمرات الحزبية والاعياد والمناسبات الاممية والوطنية، كمنابر حرة وصريحة لتبادل الآراء والتصورات، وللتعرف على الاوضاع السياسية والحزبية) وتعزيز التعاون والعمل المشترك على أساس وحدة الموقف من القضايا العالمية: الحفاظ على السلم العالمي، وحماية البيئة واقامة نظام اقتصادي عالمي جديد... الخ.

ـ التخلي عن الافكار والمفاهيم المسبقة في تقييم شتى النماذج الاشتراكية والتركيبات والبرامج الحزبية، والطروحات النظرية والسياسية، واعتماد النظرة الانتقادية العلمية للظواهر المحيطة بنا، والتأثر بما يتناسب مع واقعنا وظروفنا وحاجاتنا النضالية.

ـ الانفتاح على الاحزاب والمنظمات الاشتراكية والاشتراكية الديمقراطية، والاحزاب الجديدة ذات المنحى الانساني والماركسي المجدد وانصار السلم والبيئة، والمنظمات الانسانية و(لاهوت التحرير) والاتجاه الانساني في الكنيسة الاوربية،

ومنظمات الدفاع عن حقوق الانسان والثقافة والمنظمات الثقافية العالمية، من مواقعنا الفكرية والسياسية، واقامة علاقات متطورة معها، دفاعاً عن قيم الديمقراطية وحقوق الانسان، والتقدم والعدالة الاجتماعية والسلم.

- إظهار وحدة المفاهيم الانسانية الاساسية: الديمقراطية، التعددية، حقوق الانسان والمواقف العملية المجسدة لها، خصوصاً في نهج وسلوك الاحزاب الشيوعية والاشتراكية الحاكمة.

- الاسهام الفعال في الجدال المحتدم على الصعيد الاممي حول تعدد اشكال ومضامين الخيار الاشتراكي، ومفاهيم الاشتراكية العلمية، واسسها النظرية، وكل ما يتعلق بالحركة الشيوعية والاشتراكية وتوجهاتها، واحتضان مساهمات المفكرين والكتاب الشيوعيين العراقيين في هذا الجدال النظري، وتعميم القيّم منها، وتجنب اتخاذ مواقف متوترة من الاجتهادات الاولية أو غير الناضجة أو غير المفهومة، التي تصب في اتجاه خيارنا الاشتراكي.

- موقفنا من العقيدة الدينية، والدين السياسي

- تطوير مواقف الحزب من جمهرة المتدينين، وتجربته التاريخية في هذا المجال، والتمييز بين منهج الحزب الفكري (المادية الديالكتيكية) والايمان الشخصي لعضو الحزب.

- دراسة تجربة الحزب التاريخية في العمل بين المتدينين ورجال الدين، وفي المناطق الريفية ونفوذه بين اوساط الفلاحين المؤمنين، وقدرته على الربط بين المشاعر والشعائر والتقاليد والمناسبات الدينية، والنضالات الوطنية والطبقية والقومية، واذكاء روح الكفاح بين الجموع المؤمنة من اعضاء وانصار ومؤيدي الحزب، وعدم وضع أي تعارض بين هذه النضالات والايمان الشخصي للمناضلين، والانطلاق من المصالح والاهداف المشتركة لتجاوز التفرقة بين الاديان والطوائف والمذاهب.

- خوض الصراع، فكرياً وسياسياً، ضد الاتجاهات والاوساط التي تستخدم الدين واجهة للارهاب الفكري والسياسي، وخوض صراع موضوعي مكشوف لفضح دعاواها المغرضة ومحاكمة برامجها وشعاراتها واهدافها سياسياً، وتشخيص المصالح الطبقية التي تجسدها وتعبر عنها.

- الحوار مع التيارات السياسية الدينية المعادية للامبريالية والدكتاتورية والبحث الدائم عن قواسم مشتركة معها على اساس التنازلات المتبادلة والحلول الوسط في الميدان

العملي، ولكن دون أي «مساومات ايديولوجية»، أو تبهيت للصراع الفكري العلني، الذي ينبغي خوضه على أساس الاحترام المتبادل والسعي لخدمة النضال المشترك ضد الامبريالية ومن أجل الحريات الديمقراطية، والانطلاق في ذلك كله من مفهومنا للدين، كقيمة ايمانية انسانية شخصية.

- مكافحة كل اشكال التعصب والتمييز الطائفي والديني، وخصوصاً الرسمي، المؤجج للمشكلة.

- القضية الكردية

كانت الحرب العراقية - الايرانية قد غطت على القضية الكردية إلى حد كبير. ومع وقف القتال بين العراق وايران، ومع افتضاح بشاعة جريمة قصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيمياوي في آذار ١٩٨٨ التي حدثت قبيل وقف القتال، ومع هول المظالم التي تعرض لها الشعب الكردي في العراق في اعقاب وقف القتال في آب - ايلول/ ١٩٨٨، باستخدام السلاح الكيمياوي وشن حملة عسكرية بربرية أدت إلى اضطرار حوالي مئة الف مواطن كردي إلى الهرب إلى تركيا وايران، واعتراف الحكومة العراقية بانتهاجها سياسة الارض المحروقة وذلك باعلانها اخلاء عشرات الوف الكيلو مترات المربعة من الاراضي المحاددة لايران وتركيا وسورية من سكانها وهدم قراها ومدنها، مع هذا كله عادت المسألة الكردية وحرب الابادة الشوفينية الظالمة التي تشنها الحكومة العراقية ضد الشعب الكردي في العراق، تستلفت انتباه الرأي العام في الداخل والخارج، وتستثير الغضب والاستنكار والاحتجاج ضد النظام الدكتاتوري في العراق، والتعاطف مع الشعب الكردي وقضيته العادلة.

وكان لابد لهذه التطورات ان تستثير مهمة تدقيق مواقف حزبنا وشعاراته تجاه القضية الكردية، وشكل تنظيمه، في ضوء الافاق التي نتطلع اليها، في المدى المنظور، لتطور هذه القضية.

حدد حزبنا موقفه المبدئي من قضية الشعب الكردي بالاعتراف بحقه في تقرير مصيره، ووحدة وطنه المجزأ كردستان، وثبت ذلك في برنامجه منذ أمد طويل.

وإلى جانب هذا الموقف المبدئي الماركسي اللينيني، صاغ حزبنا شعار الحكم الذاتي لكردستان العراق في إطار جمهورية عراقية ديمقراطية، ونثقف به، وناضل من أجله مع فصائل الحركة التحررية الكردية، والقوى الوطنية والديمقراطية العراقية، حتى اصبح القاسم المشترك الذي تجمع عليه كل هذه القوى التي تتبنى شعار «الديمقراطية للعراق

والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق».

وقد اضيفت صفة الحقيقي للحكم الذاتي لان النظام الدكتاتوري الحالي، الذي اضطر للاقرار بحق الشعب الكردي في العراق بالحكم الذاتي، بفضل نضال هذا الشعب، واسناد الحركة الوطنية والديمقراطية العراقية، والدعم العالمي، مسخ هذا الحكم، عملياً، بمصادرته لحقوق الشعب الديمقراطية، وافرغه من أي محتوى يمت بصلة حقيقية إلى الحقوق القومية.

وان حزبنا اذ يناضل اليوم، مع مجموع قوى شعبنا الوطنية، من أجل بديل ديمقراطي عن النظام الدكتاتوري الحالي، يرى في شعار الحكم الذاتي الحقيقي لكردستان العراق في الظروف الراهنة، الشعار الانسب والأكثر امكانية على كسب تأييد جماهير حركتنا الوطنية والرأي العام العربي والدولي، والأكثر انسجاماً مع طاقات الحركة التحررية الكردية وظروف المنطقة وجغرافيتها السياسية.

ويرى حزبنا ان تحقيق هذا الشعار، كجزء من بديل ديمقراطي للعراق، سيدفع الحركة التحررية الكردية خطوات كبرى إلى أمام، ليس في العراق فحسب، بل وفي كل الاقطار التي يوجد فيها الشعب الكردي ويعيش محروماً من حقوقه القومية.

وانطلاقاً من الدور الذي نطمح إلى ان ينهض به تنظيم حزبنا الشيوعي العراقي في كردستان بين جماهير الشعب الكردي، وفي الجبهة الكردستانية العراقية ـ وهو طرف مؤسس فيها ـ وفي مجموع الحركة التحررية الكردية، وارتباطاً بالآفاق الواعدة لتطورها، يعمل حزبنا على تحقيق اقصى الاستقلالية للتنظيم الشيوعي في كردستان في إطار الحزب الشيوعي العراقي، هذه الاستقلالية التي تتيح له حرية الحركة في وضع برنامجه ونظامه الداخلي وعقد مؤتمراته وانتخاب لجنته المركزية وتحديد مواقفه تجاه القضايا التي تجابه الحركة التحررية الكردية واقليم كردستان العراق.

وهذا لا يعني بطبيعة الحال اقامة حزب شيوعي على أساس قومي في كردستان العراق. فحزبنا الشيوعي العراقي نشأ وسيبقى حزباً اممياً يضم المناضلين العرب والاكراد ومن الاقليات القومية، ممن يؤمنون بالفكر الماركسي اللينيني ويكرسون حياتهم وطاقاتهم النضالية لخدمة قضية الطبقة العاملة وكل شغيلة اليد والفكر من ابناء شعبنا.

واننا اذ نتفهم تطلع عدد من المناضلين الثوريين الاكراد ومبادرتهم للدعوة إلى اقامة حزب شيوعي كردي في العزاق، أو لعموم الاكراد في البلدان التي يعيشون فيها، لا نرى في هذه الدعوة الجديدة القديمة سوى دعوة قد تكون املتها رغبات نبيلة، ولكنها في الواقع لا تعني غير تقسيم التنظيم الشيوعي في العراق، وفي البلدان التي تشملها الدعوة، على اساس قومي، والحاق الضرر بالحركة الشيوعية في كل بلد من هذه البلدان.

ان الحركة الشيوعية نشأت على أساس اممي . وفي كل البلدان المتعددة القوميات، ومنها بلادنا، توجد احزاب شيوعية موحدة لكل هذه القوميات لانها تضم الطليعة السياسية للطبقة العاملة في البلد المعني . وقد حسم حزبنا هذه القضية منذ الاربعينات حين دحر تأثير الافكار القومية البرجوازية واقام تنظيماً شيوعياً عراقياً موحداً، وليس حزباً شيوعياً عربياً وآخر كردياً .

ومع ذلك فلا أحد يستطيع اليوم احتكار الفكر الماركسي اللينيني، أو يحجب حق أحد في ان يقيم التنظيم الذي يريد . ولكننا نقول بثقة ان الاسترشاد الحقيقي بهذا الفكر، وبتجارب الحركة الشيوعية في بلادنا والعالم اجمع، لابد، ان يقود جميع المخلصين له إلى الالتقاء في إطار صيغة تنظيمية موحدة، ان لم يكن اليوم فغدا .

ونحسب ان ما نتطلع اليه من تطوير برامجنا واطرنا التنظيمية يمكن ان يهيء الوعاء الذي يلتقي فيه كل المناضلين الثوريين الذين يحملون الفكر الماركسي أو يتطلعون بجد لحمل هذا الفكر واستيعابه والاسترشاد به في نضالهم النبيل .

وسيعمل الحزب مستقبلاً في ميدان القضية القومية الكردية في الاتجاهات التالية :

* متابعة التطورات الايجابية على صعيد تفهم ودعم القضية الكردية داخلياً وعربياً ودولياً، وتحريك سياسته وشعاراته بما يقرب الشعب الكردي من تحقيق امانيه القومية .

* تأكيد استقلالية الحركة القومية الكردية، وتجنيبها التورط في المحاور التي تجعلها طرفاً سلبياً ازاء شعبها في مختلف الاقاليم، وازاء نضال الشعوب التي تناضل في دولها .

* بذل اقصى الجهود لايجاد إطار نضالي للاحزاب والحركات والقوى القومية الكردية في كردستان المجزأة، قادر على تجسيد مصالح الشعب الكردي، وتعبئة قواه، وتوحيد مواقفه ازاء القضايا الاساسية بمختلف الاشكال والصيغ النضالية المناسبة، بالتعاون والتنسيق مع حلفائه من الطلائع السياسية في حركة التحرر الوطني العربية، وفي المنطقة وفي المحافل الدولية .

* احياء المساعي المبذولة لارساء اسس التنسيق الدائم بين الاحزاب والحركات والقوى القومية الكردستانية، والاحزاب الشيوعية والعمالية في العراق، وتركيا وايران وسوريا، للتداول والتشاور والعمل المشترك، لصالح تحقيق مطامح الشعب الكردي على أرضية النضال الديمقراطي العام لشعوب هذه البلدان المتآخية مع الشعب الكردي والتوجه لتنضيج ظروف عقد مؤتمر قومي للشعب الكردي، يضع التوجهات والشعارات الرئيسية لنضاله .

* تعزيز دور الجبهة الكردستانية العراقية، وتوسيع نشاطاتها، وتذليل الصعوبات

التي تعاني منها، بوصفها رافداً وحدوياً اساسياً من روافد الحركة القومية الكردية، ودعم المساعي المبذولة لايجاد روافد نضالية مشابهة في اقاليم كردستان الاخرى، والتنسيق فيما بينها وصولاً لوحدة نشاطها على صعيد كل كردستان.

* ايجاد الاطر المشتركة لانبعاث ولتعميق الوعي الديمقراطي القومي واحياء تاريخ وتراث وثقافة وتقاليد الشعب الكردي وتوظيفها في المجرى العام لانجاز اهداف حركته القومية.

* اتاحة اوسع استقلالية ممكنة لمنظمة حزبنا في كردستان العراق، تنظيمياً وسياسياً في إطار وحدة الحزب الشيوعي العراقي، والتنسيق مع الاحزاب الشقيقة المعنية الأخرى، للعمل في اتجاه عام مشترك على هذا الصعيد، وايجاد الآلية المناسبة للتفاعل بين المنظمات الشيوعية العاملة في اجزاء كردستان، وبينها وبين جميع الاحزاب والقوى القومية الكردية.

* ايلاء اهتمام خاص بالاقليات القومية بايجاد المنابر الثقافية لابراز الشخصية التاريخية لهذه الاقليات القومية، وتجسيد مصالحها وتطلعاتها، واحتضان وتطوير كوادرها، ومواصلة البحث عن افضل الاشكال التنظيمية لتحقيق ذلك.

اشكال واساليب الكفاح

ان ممارسة اشكال الكفاح الثلاثة، السياسي والاقتصادي والفكري، رهن بالاوضاع الملموسة التي يتحرك في مناخها الحزب الثوري. وتغليب هذا الشكل أو ذاك، في هذه الفترة أو تلك، لا يعني التخلي عن الشكلين الآخرين، بل الجمع المنسق بينها في عملية جدلية تخدم في نهاية المطاف انجاز المهام والاهداف المرسومة. واستهدفت احدى أهم المعارك الفكرية اللينينية فضح دعاة تجريد الطبقة العاملة وحزبها من شكل الكفاح السياسي، بمختلف اساليبه ووسائله، وحصر نشاطها بالكفاح الاقتصادي المطلبي. والكفاح السياسي بوصفه الشكل الأرقى لتجسيد مصالح الطبقة العاملة، واداة تحقيق هذه المصالح، يكتسب فعاليته، من الاساليب العملية التي يتجلى بها بالاستناد إلى الحقائق الواقعية، بما في ذلك ميزان القوى، والاساليب التي يستخدمها العدو، ودرجة استعداد ونضوج الحركة الجماهيرية.

كما ان تنوع اساليب الكفاح السياسي، انما هو تعبير مباشر عن تنوع واختلاف الظروف الموضوعية حتى في إطار بلد واحد ومنطقة واحدة.

واحدى سمات الحزب الثوري البارزة هي براعته في الجمع بين اشكال الكفاح الثلاثة والاساليب المتنوعة لكل شكل، واتقانه فن تحديد الاسلوب الرئيسي للكفاح

السياسي، والمرونة في الانتقال من اسلوب كفاحي إلى آخر. علماً ان الكفاح السياسي هو جوهر كل نشاط الحزب بشكليه الاقتصادي والفكري، وبمختلف اساليبه، السلمية والعنفية.

وهذا الترابط الديالكتيكي بين اشكال الكفاح، والعلاقات المتغيرة فيما بينها، يميز اساليب الكفاح السياسي المتنوعة، السلمية والعنفية، السرية والعلنية، الجماهيرية والفوقية، والعديد من الاساليب التي تبرز وتتجدد في مجرى العمل الثوري: العمل الانصاري، الانتفاضات، المظاهرات والاعتصامات المسلحة، والسلمية وغيرها من الانواع الملموسة لاسلوبي الكفاح السلمي والعنفي.

ان تجريد أو حرمان الحزب من اسلوب ما انما هو تخل طوعي عن أحد مصادر قوته. كما ان استخدام أي اسلوب، دون حسبان توفر شروطه الموضوعية والذاتية، انما هو تبديد لقوة الحزب.

ان العلاقة بين سياسة الحزب واساليب كفاحه علاقة موضوعية جدلية. ولكن هذه العلاقة لا تتجلى ظاهرياً في حالة انسجام وتوافق. وهي اذ تغير اشكالها ومواقعها، في مجرى العملية الثورية، وتبعاً لتناسب القوى، تبدو، في لحظات معينة من اختلال التوازن، في وضع شديد التعارض.

ان السياسة الواقعية التي تتـ[illegible] على الحقائق الواقعية تنمو وتتطور وتتغير. وهي في ذات اللحظة تحمل تناقضاتها الخاصة التي ينبغي معالجتها بالاحتكام إلى حركة الواقع نفسه. وهذه الحركة في السياسة تتطلب حركة مترابطة شديدة الحساسية. لاساليب الكفاح ولتحقيق التطابق والانسجام بينها . ولابد من مراعاة تشخيص الاتجاه الرئيسي لحركة الواقع بكل تناقضاته، واتجاهات تطوره للتأثير في هذه الحركة، وتعديل هذه الاتجاهات بما ينسجم مع سياسة الحزب ووجهة نشاطه، مما يستلزم حشد طاقات الحزب الفكرية والسياسية في متابعة تطور الاحداث ومظاهرها المتنوعة.

وفي هذا السياق تخلفت قيادة الحزب عن تشخيص المستجدات التي تكاملت ملامحها البارزة عشية ايقاف القتال في الحرب العراقية ـ الايرانية، أو انها ادركت مكونات هذا الجديد، ولكنها لم تستطع مواجهة الحزب بمدلولاتها، وتحديد متطلباتها السياسية والتنظيمية، وتخلفت في اتخاذ التدابير الضرورية لتحصين الحزب، وتهيئته سياسياً وتنظيمياً ونفسياً للظروف الجديدة، التي تتميز بحالة الانحسار والانكفاء المؤقت، من جانب، وبروز امكانيات جنينية للوثوب إلى مواقع افضل سياسياً من جانب آخر، في إطار ذات السياسة العامة وهدفها الرئيسي، ولكن باعتماد اساليب سياسية جديدة نسبياً.

ورغم تقلص الامكانيات الواقعية لمواصلة النشاط الانصاري المسلح فان التردد في

مواجهة هذه الحقيقة، بسبب الفهم الدقيق لمَغزى تحريك اساليب الكفاح والخشية من التفسيرات السلبية لقاعدة الحزب «الحذرة من تقلبات القيادة الحادة»، حال دون اتخاذ مواقف سياسية وتدابير تنظيمية لمعالجة النتائج التي يمكن ان تترتب على نشاط غير محسوب العواقب في منطقة كردستان، رغم عدم حدوث شيء من ذلك حتى الآن.

لقد وسع صدام حسين من مناوراته السياسية، بالارتباط مع الظروف الدولية الجديدة والتحولات الديمقراطية التي تمخضت عنها، وتزايد الضغوط الداخلية عليه من شتى الجبهات، للافلات من مضاعفاتها المحتملة، وللحيلولة دون تسلل المبادرة من بين يديه.

وشهدت هذه الظروف تزايد دعاواه ووعوده باطلاق الحريات الديمقراطية، والتعددية الحزبية والسياسية، مستهدفاً، بذلك كله، تضليل شعبنا، والرأي العام العربي والعالمي، إلا ان هذه المظاهر السياسية تعكس أيضاً تضايق الحاكم العراقي المطلق من رياح الديمقراطية التي تهب على العالم من مختلف الاتجاهات، وتشدد الحصار على نظامه الاستبدادي، مما يثير القلق لديه على مستقبله السياسي ومصير دكتاتوريته الفاشية.

وهذا الوضع الحساس المتحرك، الواعد (بلا اوهام)، يتطلب حشد طاقة الحزب للهجوم على معاقل الدكتاتورية بكل الوسائل والاساليب السياسية المباشرة وغير المباشرة، وتعطيل مناورة الدكتاتورية، لا بالخوف من مبادرات الحزب، بل بتحصينها والالتفاف حولها، واشهارها دون تردد. ان البديل الديمقراطي لا يعني بأي حال غير الاجهاز على الدكتاتورية، ولهذا فان صدام حسين نفسه يرفض أي تنازل جدي عن سلطته المطلقة، غير القابلة للقسمة، فهل ينبغي على الحزب ان يخشى من المبادرة إلى الهجوم بوسائل سياسية لفضح الدعاوى الديماغوجية لصدام حسين؟

ان تراجع اسلوب الكفاح المسلح بشكله الانصاري وانحسار ميادينه وتضاؤل الامكانيات الفعلية لمواصلة النشاط الانصاري المسلح في مناطق كردستان، إلى حد كبير جداً، يجعل هذه المواصلة، بشكلها السابق، غير مجدية في الظروف الراهنة، بل وضارة. وهذا التراجع لا يعني انتصار النظام. فرغم النشوة الظاهرية فان التوتر من حوله يشتد ويتفاقم.

كما ان تصدر النشاط السياسي غير المسلح للحزب لا ينبغي بالضرورة ان يؤشر لفشل سياسته الثورية، أو تجريد الحزب من حق استخدام كل اساليب الكفاح عند نضوج شروطها الضرورية، بل يقتضي ممارستها بالاشكال الممكنة، مع الاعتراف الصريح باولوية وتصدر وسيادة اسلوب الكفاح السياسي، للتغطية على التراجع العام اولاً، ولاعادة تنظيم القوى ثانياً، ولتنمية الامكانيات لاستعادة زمام المبادرة من صدام حسين ثالثاً، **ولمجابهة وفضح مناورات الدكتاتورية ودعاواها الديمقراطية رابعاً، ولتحويل هذا النشاط**

بكل جوانبه إلى هجوم شامل لاختراق جذار الدكتاتورية خامساً، وفتح كوة فيه للانطلاق نحو الحركة الجماهيرية الواسعة. اخيراً.

اننا اذ نتجرأ على تجديد اساليبنا، لا نخلق فراغاً أو خيبة ثورية، بل متراساً من الخبرة والجهادية والاستعداد للتضحية يحمي حركتنا إلى الامام، ويمدنا بالثقة والشجاعة والمرونة على استخدامها مجتمعة لتحقيق بديلنا الديمقراطي.

ان التحول نحو تنشيط اساليبنا السياسية ما هو إلا تعبير عن ضرورة موضوعية للانتقال من اسلوب تراجع بسبب تغير الظروف إلى اسلوب آخر تفرضه موازين القوى الجديدة ومقتضيات اخراج الحزب من حالة الانتظار والتردد. وهذا التحول في الاساليب لا ينطوي، بأي شكل كان، على امكانية التخلي سياسياً عن جوهر سياستنا واهدافنا، المتمثل في الخلاص من الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي.

وفي هذه الظروف حيث تتراجع الاساليب الانصارية المسلحة، ولم تنضج بعد الظروف الملائمة للانتقال إلى النشاط السياسي الجماهيري الواسع، تتراكم لدى الرفاق الانصار وكل الشيوعيين الخبرة والكفاءة والطاقة للنهوض بمهامهم السياسية والدفاعية، والاسهام في تشديد عزلة الدكتاتورية وتعزيز مواقع الحزب التنظيمية، وبذل اقصى الجهود لرفع استعداد ابناء الشعب، وجرأتهم على النضال، وكسر حاجز الخوف في صفوفهم، والقيام بكل ما من شأنه التعجيل بتنمية عوامل نضوج الوضع الكفيل بانتزاع المبادرة من السلطة، ونقلها إلى المعارضة الوطنية والشعب، وتكامل وسائل ازاحة الدكتاتورية وتحقيق البديل الديمقراطي.

خامساً:

الوضع السياسي الراهن ومهام الحزب المباشرة

صاغت اللجنة المركزية في اجتماع آذار ١٩٨٩ المنطلقات السياسية والفكرية والتنظيمية، لتحرك الحزب ونشاطه في الظروف النضالية الجديدة التي تكونت نتيجة توقف الحرب العراقية ـ الايرانية، وحملة الابادة الكيمياوية التي تعرضت لها منطقة كردستان.

وكانت اللجنة المركزية، وهي تضع تقديراتها وتصوراتها للاوضاع المعقدة الناشئة توّاً في البلاد، في اعقاب حرب مدمرة استمرت ثماني سنوات، والمتميزة في جانبها السلبي الرئيسي بالانكسار العسكري في ساحة نشاط حركة الانصار الباسلة، تدرك مدى

الصعوبات والاعباء التي ستواجهها الحركة الوطنية برمتها، ومنها حزبنا، مما يتطلب بحثاً جاداً معمقاً لتشخيص واستيعاب ما استجد في الوضع على كل الاصعدة، لاجراء التعديلات الضرورية في اساليب الكفاح ومضامينها في معرض تقييم ملامح المرحلة الجديدة نسبياً، وتجديد مستلزمات التصدي للمهام التي تطرحها.

وأملى هذا الموقف الاحساس بالخطر المحدق، المتمثل في الاختلال الخطير في توازن القوى لصالح النظام، وتزايد فرص امرار مناوراته السياسية، وحملاته القمعية والعسكرية ضد فصائل الحركة الوطنية، في حمّى انتصاره الحربي الموهوم اولاً، وفي جو الخيبة والاحباط والشعور بالانكسار وفقدان الأمل، الذي بدا كما لو انه يسود اوساطاً واسعة من الحركة الوطنية العراقية، والكردية منها خصوصاً، ثانياً، مما يحتمل ان يتحول بفعل عوامل عديدة أخرى إلى هزيمة سياسية يصعب تجاوز آثارها بسهولة.

وليس من السهل في ظروف الصراعات الدامية، التي تخوضها الشعوب، الاقرار بالتراجع والانكسار، ناهيك عن الهزيمة، ولو كان ذلك مؤقتاً وحصل في موقع لا يقرر مصير المعركة النهائية. كما يصعب في مثل هذه الظروف الاقرار بقوة العدو، سواء من حيث الوسائل والعدة، أو القدرة على المناورة للتنفيس عن الازمة المتفاقمة التي تشدد الخناق عليه، دون ان تتوفر، بعد، عوامل تفجيرها لحسم المعركة ضده، ولو ان مثل هذا الاقرار، في ظل توازن غير موآت، من شأنه اتاحة فرص ثمينة لاعادة اصطفاف وتجميع القوى استعداداً لمعارك آتية لا ريب.

ويصبح اتخاذ مواقف تاريخية مسؤولة أكثر صعوبة أمام الاحزاب الثورية، خصوصاً حينما يتعلق الأمر باجراء تعديل أو تغيير في الاساليب والشعارات، أو اعادة ترتيب في التوجيهات البرنامجية الآنية، يوحي كما لو انه تخل عن الهدف الرئيسي، أو ارتداد ونكوص عن النضال الصعب، وسقوط في كمائن الوهم السياسي.

وفي ظل الظروف الملموسة لبلادنا حيث تستبيح فيها الدكتاتورية الشعب والوطن والارواح والثروات والاعراض والقانون والدولة، ويخضع كل شيء لارادة الدكتاتور الفرد، يحتاج الحزب والحركة الوطنية ومناضلوها إلى قدر غير اعتيادي من الجرأة السياسية الثورية لاتخاذ أي موقف يتعلق بمجرى الصراع، حتى وان كان في نهاية الأمر يستجيب لتحقيق ذات الاهداف والتوجهات الثورية.

كانت هذه المؤشرات تسود الاجواء السياسية عشية اجتماع اللجنة المركزية لحزبنا في آذار ١٩٨٩. وفي تلك الفترة بالذات، أخذ النظام ينشط مناوراته السياسية، التي بلغت أوجها في الحديث عن التوجه لاقرار «التعددية السياسية والحزبية» و«اعلانات العفو» المتكررة، والعزم على اجراء «الانتخابات الحرة» و«اشاعة الديمقراطية»، وغيرها من

القرارات والتصريحات والمبادرات.

وتوجه رسل ووسطاء مكلفون ومبادرون لاقناع الاطراف السياسية في المعارضة الوطنية «لاقتناص الفرصة والاسهام في اعادة بناء الوطن»، والحياة السياسية في ظل الحريات والتعددية التي يجري التمهيد لها تشريعياً حسب الاعلان الرسمي.

واقترنت هذه «المبادرات» و«الوعود» و«الاعلانات» بحملة تمويهية مضللة واسعة لدى اوساط وشخصيات مؤثرة في حركة التحرر الوطني العربية، واوساط صديقة دولية، تستهدف احراج الحركة الوطنية العراقية، والايحاء كما لو انها ترفض ابداء أي مرونة في مواقفها للمشاركة في اخراج البلاد من ازمتها، واتخاذ مواقف مسؤولة تحقق «المصالحة والوحدة الوطنية».

وكانت اصداء هذه الحملة التضليلية تتردد في مناسبات عديدة وتنطوي على لوم الحركة الوطنية على مواقفها السلبية من «مبادرات النظام»، كما لو كانت هناك حقاً مثل هذه المبادرات والعروض. وكان من الصعب اقناع اوساط غير قليلة عربية وغير عربية بلا جدية دعاوى صدام حسين بالعفو والمصالحة الوطنية والحوار والتعددية السياسية والانتخابات. وكان من الصعب للغاية اقناع بعض هذه الاوساط بعمق ازمة هذا النظام، وحق شعبنا في ممارسة كل أشكال النضال للخلاص منه، لاسباب عديدة، وخصوصاً في جو «الانتصار القومي» المزعوم الذي حققه صدام حسين في قادسيته المشؤومة. وفي ظل هذه الاجواء غير الملائمة، كان على اللجنة المركزية ان تتصدى بجرأة، ودون اوهام، لاعلان موقفها ازاء قرارات السلطة و«مشاريعها» و«مبادراتها»، بما في ذلك ما ورد منها مع «وسطاء» غير رسميين.

وكان أمام اللجنة المركزية في اجتماع آذار ١٩٨٩، رغم قناعتها بان تغييراً نوعياً لم يطرأ على طبيعة النظام أو نهجه الاستبدادي أو اصراره على الاستئثار بالحكم، ان تعلن اعتماد الحوار كاسلوب كفاحي واستعداد الحزب لاجراء أي حوار مع السلطة، شرط ان تشارك فيه اطراف المعارضة الاساسية، وعلى ان يكون علنياً ويستجيب لتطلعات الشعب ويحقق اهدافه في اقامة بديل ديمقراطي وسلمٌ دائم وطيد.

وعبرّ الحزب بموقفه هذا عن شعوره العالي بالمسؤولية، ومكن نفسه بذلك من اجراء تقييم شامل للمستجدات والتمهيد لتدقيق وتعديل واغناء سياسته وتوجهاته البرنامجية، وتطوير بنيته الداخلية وتعزيزها، آخذاً بالاعتبار الانعطافة العميقة الجارية في الحركة الشيوعية وفي العالم كله، منطلقاً في تفاعله معها من الخصائص الوطنية وتمايز ظروف نضاله، مستهدفاً بذلك الارتقاء بعمل الحزب كله إلى مستوى التحديات والمهام المعقدة الراهنة.

ان صدام حسين، اذا احتكمنا إلى التجربة التاريخية، ووقائع الحياة الصلدة، وهو يكرر اعلان «العفو والتعددية والمصالحة والحريات»، ظل يراوح في مكانه ويدور في حلقة مفرغة، لا تتعدى حصيلتها مواصلة السعي لتضليل الرأي العام العراقي والعربي والدولي، متوهماً انه بذلك كلي القدرة للتغطية على نهجه وسياسته التي تتعارض مع أي مسعى لاخراج البلاد من المأزق الذي دفعها اليه.

والنتائج الفعلية على هذا الصعيد اصبحت واضحة للعيان، مقروءة ومرئية ومعاشة. فالعفو الذي جرى اعلانه وتكراره، بصيغ مختلفة، لم يسفر إلا عن عودة نسبة ضئيلة من المهجرين، بمن فيهم الاكراد الذين عادوا من تركيا. واغلبية هؤلاء العائدين تعرضوا إلى انتهاكات صارخة ومصائر بعضهم غير معروفة حتى الآن. بل ان هذا «العفو» الذي فشل في استدراج مئات آلاف المهجرين والمهاجرين لم يوقف اتساع الهروب والهجرة إلى خارج الوطن، حتى باتت اعداد تجمعات المهجرين والمهاجرين تقارب المليون مواطن عراقي، وهم يعيشون، في الغالب، في ظروف بالغة القسوة، حيث الغربة القاسية وضنك العيش والتشرد والحنين الموجع إلى ارض الآباء والاجداد، إلى الوطن الحبيب.

وتتابعت التطورات بالاتجاه الذي يكشف عن طابع المناورة المؤقت لدعوة النظام الخجولة للحوار. وخلافاً للمنطق فان قرارات «العفو» المعلنة، و«التعددية» اقترنت بالمزيد من القرارات والقوانين والتدابير العملية التي شددت الارهاب بوتائر لم يسبق لها مثيل ليشمل آلاف المصريين العاملين في العراق، وليطال «ابطال القادسية» نفسها من حملة «الاوسمة» و«شارات النصر»، من الجنود وضباط الصف والضباط الكبار، دون ان ينجو منها ذوو القربى من افراد العائلة الحاكمة نفسها.

واتخذ الارهاب في ظل هذه السياسة طابعاً شمولياً نوعياً، بالارتباط مع تهديم مدينة قلعة دزه وقصباتها، وعمليات التهجير التي لم يسبق لها مثيل، وهدم المدن والقصبات الكردستانية واخلاء المناطق الحدودية مع ايران وتركيا وسورية بعمق ٣٠ كم، وما رافقها من تصفيات جسدية وعذابات لا حدود لها تعرض لها ابناء الشعب الكردي، وكذلك الحملة الارهابية على منطقة الاهوار في اوائل هذا العام.

وتجلت الحملات الارهابية المشتدة بجوانبها المختلفة، في الاعدامات والتصفيات الجسدية والاعتقالات في شتى مناطق البلاد، والاحالات العسكرية على التقاعد، والتنقلات الواسعة في صفوف قيادات القوات المسلحة، وفي مواقع فرقها واستمرار التآكل في الاسرة الحاكمة.

وظل الوضع في البلاد يتدهور على كل صعيد، منذ ايقاف القتال، حيث تعمقت تفاعلات ما بعد الحرب، وبدأت التساؤلات تتشكل بمزيد من الوضوح حول مختلف

القضايا التي تتعلق بالحرب ونتائجها المأساوية التي شملت سائر ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية. وفيما حاول النظام الحيلولة دون تفاقم الصعوبات باجراءات ادارية تنفيسية، ازدادت المصاعب الحياتية لشرائح متسعة من المجتمع لتشمل كل ذوي الدخل المحدود، بمن فيهم الغالبية العظمى من موظفي الدولة، وتجسدت هذه الصعوبات في ارتفاع معدلات التضخم، وما يتمخض عنه من ارتفاع جنوني للاسعار، واختفاء الكثير من المواد، مضافاً إلى كل ذلك اعباء الضرائب والسوق السوداء، وانضمام الاف جديدة من المسرحين وغيرهم إلى جيش العاطلين عن العمل وسوق العمالة المأزومة اصلاً.

ان المظهر الأكثر أهمية، من وجهة سياستنا ومن حيث عواقبه وتأثيره على تحديد المضمون السياسي لتوجهات النظام وانعكاسها على نشاط ومواقف قوى المعارضة، تمثل بشكل صارخ فيما تمخضت عنه ادعاءات رأس النظام وقراراته حول «نقل البلاد إلى الحياة الديمقراطية» واقرار «التعددية»، واجراء «الانتخابات البرلمانية»، وما اقترن ويقترن بذلك كله من صخب اعلامي.

ان محاضر مناقشات «مجلس قيادة الثورة»، المنشورة في اواخر كانون الثاني ١٩٩٠ تعرض بشكل ساطع مفهوم صدام حسين «للديمقراطية». فهذه المناقشات تفضح اصراره على رفض أي تراجع حقيقي مهما كان جزئياً، بل وتظهر الاصرار على تزيين صورة الدكتاتورية بمواصلة ممارسة ذات السياسة بأساليب واشكال جديدة، وتكشف طبيعة التطبيقات «الديمقراطية» التي يسعى لانتهاجها، لصد رياح التغيير والديمقراطية التي تجتاح العالم.

وتشدد مطالعات اعضاء المجلس على الضوابط «المبدأية» التي تبدو بصورة اشتراطات واستثناءات تشمل جميع الاحزاب والقوى الوطنية المعارضة.

وصدام حسين لا يفكر باعطاء حق العمل السياسي الحزبي، على حد تعبيره هو نفسه في المحاضر المشار اليها سابقاً، إلا لمن يركضون مع حزبه «ضمن إطار ومنطلقات ثورة تموز ومفاهيمها» (المقصود بالثورة سيطرة حزبه على السلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨). اذ «على اساس هذه المفاهيم تفتح المجال أمام من يريد ان يؤسس احزاباً». و«الاطار لتشكيل احزاب جديدة هو فكر الثورة» والاحزاب التي يريدها «يجب ان تتعامل بحرص مع تجربة الثورة والقادسية وانجازاتها».

ومن أبرز جوانب هذه التجربة سيطرة زمرة ضئيلة تأتمر بأمر صدام نفسه هي «مجلس قيادة الثورة»، الذي يريده صدام ان يظل «المؤسسة السياسية العليا في الدولة التي تنبثق عن قرار من القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي». ولا يكتفي بكل هذا ويقول

بالنص، بشأن الدستور الذي يريد فرضه على الشعب في ظل الاوضاع الدكتاتورية السائدة في البلاد: «وعلينا ان نضع مادة في الدستور، وان تكون سارية المفعول لعشرين سنة في الاقل تقضي بان كل واحد ليست لديه اسهامات في القادسية الثانية، لا يسمح له بالانتماء لهذه الاحزاب وبتأسيسها، في الاقل، وكل مفصول من حزب البعث العربي الاشتراكي لا يسمح له بالانتماء إلى الاحزاب على الاطلاق، وكل محكوم من محكمة الثورة. . .».

فهل لكل هذا صلة بالديمقراطية التي ينشدها شعبنا، وبالتغيير الديمقراطي الحقيقي الذي بات مطلباً لكل الحريصين على مصالح الشعب والوطن؟

ان خلاصة خطة صدام حسين في التعددية يمكن ان تتمثل في الآتي، استناداً إلى مناقشاته مع اعضاء القيادة:

١ ـ حصر حق تشريع الدستور الجديد في يده ويد اللجان التي يختارها، أي حصر هذا الحق في يد حزب البعث الحاكم.

٢ ـ اجراء «انتخابات» للمجلس الوطني قبل اعطاء حرية للاحزاب.

٣ ـ اعطاء «حرية» اقامة احزاب بشرط التزامها بفكر «الثورة»، وبشرط مساهمة مؤسسيها واعضائها في القادسية.

٤ ـ التوكيد على اقامة نظام رئاسي مع سلطات استثنائية للرئيس.

واذا كان «التغيير الديمقراطي» الذي يعدنا به صدام حسين، لا يلبي الحد الادنى من التطلعات الديمقراطية، واذا كان مجرد اجراء تجميلي، أو مناورة تنفيس، واذا كان الحوار المنشور والخلافات المعلنة داخل القيادة الحاكمة هو مجرد مسرحية، فما هي العوامل الدافعة لاخراج هذه المسرحية بالذات؟ الجواب عن هذا هو ضغط الظروف الموضوعية وتوتر الوضع الداخلي، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ونفسياً، وانطلاق تيار التعددية عالمياً وعربياً (رغم تفاوت اشكاله ودرجاته وظروفه ونتائجه) الذي يخلق بيئة داعمة ومشجعة لما يمور تحت سطح المجتمع العراقي.

وعليه فان مناورة صدام حسين تقود إلى تعددية شكلية وواحدية فعلية، وهي في جوهرها استباق لاحتمالات انفجار التوتر.

ولا يمكن بل لا ينبغي التقليل من الاثر التخديري للديماغوجيا الرسمية، خصوصاً وان قوى المعارضة، بما فيها حزبنا، محرومة من وسائل الاتصال بالرأي العام للتعبئة والتنوير. ان من الصعب ان نحدد بدقة مدى التأثير المخدر لهذه المناورة على مختلف القطاعات الجماهيرية. ولكن يمكن الافتراض، من جهة، ان لها صدى معيناً. ومن جهة أخرى، لها اثر معاكس من الشك والريبة، لدى القطاعات التي تعرف طبيعة النظام والاعيبه وسطوة اجهزته والتي تفقد الثقة بكل من يبدي ثقة بالنظام، حتى وان كان ذلك من باب

التعاطي التاكتيكي قصير الامد.

وعليه ينبغي لتاكتيكاتنا السياسية العملية ان ترتكز إلى جملة حقائق علمية (نظرية) تتعلق بمجمل خصائص النظام المكشوفة تاريخياً، وعدم امكان انتقالها سلمياً إلى بيئة سياسية تعددية دون هبّة أو ضغط جماهيري مؤثر، من جهة، وان ترتكز، من جهة أخرى، إلى امكان وجود ثنائية القطاعات المخدرة ديماغوجيا والقطاعات الرافضة لأي تعاطٍ مع النظام، وضرورة ان تنعكس تاكتيكاتنا المرنة هنا، في عملنا الدعاوي والتحريضي (الاعلام) بطريقة تأخذ بعين الاعتبار هذين المزاجين اللذين يعكسان، موضوعياً، الطبيعة المزدوجة لتحرك النظام نفسه.

ونشدد على ذلك لأن التحرك والمبادرة وابداء المرونة ازاء مناورات النظام تجري في وضع صعب، وضع انحسار حركة الانصار، وتفاقم الاعباء النفسية وشعور الاحباط الناجم عن ذلك، وكذلك الناجم عن جملة التطورات في البلدان الاشتراكية، وتأثيراتها السلبية على المزاج الجماهيري، بوجه عام.

وقبل الدخول في اشكال التاكتيكات الممكنة ينبغي تثبيت جملة حقائق:

١ - ان نظام الحزب الواحد، والديكتاتور الفرد، لا يتلاءم تلاوءماً معقولاً مع حاجات التطور الرأسمالي. فالدولة، ازاء كل رأسمالي منفرد، هي كائن كلي الجبروت، ويضطر الرأسماليون إلى اسلوب الرشوة، والمصاهرة، والتقاسم مع اقطاب النظام واقربائهم وازلامهم للحفاظ على فرصهم، أو لمجرد النجاة بجلدهم احياناً.

من ناحية أخرى تمتد شبكة العلاقات الاسرية والعشائرية لاقطاب النظام لتكون قناة للحصول على المقاولات وشراء المؤسسات بابخس الاثمان، فئة رأسمالية جديدة تقوم كفاءتها في درجة القرابة مع النظام، مما يضعف الفئات والقطاعات الاخرى من الرأسماليين.

كما ان سطوة الاجهزة وانفلاتها يضعان حتى المصائر الشخصية للرأسماليين في مهب الريح، رغم ان النظام يضمن، من ناحية ثانية، ضبطاً صارماً لقوة العمل يخدم، في جانب، اسكات أي تحرك للعمال لتحسين الاجور وشروط العمل، ويؤدي، في جانب، إلى توتير الجو الاجتماعي مما يهدد بالانفجار.

٢ - ان الانتقال إلى التعددية في بلدان العالم (تشيلي، جنوب افريقيا، الباكستان وقبلها ايران عام ١٩٧٩) وفي البلدان العربية (الجزائر، تونس، ومؤخراً الاردن)، بل حتى في البلدان الاشتراكية، لم يتحقق دون هبّات جماهيرية ودون تضحيات جسام، ودون بحار من الدم احياناً، لتغيير ميزان القوى بين الشعب والسلطة. صحيح ان النقلة للتعددية جاءت احياناً باستجابة من النخب الحاكمة (الجزائر، الاردن) لكن الاستجابة لم تتحقق

بدون ضغط قاعدي هائل قد يتخذ في العراق صوراً مرعبة، تفوق ما حصل في (الجمعة الحزينة) في طهران ١٩٧٨، وتفوق ما حصل في رومانيا. وينبغي لتاكتيكاتنا ليس فقط (أ) ان تراعي المزاجين المتناقضين جماهيرياً، بل أيضاً (ب) مصالح العمال والفلاحين في مناخ ديمقراطي لتحسين شروط عيش وعمل معقول، في ظل المستوى المتاح من التطور الراهن (جـ) مصالح عموم الفئات الشعبية في التعبير عن مطالبها الاجتماعية وتطمين جانب من مصالحها الاساسية (د) مصالح الرأسمالية المتنامية في توفر مناخ ديمقراطي بحدود معينة، وسلمي للنشاط المنتج.

٣ ـ ان كل تاكتيكات الحوار، والهجوم السياسي، ينبغي ألا تتقاطع مع مساعي الاعداد لهجوم شعبي، أياً كانت صبغته، سلمياً أو عنفياً، يستهدف تحقيق البديل الديمقراطي، بل ينبغي ان تخدم هذا المسعى، الذي لا يجوز اخفاوءه لا عن الحزب ولا عن الجماهير، واستخدام هذا ايضاً لاحداث فرز في قاعدة النظام الاجتماعية، من جانب، وقاعدته السياسية من جانب آخر (قواعد الحزب الحاكم، بعض كوادره القيادية)، والتذكير بمصير حزب (راستاخيز) وجهاز السافاك وغيرهما.

هذه هي العناصر الثلاثة التي ينبغي ان ترتكز عليها معركتنا.

* * * *

ان التناقضات التي تجيش في خلايا المجتمع العراقي لا تتوقف، لا على رغبة الحاكمين ولا على رغباتنا. ويتحسس النظام، رغم تبجحه بالنصر العسكري ـ السياسي من جهة، واعترافه ببعض جوانب الازمة الاقتصادية، من جهة أخرى، يتحسس التوتر الاجتماعي ويحاول استباقه بالالتفاف عليه.

وتتركز التناقضات الاجتماعية ـ الاقتصادية في مظاهر عديدة لخصها تقرير اللجنة المركزية (آذار ١٩٨٩) في الحرب وتفاعلاتها، واستحقاقاتها السياسية والاجتماعية والعسكرية والنفسية، وحالة اللاسلم واللاحرب، وفي حالة الارهاب المنفلت سياسياً واجتماعياً وقومياً وطائفياً ودينياً.

ان ضعف الاعمال الجماهيرية الملموسة الآن حقيقة واقعة، ولكن حضور التناقضات العميقة حقيقة واقعة هي الأخرى. ولا يمكن للواقعية السياسية ان تنطلق من الحقيقة الاولى وتترك الثانية، أو تنطلق من الثانية دون أخذ الاولى بنظر الاعتبار. فكلا الحالين جزئي ويقودنا إلى مصاعب سياسية جدية. فالحال الاول يقودنا باسم الواقعية إلى الاستسلام الكامل، والحال الثاني يقودنا باسم ثورية (كامنة) غير متحققة، بعد، إلى الانفصال الكلي عن الواقع. ونلحظ هذين الميلين في المحاكمات والتفسيرات وسط كادرنا ووسط الحركة الوطنية.

ان قدرة الحزب على ادراك حركة الاحداث واتجاهها، عبر المتابعة الدقيقة، العلمية المتأنية، الآنية والبعيدة، من شأنها ان تتيح له رسم تاكتيكات واقعية ثورية تسمح بالتعبئة التدريجية للقوى التي لها مصلحة الآن، أو التي ستكون لها مصلحة محتملة (لحماية الذات مثلاً) في أي تعديل أو تغيير ديمقراطي، جزئي أو جذري.

ومن شأن الرسم الصحيح للمهمات وشرحها بلا كلل لقواعد الحزب ولجماهيره وايصالها إلى الجماهير العريضة، وإلى قواعد الحزب الحاكم، وإلى أوسع الفئات الاجتماعية، ان يسهم، مع الاشكال التنظيمية الملائمة، في بناء الضغط المتواصل، وصولاً إلى الضغط الشامل، فالهبّة الجماهيرية، لتحقيق اختلال التوازن لغير صالح النظام، واجبار اقطابه، حماة البنية الدكتاتورية الواحدية، على اخلاء الموقع كلاً أو جزءاً.

ويمكن تحديد جملة من هذه المهمات الاساسية بـ:

أ ـ النضال من أجل انهاء حالة الحرب بين العراق وايران واقامة سلم وطيد بينهما، بما يخدم مصالح البلدين ويضمن سيادتنا الوطنية.

وتتفرع عن هذه المهمة وترتبط بها مهمات أخرى: التبادل الشامل للاسرى والانسحاب إلى الحدود الدولية للبلدين وحل نزاع الحدود، بما فيه موضوع شط العرب، بالطرق السلمية وفقاً لقرار مجلس الأمن ٥٩٨، وتسريح المجندين المتطلعين لحياة مدنية سلمية وتوفير فرص عيش كريم لهم، واعانة المعوقين والمشوهين واسر الضحايا على ايجاد فرص عيش مضمون، والكف عن بناء صناعات عسكرية ضخمة تبتلع اموالاً هائلة نحن احوج ما نكون اليها للبناء السلمي.

ان حل قضايا الحرب والسلم، وبناء سلم وطيد يقوم على احترام السيادة الوطنية، فعلاً لا قولاً، وعلى تطمين الحقوق الوطنية لبلادنا، وتوسل الوسائل السلمية لذلك، وتوجيه الموارد المادية والبشرية وجهة البناء السلمي لا البناء العسكري المفرط، وغير المبرر، ان ذلك كله يقتضي، قبل كل شيء، توفر مناخ ديمقراطي يتيح للشعب ان يأخذ هذه القضايا بين يديه، لا ان يتركها للتلاعب والمناورات والتسويف والمماطلة.

ب ـ سياسياً:

المطالبة باقامة نظام سياسي ديمقراطي يقوم على حرية العمل السياسي والحزبي والمهني والنقابي، وحرية الصحافة والتعبير والاضراب والتظاهر، وحرية العبادة والضمير الخ، واجراء انتخابات حرة، نزيهة، في إطار دستور يشرعه ممثلو كل التيارات والقوى السياسية والاجتماعية، واقامة نظام برلماني على **أساس التمثيل النسبي**، وحل كل الهيئات التي تعلو على هذه الهيئة التشريعية العليا (البرلمان)، وضمان **مبدأ الفصل بين السلطات** وخضوع السلطة التنفيذية للمحاسبة من قبل مجلس الامة (البرلمان) والأخذ بنظام انتخاب

الرئيس من البرلمان. وباختصار اقامة دولة القانون، ودولة حقوق الانسان ودولة الحريات.

جـ ـ اقتصادياً ـ اجتماعياً

وضع برنامج يخدم في الاساس مهمات النهوض بالانتاج الوطني، بمشاركة الدولة والرأسمال المحلي الكبير والمتوسط والصغير ومشاركة مختلف المنتجين بهدف تطوير القوى المنتجة في بلادنا، والتعاون مع الرأسمال العربي، والمؤسسات العالمية الرأسمالية وغير الرأسمالية في إطار النشاطات المثمرة انتاجياً، أو غير المنتجة لكن الضرورية للانتاج، ودعم كل الفئات الاجتماعية التي تعمل في هذا الاطار وتمييزها عن النشاطات ذات الطابع الطفيلي غير المنتج. وحماية مثل هذه الوجهة في التطور تتطلب مناخاً ديمقراطياً يوفر الطمأنينة.

ان التطور الرأسمالي يمتلك، إلى جانب وجهه الايجابي (النهوض باقتصاد البلاد ورفعها حضارياً)، وجهاً سلبياً هو الآثار الاجتماعية والاقتصادية على جماهير العمال وكل الشغيلة، التي ينبغي حمايتها بالحدود الممكنة لمستوى التطور الراهن، والتي تحتاج إلى اطر مهنية ونقابية لحماية مصالحها، ورفع مستوى معيشتها، وتأمين شروط عيش كريم لها، وعقود عمل جماعية، لضمان تناسب الاجور مع الارتفاع الفاحش للاسعار الذي لم يسبق له مثيل.

ان الانتقال إلى بنية سياسية ـديمقراطية لن يكون، هو بذاته، المفتاح السحري لحل كل المعضلات، معضلات الحرب والمديونية، والازمة الاقتصادية، والارهاب، والاضطهاد القومي. لكن هذا الانتقال هو وحده الذي يخلق الممهدات لحلها، أو التعاون لحلها، في اجواء الحوار الديمقراطي ومناخ الحريات.

ان كل يوم يمر مع بقاء هذه المعضلات وتفاقمها يزيد من احتمالات انفجار وخيم قد لا يترك فرصة حتى لقواعد بعض قادة الحزب الحاكم، ممن ينشدون التغيير الديمقراطي، ويعانون هم أيضاً من سيف الارهاب المسلط عليهم، إبعاداً واعداماً وقتلاً وتشريداً. ان هؤلاء مدعوون إلى الاسهام في النضال، قبل فوات الاوان، من أجل انقاذ البلاد مما آلت اليه بسبب الدكتاتورية والحرب والطائفية المقيتة والسياسة الشوفينية ضد الشعب الكردي والاقليات القومية.

وعليه ينبغي النضال من أجل:

١ ـ الغاء الاوضاع الاستثنائية، واطلاق سراح جميع المعتقلين والسجناء السياسيين.

٢ ـ السماح بعودة المهجرين والمهاجرين من ابناء الوطن، وتعويضهم عن الاضرار التي لحقت بهم.

٣ ـ اطلاق الحريات الديمقراطية، من حرية صحافة وتنظيم حزبي ونقابي، وحريات اضراب وتظاهر وتجمعات.

٤ ـ ضمان ممارسة الشعب الكردي لحقه في الحكم الذاتي الحقيقي وازالة كل ما لحق بكردستان العراق وابنائها من تهجير وتخريب وملاحقة وقمع.

٥ ـ الغاء المؤسسات القمعية والاجهزة السرية، واحترام استقلال القضاء ومقاضاة مرتكبي جرائم التعذيب والقتل والمسؤولين عنها.

٦ ـ احترام حرية الفكر والعقيدة والدين والمذهب.

٧ ـ الغاء قانون الحزب القائد، والمؤسسات غير المنتخبة، مثل مجلس قيادة الثورة.

٨ ـ تشكيل حكومة وطنية تضم كل القوى السياسية، تتولى اجراء انتخابات حرة مباشرة على أساس قانون ديمقراطي لانتخاب مجلس تأسيسي يشرع دستوراً ديمقراطياً، ويثبت الاسس القانونية لحياة ديمقراطية راسخة.

٩ ـ الخروج من حالة اللاسلم واللاحرب، وتثبيت خيار المفاوضات السلمية من أجل تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٥٩٨، بما يضمن مصالحنا الوطنية، ويحفظ حسن الجوار بسلام وطيد وعادل يؤمن تبادل الاسرى سريعاً وعودتهم إلى اسرهم، وتسريح المجندين التواقين إلى الحياة المدنية الآمنة، وتأمين فرص العيش الكريم لهم وللمعوقين من ضحايا الحرب.

١٠ ـ تطوير الاقتصاد الوطني في كل المجالات ووقف سياسة النهب والتبذير وضمان فرص المساهمة المضمونة لكل النشاطات المنتجة، بما يخدم تطوير بلادنا، وزيادة الانتاج، بما يؤمن من احتياجات الجماهير الشعبية وتأمين فرص عمل كافية لكل القادرين عليه، وضمان تقدم بلادنا الحضاري والعلمي.

١١ ـ تلبية مطالب العمال بزيادة الاجور ووقف الانتهاكات والتجاوزات التي يتعرضون لها عن طريق اطالة يوم العمل وفرض الاستقطاعات والغرامات التعسفية عليهم. والسماح لعمال قطاع الدولة باستعادة تنظيمهم النقابي، وباقامة تنظيم نقابي للموظفين يدافع عن مصالحهم، وضمان استقلالية التنظيم النقابي.

١٢ ـ رعاية مصالح الفلاحين بتأمين الارض لمن لا أرض لهم، والعمل على رفع مستوى معيشتهم المادي والثقافي.

خاتمة

ان حزبنا الشيوعي العراقي يسعى، بجد، لاستنهاض كل قوى شعبنا للخلاص من الدكتاتورية وتحقيق البديل الديمقراطي. ويعتزم التصدي للنهوض بهذه المهمة ابتداءاً بتدقيق سياساته، هو بالذات، واغنائها بالشعارات التي تنسجم مع تطور الاوضاع داخلياً وعربياً وعالمياً، والامكانيات النضالية المتاحة. وبالعمل على تمتين اوضاعه الداخلية بتجنيد طاقات كل رفاقه واصدقائه ومؤازريه، وعودة كل الذين مايزالون منشدّين إلى مثل الحزب وتاريخه النضالي، إلى صفوفه، ويدعو الجميع للاسهام في تحقيق هذه المهمة النبيلة.

وسيبذل حزبنا كل ما يملك من طاقة للتعاون مع الاحزاب والمنظمات والقوى الوطنية لبناء العراق الجديد، عراق السلم والديمقراطية والازدهار، عراق الحريات ودولة القانون والحكم الذاتي الحقيقي للشعب الكردي.

الديمقراطية داخل الحزب

لقاء مع الرفيق كريم أحمد

تجري داخل حزبنا الشيوعي العراقي، منذ مدة ليست بالقصيرة، نقاشات واسعة وحيوية لمختلف القضايا السياسية والفكرية والتنظيمية في حياة الحزب. ويغتني هذا النقاش بالآراء والاجتهادات العديدة.

ومن القضايا التي تستأثر بالاهتمام مسألة الديمقراطية في الحياة العامة واشكال ممارستها. وفي إطار هذا النقاش اجرت «الثقافة الجديدة» لقاءً مع الرفيق كريم أحمد عضو المكتب السياسي تكرس الحديث فيه لهذه المسألة، آملين استمرار النقاش حولها من قبل الشيوعيين وسائر الوطنيين الطامحين إلى البديل الديمقراطي.

الديمقراطية هدف رئيسي للشيوعيين

● منذ بضع سنوات يعير حزبنا، في وثائقه وادبياته وشعاراته، إهتماماً متزايداً لقضية الديمقراطية السياسية. هل يمكن القول انها سياسة جديدة أو تجديد لسياسة قديمة. تعرضت لنوع من الاهمال؟

- من المبادىء الرئيسية للماركسية اللينينية التي تشاد على أساسها الاحزاب الشيوعية ممارسة النضال لتحقيق اهدافها، إلا أن السلطات البرجوازية الحاكمة واجهت نضالات

الجماهير الشعبية السلمية بالعنف ولم تترك لها خياراً آخر غير مقابلة هذا العنف بالدفاع عن نفسها والسير قدماً لتحقيق اهدافها وبالاساليب الكفاحية العنفية كرد فعل لاستخدام السلطة العنف الرجعي. ان النضال من أجل بناء النظام الاشتراكي هو، في جوهره، نضال من أجل الديمقراطية السياسية والاجتماعية. فسواء تهيأت الظروف لكي تواصل الجماهير الشعبية نضالها بالوسائل السلمية أو فرض عليها ان تلجأ إلى استخدام اسلوب النضال العنفي، فان الديمقراطية السياسية ضرورة لابد منها كيما تتحقق الاهداف النهائية للطبقة العاملة وجماهير الشعب الكادحة. ولقد كان لينين دائم التأكيد في كتاباته على انه لا يمكن للطبقة العاملة ان تتقدم في نضالها وتحقق اهدافها، وان تبني الاشتراكية دون تحقيق أوسع ديمقراطية تستند إلى أوسع قاعدة شعبية.

وعلى هذا الاساس كانت الديمقراطية شعاراً رئيسياً وهدفاً ستراتيجياً لحزبنا منذ نشأته، قبل ٥٦ عاماً. وقد نظم حزبنا منظماته والجماهير الشعبية وقاد نضالاتها المتواصلة لانتزاع الحريات الديمقراطية ولاقامة حكم وطني ديمقراطي يضمن لشعبنا، لجميع طبقاته وفئاته الوطنية والسياسية والقومية والدينية المختلفة، حرية التعبير عن آرائه، واظهار مواقفه، وطرح مطالبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعاشية والعمل على تحقيقها عن طريق الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية واجهزة الاعلام والبرلمان والاجتماعات والمظاهرات والاضراب. . . ديمقراطية تتسع للجميع وعلى الجميع ان يأخذوا مسؤلياتهم فيها لبناء عراق جديد.

لقد كان حزبنا يدعو على الدوام إلى ان تكون الممارسة الديمقراطية نهجاً ثابتاً في حياة شعبنا وبلادنا، وطالب ويطالب بنبذ وتحريم جميع اساليب القمع والارهاب والقهر السياسي والقومي والطائفي. وأخذ هذا الهدف موقع الصدارة في نضال الحزب وشعاراته وسياسته وبرامجه، وقدم في سبيله قوافل الشهداء من مؤيديه ومؤازريه واعضائه وكوادره وقادته. ذلك ان الحكومات التي تعاقبت على السلطة في بلادنا هي التي حالت دون تحقيق الديمقراطية التي تطلع اليها شعبنا وقواه الوطنية وعن طريقها توضع الحلول لمعضلات شعبنا وبلادنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية ويزول التميز الطائفي.

ولم يكن حزبنا يسعى إلى نيل الحريات الديمقراطية لنفسه فحسب، بل كذلك لسائر القوى والاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية والمهنية. فقد أكد على حق الجميع في الممل العلني الحر، وشجع القوى والاحزاب الاخرى وتعاون معها على تشديد النضال من أجل تعبئة جماهير شعبنا وقيادة نضالاتها لتحقيق هذا الهدف. ولم يكن الحزب يستهدف في نضاله الاستئثار بالسلطة بل دعا الجميع لاقامة سلطة وطنية ديمقراطية ائتلافية

يشترك في مسؤولية قيادتها الجميع، حسب موقع كل طرف في الحركة الوطنية الديمقراطية.

● ألا ترى ان الديمقراطية السياسية لم تكن دائماً هدفاً مركزياً لنا. ففي مراحل تاريخية محددة، خصوصاً منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حتى نهاية السبعينات كنا نركز على الديمقراطية الاجتماعية مقللين في اهتمامنا بالديمقراطية السياسية مع ان هذه هي ضامنة الديمقراطية الاجتماعية وهذا ما اثبتته تجربتنا فضلاً عن تجارب كثيرة أخرى؟

- عانى حزبنا كغيره من الجمود العقائدي، لانه نشأ في إطار الحركة الشيوعية العالمية وهو امتداد لها في بلادنا، يتأثر بها سلباً وايجاباً لانه من نسيج ايديولوجي واحد مع اختلاف في درجة التماثل بين هذا الحزب أو ذاك مع «المركز» وقد الحقت ظاهرة التبعية والجمود العقائدي وقيامه بتزكية مطلقة لنماذج الاشتراكية القائمة والدفاع عن ممارساتها... الخ الحقت اضراراً كبيرة نعاني منها حتى الآن. اذ يتطلب اليوم إعادة النظر بطائفة واسعة من الافكار والمنطلقات والمبادىء الجامدة في السياسة وفي حياة الحزب الداخلية وفي قضايا بناء الاشتراكية، حيث انطوت برامج الحزب على القفز فوق المراحل التاريخية. فحتى الثورة الوطنية الديمقراطية وتحقيق اهدافها كنا نربطها بقيادة الطبقة العاملة والحزب لها. لقد أقر المؤتمر الوطني الرابع لحزبنا في وثيقة التقييم خطأ وضع التعارض بين الديمقراطية الاجتماعية والسياسة وتغليب الاولى على الثانية، واعتبار التحالف وليس الديمقراطية هو الحلقة المركزية اثناء فترة التحالف مع الحزب الحاكم.

ان حزبنا ادرك بانه يتحمل مسؤوليةً في ذلك. لذا فان المكتب السياسي للجنة المركزية لحزبنا عمم توجيهاته، مؤخرا، لاحداث تغييرات جذرية في برنامجه، وقد جرى التأكيد على ضرورة تركيز البرنامج الجديد على الاهداف الوطنية والديمقراطية. ولا يعني هذا التخلي عن هدف بناء الاشتراكية البعيد في بلادنا، وانما السير نحو الاشتراكية عبر الطريق الصحيح المؤدي إليها، طريق التحولات الديمقراطية التي تساهم فيها وتشارك في تحقيق اهدافها قوى اجتماعية وسياسية عديدة. لقد أكدت لنا التجربة انه من الخطأ القفز على قضية الديمقراطية السياسية واللامبالاة تجاه القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة التي، هي الأخرى، تعنيها مسألة اقامة نظام ديمقراطي والسير قدماً معنا لتحقيق برنامج مرحلي طويل للتحولات الديمقراطية والاقتصادية والاجتماعية التقدمية. لذا فان توجهات الحزب، وفقاً للمناقشات الجارية على ضوء المنطلقات العامة لقيادة الحزب، تستهدف انجاز مهمة كبيرة تنطوي على تغيير برنامجه ونظامه الداخلي.

النضال من أجل الديمقراطية السياسية هو نضال في سبيل الديمقراطية الداخلية

● تطرح هذه المسألة قضية الديمقراطية داخل الحزب، نحن، الحزب، ندعو إلى مشروع بديل للدكتاتورية الفاشية الحاكمة الآن في بلادنا ولكل الدكتاتوريات السابقة، ونؤكد على اننا نسعى إلى اقامة نظام حكم وطني ديمقراطي. ومن البديهي القول ان انجاز هذه المهمة يتطلب، أول ما يتطلب، ان نكون ديمقراطيين ليس في شعاراتنا ومبادئنا حسب، بل وفي حياتنا الحزبية وبنيتنا التنظيمية ايضاً.

- ان الاحزاب الشيوعية، كسائر الاحزاب الديمقراطية التي تضع في مقدمة اهدافها تحقيق نظام سياسي واجتماعي ديمقراطي، وتقدّم من أجل ذلك التضحيات الغالية، تدرك انها يصعب عليها ممارسة الديمقراطية في حياتها الداخلية دون وجود الديمقراطية، لذا فان نضال هذه الاحزاب من أجل الديمقراطية السياسية هو في جانب منه نضال في سبيل ديمقراطية حياتها الداخلية وشرعية عملها، وممارسة اعضائها حقوقهم وواجباتهم الحزبية بصورة صحيحة في وضع سياسي مستقر تستند فيه الدولة إلى القانون والشرعية.

لم تسمح الحكومات العراقية لاحزاب الحركة الوطنية، وخصوصاً حزبنا الشيوعي العراقي، بالعمل الشرعي العلني إلا في فترات قصيرة للغاية وفي ظل تقييدات عديدة ومتنوعة. واضطر الحزب بسبب ذلك إلى العمل السري للمحافظة على كيانه ومواصلة نضاله في ظروف صعبة ترتبت عليها تضحيات كبيرة، بينها حرمان الشيوعيين من الممارسة الديمقراطية الكاملة والصحيحة داخل حزبهم. فالعمل السري يعيق تطبيق الديمقراطية في حياة الحزب الداخلية. ولقد أكد الحزب باستمرار على هذه الناحية، وناقش الرفيق فهد في كتاباته، وخصوصاً كراس «حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية» هذه المعضلة مؤكداً على ان العمل السري يقلص إلى أقصى حد ممارسة الديمقراطية في الحياة الحزبية الداخلية، وعلى ان نضال الحزب في سبيل النظام السياسي الديمقراطي يهدف أيضاً إلى خروج الحزب إلى العلنية واشاعة الديمقراطية في حياته الداخلية.

لكن السؤال: هل ان العمل السري يلغي كلياً كل امكانية لدمقرطة الحياة الداخلية للحزب؟ ليس من الصحيح القول بان لا مجال للديمقراطية الداخلية في الحزب السري. وليس من الصحيح القول ان الحزب الشيوعي السري لا يمارس الديمقراطية في حياته الداخلية. فالديمقراطية مسألة حيوية بالنسبة للحزب الشيوعي، ولا يمكنه الاستغناء عنها، سواء كان علنياً أو سرياً. ولكن يصح القول ان اساليب ممارسة الديمقراطية في الحزب السري تختلف عنها في الحزب العلني. ففي الاول تتقلص الديمقراطية وتوضع في اطر تنسجم مع سرية عمل الحزب وامنه وسلامة كيانه التنظيمي.

ويختلف الحزب السري عن الحزب العلني في واقع ان تنظيماته واعضاءه وكوادره وقياداته تعاني من عدم الاستقرار بسبب الملاحقة البوليسية والاعتقالات والسجن والتصفية الجسدية والسياسية، مما يتسبب في تقليص حدود تحركه والتصاقه بالحركة الجماهيرية. كما تتقلص الامكانيات اللازمة لرفع مستوى اعضائه وكوادره.

ورغم الحقبة الطويلة التي أمضاها الحزب، مضطراً، في العمل السري، فانه بذل جهوداً كبيرة، في أعقد الظروف وأقساها، من أجل ممارسة شكل من الديمقراطية يتناسب مع الظروف الشاقة التي مر بها الشيوعيون العراقيون طيلة عمر حزبهم تقريباً. ولقد حددت انظمة الحزب الداخلية نوع الديمقراطية التي يمارسها اعضاؤه حسب كل ظرف. ومن الناحية العملية عقد الحزب اربعة مؤتمرات وثلاثة كونفرنسات في اصعب الظروف.

وفي مجرى حياة الحزب الداخلية مارس الشيوعيون العراقيون، باشكال مختلفة، حقهم في رسم سياسة الحزب عن طريق مناقشتها في منظماتهم وتقديم الآراء والمقترحات والملاحظات الجماعية والفردية، ورفع تقارير دورية عن نشاطاتهم ومحاضر اجتماعاتهم إلى الهيئات الحزبية الأعلى التي تعكس بدورها، تلك الآراء والملاحظات والمناقشات إلى قيادة الحزب. وفي كثير من الاحيان كانت قيادة الحزب تطرح الوثائق المعدّة للمناقشة في المؤتمرات والكونفرنسات على اعضاء الحزب وكوادره لمناقشتها ورفع حصيلة ذلك إلى المؤتمر أو الكونفرنس.

اخطاء الماضي وتطلعات المستقبل

● لكن ثمة الآن، وفي الماضي ايضاً، شعوراً لدى اعضاء الحزب بان ذلك لم يكن يتم بصورة مرضية، بل ولا حتى بالحد الادنى المقبول، فلقد طغت المركزية كثيراً، وكانت هناك مظاهر وممارسات سلبية، وبينت وثيقة التقييم التي أقرها المؤتمر الرابع انه حتى في ظروف العمل العلني كان هناك نوع من عدم الاكتراث برأي القاعدة الحزبية في جوانب مختلفة من سياسة الحزب.

ـ لم أرد ان أعطي الانطباع بان كل شيء في الحزب كان على ما يرام في مجال الديمقراطية الداخلية، ولكنني سعيت إلى ان اعكس واقع تجربة الحزب، دون ان يعني ذلك القول بانها تجربة مرضية للشيوعيين وللحزب، ولكن أود ان اؤكد بان حزبنا كان جدياً في التوجه نحو توفير الحياة الديمقراطية في الحزب حتى في ظروف العمل السري. ان الحزب الذي يتعطش إلى الديمقراطية ويريدها لجميع الشعب وقواه السياسية والاجتماعية المختلفة لا يمكن له إلا ان يكون هو نفسه حزباً ديمقراطياً حقاً. وتجربة حزبنا بالنسبة إلى احزاب

شيوعية مماثلة لا يمكن إلا ان تكون تجربة رائدة، لأن تلك الاحزاب لم تستطع عقد مؤتمراتها رغم ان ظروف عملها كانت افضل من ظروف حزبنا لأكثر من عشرة وعشرين سنة واحياناً أكثر من ذلك. فممارسة الديمقراطية تتطلب الشرعية والعلنية، ولم يكن ممكناً للعضو الحزبي ان يتمتع بمثل هذه الديمقراطية في ظل السرية واستحالة كشف الاعضاء والكوادر والهيئات والمنظمات الحزبية أمام السلطات. اردت ان أقول انه رغم الظروف القاسية عمل الحزب على اتخاذ الاجراءات اللازمة لمساهمة اعضائه في رسم سياسته، وفي ايصال رأي القاعدة الحزبية إلى القيادة باشكال مختلفة، بما فيها تأمين حق العضو الحزبي في مخاطبة القيادة مباشرة عبر رسائل مغلقة لا يطلع عليها أحد غير قيادة الحزب.

واذا أردتم رأيي الشخصي فاني أرى ان قيادة الحزب ارتكبت اخطاءً، وبينها اخطاء كبيرة، منها، على سبيل المثال، امتناعها عن عقد مؤتمر للحزب بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ رغم المطالبات الكثيرة بعقد مثل هذا المؤتمر لضرورات املاها الظرف السياسي الذي مرت به الثورة الوطنية الفتية والحركة الوطنية الديمقراطية، وخاصة الحزب، لرسم سياسته بدقة وصواب، ولتجديد الحزب، وكانت الظروف ملائمة لتعقده. لكن الصراعات داخل قيادة الحزب، ولاسباب أخرى لا مجال لذكرها هنا، حالت دون عقده. كما ان حزبنا واجه ظروفاً داخلية قاسية هي الاخرى عانى فيها، في زمن محدد، من القيادة الفردية والبيروقراطية والجمود العقائدي والتبعية الفكرية والسياسية. وانعكس هذا في سياسته وبرامجه. ومع ذلك فانني استطيع ان اؤكد بان حزبنا اتخذ، في مناسبات عدة، موقفاً جريئاً من اخطائه ونواقصه، اذ مارس النقد الذاتي بجرأة فيما يخص المسائل السياسية والفكرية وفيما يتعلق بحياته الداخلية. وجاء ذلك في تقارير اللجنة المركزية المقدمة إلى المؤتمرات والكونفرنسات وفي وثائق تقييم تجربة الحزب في المراحل السابقة.

ان مبدأ المركزية الديمقراطية الذي تعتمده الاحزاب الشيوعية، وغير الشيوعية، لا يتعارض مع وجود وتطور الصراع الفكري الداخلي ولا مع تعددية الآراء. ان المركزية كما الديمقراطية، ضرورية للحزب، السري أو العلني. فالديمقراطية بدون ضوابط تتحول إلى ليبرالية فوضوية في الحياة الفكرية والتنظيمية والسياسية للحزب، اذ لابد ان تتمحور الآراء المتعددة حول مركز معيّن. ومن شأن ظهور مراكز متعددة للقرار في الحزب الواحد ان يُفقد مركز القرار الشرعي، الذي جاء نتيجة التصويت له بالاكثرية، القدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها، وان يُحوّل الوحدة الحزبية إلى وحدة شكلية لا معنى لها، مما يُفقِد الحزب فعاليته وديناميكيته، ويجعل الاقلية تفرض ارادتها في عدم تنفيذ السياسة المقرة من الاكثرية. وهذا يتعارض، بطبيعة الحال، مع الديمقراطية، ويؤدي إلى بروز محاور ومراكز **متعددة في الحزب وتمزيق وحدته، وبالتالي اضعاف حيويته وتأثيره على الاحداث**

السياسية وعلى حركة الجماهير.

والمركزية لوحدها، بدون الديمقراطية، تقضي على حق القاعدة الحزبية الواسعة في الاسهام في رسم سياسة الحزب، وتحول دون التنفيذ المبدع للقرارات الحزبية، وتعزل قيادة الحزب عن قاعدته وعن الجماهير، وهي تؤدي إلى سيادة البيروقراطية والمحسوبية والرضا الشخصي لاختيار الكادر. كما تؤدي إلى سيادة الليبرالية وخرق الانضباط الحزبي، وظهور التكتلات، كرد فعل على المركزية الشديدة، مما يعرض وحدة الحزب إلى خطر الانقسام.

لذا لابد من الجمع الصحيح بين المركزية والديمقراطية بما يضمن توفير الاجواء اللازمة لابداء جميع اعضاء الحزب اراءهم، بما في ذلك الطلب من قيادة الحزب تعميم هذه الآراء على الحزب كله أو نشرها في الصحافة الحزبية لاطلاع اعضاء الحزب عليها ومناقشتها بجدية. وفي هذا الصدد لابد من الاشارة إلى ان الهيئات الحزبية المختلفة عندما تناقش الامور المدرجة على جدول اجتماعاتها، فان المناقشة تنتهي إلى تلخيص الآراء المختلفة والتصويت عليها، فتظهر الأكثرية والاقلية. وما يلبث ان يصبح رأي الاكثرية قراراً ملزماً للجميع، بقدر تعلق الأمر بالتنفيذ، فتزول الاكثرية والاقلية ويتحول الجميع إلى قوة تنفيذية موحدة. وهذا لن يلغي حق الاقلية في عرض رأيها مجدداً والدعاية له والسعي إلى تحويله إلى رأي للاكثرية، وبالتالي إلى قرار ملزم التنفيذ. كما ان التنفيذ هو محك لصواب أو خطأ القرار. وعندما يظهر، من خلال التنفيذ، ان القرار خاطىء - حتى لو اتخذ بالاجماع - فيتعين اعادة النظر فيه واتخاذ قرار جديد.

يعيش حزبنا اليوم وضعاً صعباً ويواجه ظروفاً سياسية معقدة تتميز بشدة القمع والارهاب. فمنظمات الحزب تقف في مواجهة سلطة استبدادية لا مثيل لها في العالم من حيث وحشيتها. ولا يستطيع اعضاء الحزب ان يمارسوا حياتهم الحزبية التنظيمية حتى في حدودها الدنيا في اغلب المناطق والمدن والارياف والمعامل والمدارس والاحياء، اذ يصعب عليهم عقد اجتماعات منتظمة لمناقشة سياسة الحزب وتحليل اوضاع البلاد بصورة كاملة، ويتركز اهتمامهم على كيفية صيانة انفسهم ومنظماتهم واجتماعاتهم القصيرة ولقاءاتهم السريعة، وعدم الوقوع في كمائن اجهزة الامن.

وبالرغم من هذا الوضع فان قيادة الحزب تحث منظمات الحزب واعضاءه على مناقشة وتحليل الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلادنا والكتابة عنها وابداء الآراء والملاحظات والمقترحات بشأن سياسة الحزب. وهكذا فان الظرف القاسي هذا هو الذي فرض قيوداً واسعة على ممارسة المنظمات الحزبية لحقوقها، وحصرها في ادنى شكل من اشكالها.

ومن جانب آخر يوجد عدد كبير من اعضاء الحزب وكوادره في الخارج، اضطروا إلى مغادرة الوطن ـ أو البقاء في الخارج بالنسبة للطلبة المتخرجين ـ بسبب ملاحقة السلطات الفاشية لهم، ومن ثم اندلاع الحرب، مما حال دون مواصلة عملهم الحزبي السري. واضيف إلى ذلك لجوء عدد كبير من انصار الحزب المسلحين إلى الخارج بعد استخدام السلطة الاسلحة الكيمياوية ضد المناطق المحررة، ومناطق واسعة أخرى، في كردستان العراق. وقد استوجب هذا كله تنظيم هؤلاء الرفاق في منظمات حزبية لممارسة حياتهم الحزبية. ورغم انهم بعيدون عن ساحة النضال الاساسية، إلا انهم يستطيعون تأدية قسطهم في النضال عن طريق تعريف اوساط الرأي العام العربي والعالمي بمحنة شعبهم وبعدالة قضيتهم.ـ كما انهم يستطيعون رفع قدراتهم الفكرية والسياسية ومعارفهم الثقافية والعلمية، والمحافظة على شيوعيتهم. وبالمقارنة مع اوضاع رفاقهم في الداخل فانهم يتمتعون بظرف أفضل يقترب من العلنية، مما مكنهم من ممارسة حياة حزبية شبه طبيعية تتميز بتوفر حرية أكبر للجدل والمناقشة، إن بشأن الاوضاع في بلادنا أو الاحداث والتغييرات السياسية والاقتصادية والفكرية الجارية في البلدان الاشتراكية وفي العالم، أو بشأن سياسة الحزب. وتقوم منظمات الحزب في الخارج بعقد الاجتماعات الموسعة والكونفرنسات والندوات لمناقشة اوضاعها ومهماتها والمسائل الملحة المطروحة على الساحة الوطنية والعربية والدولية. وعدا عن هذا فان قيادة الحزب سبق لها ان اتخذت قراراً باجراء الانتخابات في الهيئات الحزبية المختلفة في الخارج عن طريق عقد كونفرنسات لا تقتصر مهمتها على انتخاب الهيئات، وانما ايضاً مناقشة سياسة الحزب من كل جوانبها وفي جميع المجالات، ودراسة المستجدات والتغييرات في عالمنا المعاصر.

نحن الشيوعيين العراقيين تواقون إلى الديمقراطية، إن على صعيد الحياة العامة في بلادنا أو على صعيد حياتنا الحزبية الداخلية. واليوم فان هذه المسألة اصبحت مطروحة على النطاق الدولي. وتستأثر الآن باهتمام اكبر قضية الديمقراطية الداخلية في الاحزاب الشيوعية بعد ما تكشفت الحقائق عن ان الديمقراطية التي كان يقال انها مطبقة في هذه الاحزاب، وخصوصاً الاحزاب الحاكمة، لم يكن لها إلا وجود شكلي. فالبيروقراطية هي التي كانت سائدة في حياة هذه الاحزاب، مما أدى إلى عزلتها عن جماهيرها. لقد تحولت الاحزاب الشيوعية الحاكمة إلى سلطات تستبد بمصائر الطبقة العاملة والفلاحين وعموم الكادحين بصورة بيروقراطية، وقدمت امتيازات لاعضائها دون الجماهير، أو بالاحرى قدمت هذه الامتيازات لقادتها وكوادرها دون حتى قاعدتها الحزبية. وقد رأينا بالتجربة ان اغلبية هذه الاحزاب لم تكن مستعدة لتصحيح اخطائها وتغيير اساليبها البيروقراطية في الحكم والحياة الحزبية الداخلية. إلا ان حركة الشارع ارغمتها في نهاية المطاف على

التخلي عن هذه الاساليب رغم ان حركة الشارع كانت تحتوي عناصر العاطفة والتسرع ودخول العناصر المعادية للاشتراكية والشيوعية وهذا ما نلاحظه اليوم في توجهات بلدان شرقي اوربا نحو الرجوع إلى النظام الرأسمالي بعد ان سيطرت الاحزاب غير الاشتراكية على الحكم في الوقت الذي كان يتعين على الاحزاب الشيوعية ان تبادر من نفسها إلى تصحيح اخطائها وتوفير الديمقراطية السياسية لكل الشعب، واشاعة الديمقراطية في حياتها الداخلية لكي تستطيع ان تزيل ركام الاخطاء، وتنهض بمهماتها لبناء الاشتراكية الديمقراطية والانسانية. ان الاشتراكية هي قضية الشعب الكادح كله، لا الشيوعيين وحدهم ولا قيادة الحزب الشيوعي وحدها. وتتطلب هذه الحقيقة اطلاق الحريات العامة للشعب باسره كيما يستطيع بناء حياته الجديدة.

انها تجربة غنية، رقم قساوتها، لنا نحن الشيوعيين العراقيين ولكل الشيوعيين في العالم. ويتعين علينا الافادة منها من أجل بناء وطننا الجديد بعد الخلاص من الدكتاتورية الفاشية الحاكمة في بلادنا. ان أول وأهم ما تؤكده هذه التجربة هو ضرورة التعددية في الحكم وفي البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وفي العلاقة مع الجماهير الشعبية. يتعين على حزبنا ان ينظر إلى نفسه باعتباره مرشداً وموجهاً وليس حاكماً يستبد بمصائر الناس بصورة بيروقراطية وتعسفية.

ان حزبنا مقبل على تغيرات .مة في السياسة والتنظيم والمسائل الفكرية المتعلقة بالديمقراطية الداخلية، تغيرات برنامجية وفي حياة الحزب الداخلية التي تعزز ثقة الاعضاء بهم وتوطد وحدة الحزب التي هي أساس قوة الشيوعيين وهي قوة للحركة الوطنية الديمقراطية ايضاً. وتبرز هذه القضايا بوضوح في مسألة تطبيق الديمقراطية الداخلية، عندما يكون واضحاً للعضو الحزبي حقوقه وواجباته، اذ يصر على ممارسة حقوقه بالكامل ومقابل ذلك يقوم بنشاط وابداع لتنفيذ واجباته.

اوائل آذار ١٩٩٠

حول طبيعة النظام واساليب الكفاح

انهـا لخـطوة هامـة وضرورية، تلك التي فتحت بها المجلة باباً ثابتاً بعنوانه (آراء ومناقشات) ومهما اختلفت وجهات النظر في القضايا المطروحة، فانها ستسهم بلا شك، في تغطية الأراء والمواقف المتعلقة بالقضايا الهامة التي تواجهنا على مختلف الاصعدة، كما انها تنشط السجال والحوار سعياً لصياغة المواقف والآراء الأكثر نضجاً، انه الطريق السليم فعلاً في هذا الاتجاه.

لقد أثارت مقالة د. نزيهة الدليمي (طريقنا اللاحق في النضال) جملة من القضايا والتساؤلات. بودي ان اتوقف عند واحدة منها، نظراً لأهميتها وحساسيتها خاصة في ظروف نضالنا الصعبة الحالية، واقصد بذلك تلك المتعلقة «باختيار» اساليبنا النضالية. حيث ان «الجديد» في المقالة هو امكانية «تحقيق اسقاط نظام الحكم واقامة نظام الحكم الوطني الديمقراطي سلمياً» بعد ان تحتكم كاتبة المقالة إلى «المنطق التاريخي» باجابته الايجابية على امكانية الحركة الجماهيرية «تحقيق ايقاف أو الحد من الاعمال الارهابية للنظام».

ما ان سكتت المدافع على جبهات الحرب، حتى صعّد النظام حربه الداخلية، بالتزامن مع الفترة الحرجة من المفاوضات القلقة بين البلدين، بدءاً بشن أوسع حملة ابادة ضد الشعب الكردي، هذه الحملة المتواصلة التي شهدت نقلة نوعية بابادة مدينة حلبجة وتحويلها إلى مقبرة جماعية لسكانها الآمنين، مستخدماً في معظم هجماته، الاسلحة

الكيمياوية التي اكسبتها ابعاداً بشعة، وهي سابقة لا مثيل لها في التاريخ المعاصر اذ لم يسبق لأي نظام في العالم ان استخدم اسلحة ابادة جماعية ضد شعبه بالذات.

وفي مدن الوسط والجنوب وبغداد، اشتدت وتيرة الارهاب والاعدامات الجماعية سواء تلك التي طالت المعارضين أو الهاربين من الجيش أو حملات التصفية في صفوف مؤسساته وكوادره وخاصة العسكريين منهم. (انظر/ تقرير اللجنة العراقية للدفاع عن حقوق الانسان التي نشرتها الصحف يوم ١٢/٢/١٩٩٠ «ان النظام الفاشي في العراق هو اخطر نظام قمعي منظم وانه من ارهب الانظمة القمعية في العالم»، كذلك تقرير اتحاد الحقوقيين الدولي التابعة لهيئة الامم المتحدة الأخير الصادر بصدد حقوق الانسان في العراق، تقرير جماعة «ميدل ايست ووتش» لحقوق الانسان حول المجازر الاخيرة في الاهوار، وقصف المواطنين الابرياء في بحيرة دوكان، وتسميم اللاجئين الاكراد في تركيا واعدام الضباط في حملة التصفيات الاخيرة). ان استمرار الارهاب المسلط على شعبنا وتصاعده والمتميز بطابعه الهمجي الذي يندر وجود شبيه له في العالم، وتعميمه ليتخذ طابعاً مأساوياً حقيقياً ليشمل كل ميادين الحياة اليومية للمواطنين وليصبح عادة يومية لمجرمي الاجهزة القمعية ومظهراً سائداً في سائر ارجاء البلاد، والاستمرار في اعتباره السياسة الرسمية المعلنة والمسندة بقوة القانون، قد بددت كل تلك الاوهام (مهما كان مصدرها) والتي كانت تعزو سبب تصاعد الارهاب في فترة الحرب إلى «متطلبات» قوانين وظروف الحرب ذاتها.

وبذلك نرى ان لا شيء قد تغير بعد ايقاف القتال بين البلدين، فيما يتعلق باساليب نظام الحكم وموقفه من الديمقراطية، سوى تصاعد وتيرة الارهاب.

لذا أرى ان مقالة د. نزيهة الدليمي تتجاهل وسم نظام الحكم **بالدكتاتورية الفاشية**، حيث تكتفي بـ «وهو يعتمد في تنفيذ ذلك على **القوة الغاشمة العسكرية والادارية** لأجهزة حكمه الدكتاتوري».

وهذا التعريف ينطبق على العديد من انظمة الحكم وبذلك يتناسى خصوصية النظام الصدامي والمتمثلة بفاشية اساليب حكمه.

وهنا نعلق على هذه المسألة ليس بهدف الدخول في المساجلات حول التسمية بحد ذاتها بقدر ما يرتبط ذلك بما يخص وبما يتطلبه رسم وجهة صائبة لاساليب نضالنا فالمعادلة هنا متشابكة وغير منفصلة.

لذا فان «أهم مسألة يجب التأكيد عليها بصدد نظام حكم صدام حسين» ليس فقط «مسألة عدم شرعية هذا النظام» بل التأكيد ايضاً على انها **دكتاتورية من نمط فاشي**. ان هوية الطغمة الحاكمة في العراق يُجسدها بالتحديد هذا الطابع السافر للارهاب وانفلاته ونتائجه المدمرة، واستنادها إلى اجهزة الامن والمخابرات في ادارة دفة الحكم.

ان اختيار البيروقراطية الطفيلية لهذا الاسلوب في الحكم لضمان سيطرتها الاقتصادية والسياسية قد أوصل نظام حكمها هذا إلى الحالة التي اغلقت فيها الابواب أمام أي سبيل آخر لنضال الحركة الوطنية العراقية، لذلك فان تبني اسلوب الكفاح المسلح كاسلوب رئيسي في النضال خلال السنوات السابقة كان نهجاً صائباً تماماً فرضته بالاساس هذه الوقائع المشار اليها اعلاه، بعد ان اصبح أمراً واقعاً تبنته كافة الاحزاب السياسية العاملة على الساحة العراقية وجماهيرها كما تبنته منظمات الحزب حتى قبل اقرارها في اجتماع اللجنة المركزية المنعقد في ١٩٨٠.

ان الانتكاسة العسكرية ـ السياسية الاخيرة التي واجهت الحركة الانصارية المسلحة في كردستان لم تدلل على فشل أوعدم جدوى هذا الاسلوب في النضال كاسلوب رئيسي، وإنما ظروف وتعقيدات الحرب وفاشية اساليب النظام في مواجهته الحركة الانصارية من جهة والاخطاء التي ارتكبتها القوى الوطنية نفسها، سواء تلك المتعلقة بعدم ارتقاؤها إلى مستوى المسؤولية لضمان وحدتها، أو اخطاء القوى القومية الكردية في تعويلها على استمرار الحرب وتحالفها مع النظام الايراني، أو باخطاء الحزب الشيوعي المتعلقة بالاساس (مع القوى الاخرى مجتمعة) بعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة ظروف ما بعد وقف القتال بالشكل الذي يضمن ديمومة العمل المسلح خاصة داخل المدن، سيما وان اجتماع اللجنة المركزية للحزب في أيار ١٩٨٨ قد عُقد قبل اشهر معدودة من تاريخ وقف اطلاق النار بين البلدين ولم تكن المؤشرات معدومة آنذاك بصدد امكانية وقف القتال وفي الوقت الذي احتل فيه «انهاء الحرب» الشطر الاول من شعارنا المركزي.

لذلك فان ارضية هذا الاسلوب، كاسلوب رئيسي للنضال، ما زالت قائمة، ويتطلب:

١ ـ ذات السبب الوارد في المقالة: «لقد دلت تجربة حزبنا وتجربة الحركة الوطنية العراقية، على ان النشاط المسلح يستطيع ان يلعب دوراً اساسياً في تغيير موازين القوى لصالح القوى الوطنية والديمقراطية اذا توجه الوجهة الصحيحة وخضع للخطة السياسية الوطنية الديمقراطية العامة». من جهة أخرى بينت هذه التجربة مدى التأثير الايجابي والوقع السياسي الفعال التي تتركه الفعالية العسكرية خاصة تلك التي تتم داخل المدينة، سواء عند خلقها الفزع والهلع في صفوف اجهزة النظام القمعية، أو صداها الواسع بين

الجماهير سواء في كسر حاجز الخوف في صفوفها أو التأثير الدعائي الهائل التي تتركه وسطها.

٢ ـ ان تحديد الاسلوب الرئيسي، يضمن عدم بعثرة طاقات الجماهير والمنظمات الحزبية وتشتيتها، بل تجميعها بتركيز أكثر حول هذا الاسلوب أو ذاك.

٣ ـ ان تحديد الاسلوب المعين كونه رئيسياً في النضال أو أحد الاساليب الرئيسية، لا يعني بتاتاً اهمال الاساليب الأخرى، بل بالعكس يشترطها، ويستوجب التعامل بدقة، وخلق تلك الآلية المرنة التي «تسهل عملية الانتقال من اسلوب لآخر بمرونة أكثر وحسب تطور الظروف».

٤ ـ لا أحد ينكر أهمية اطلاق عفوية الحركة الجماهيرية، وعلى العموم انها حركة موضوعية، منطلقة اليوم وستتطور بحكم تطور الواقع نفسه، مهما اختلفت اشكال التعبير عنها، ولكن التعويل عليها لوحدها من أجل تحقيق «مكاسب ما في ظل الحكم الدكتاتوري إلى حد امكانية ايقاف أو الحد من الاعمال الارهابية للنظام» أمر مشكوك فيه، ولا اعتقد انه طرح ينسجم مع طبيعة الوضع القائم، حيث ان تجاهل السمة الفاشية للنظام هو الذي يقود إلى مثل طرح كهذا، إن مثل هذه الاعمال (كاشكال للحركة العفوية للجماهير) لوحدها ستسحق بماكنة الفاشية، ربما دون ان تترك (خاصة في المراحل الاولى منها) ذلك الأثر ذا الابعاد السياسية المتوخاة ما لم يترافق معها، إن جاز التعبير، الفعاليات والاعمال المسلحة.

لذا بودي ان اؤكد انه عند استخلاص الدروس من التجارب الماضية ينبغي مراعاة الظروف الجديدة الناشئة عند محاولة الاستفادة منها. فاعتقد ان ظروف النضال في «عهد» فاشية صدام تختلف عنها في زمن نوري السعيد.

كما ان الصرامة العلمية المطلوبة عند تعليل فكرة معينة تستبعد الاستناد إلى عبارات غير معرّفة كمرجع للطرح، مثل عبارة «المنطق التاريخي» الواردة في المقال. فان كان المقصود بها التجارب النضالية عبر «التاريخ»، فأنا اتساءل: كم مرة قدم لنا التاريخ نماذج للحكم كنموذج فاشية صدام حسين؟ وان وجد مثل هذا النموذج أو شيء ما يقاربه، فأي مثال يقدمه لنا «منطق التاريخ» هذا لدكتاتورية فاشية اسقطت بالاساليب التي ترسمها لنا مقالة الدكتورة نزيهة الدليمي؟

كما ينبغي عند عدم الدراية بواقع حال الظروف الصعبة والقاسية لنضال وتواجد قوات الانصار، الابتعاد عن التعامل معها كـ«علب السردين»! القابلة للحفظ: «ومن المستلزمات الضرورية في ظروف النضال الوطني الديمقراطي في العراق، **هو الاحتفاظ بالحركة الانصارية وسلاحها للقيام بمهام سياسية جديدة**».

ان الـواقـع الجـديد الذي نشأ بعد الانتكاسة، يتطلب بشكل أكثر من ذي قبل، الاهتمام بنقل العمل المسلح إلى داخل المدن.

. . . .

ختـامـاً «ينبغي على السياسيين ان لا يلاحقـوا، من خلال السكينـة في مكاتبهم الخـاصـة وعن بعد، الازمنة المتغيرة، ينبغي ان يقتربوا أكثر من الواقع وان يحسوا ببنية الحقائق المتطورة، بالذات، وهي تحتجب في الوقائع والاحداث المتغيرة».

شاهين

اواسط ٢/ ١٩٩٠

حول المركزية الديمقراطية

ملاحـظات انتقـادية حول مداخلة الـرفيق رحيم عجينـة حول مبـدأ المـركـزية الديمقراطية وجهان لميدالية واحدة، التي دارت في مجلة السلم والاشتراكية (عدد الثقافة رقم ٢١٨).

وجدت من المناسب ان أبدي ملاحظاتي هذه حول مُداخلة الرفيق، آملاً ان تكون مداخلاتنا لاحقاً وفي مختلف المواضيع النظرية، واقعية وابداعية تعكس بامانة الجو السائد والحاجة المتنامية للتجديد والديمقراطية في حياة حزبنا الداخلية، لست منظراً ولكن ابدي عدم ارتياحي لما جاء بمضمون المداخلة.

ـ رفاقي الاعزاء

انه أقل ما نستطيع قوله بحق الزعيم السوفييتي ميخائيل غورباتشوف، انه رائد عملية اعادة البناء في الاتحاد السوفييتي وعملية التجديد في الحركة الشيوعية، انه يعكس جرأة اقتحامية في مواجهة بُعبع الحركة الشيوعية ستالين وتعاليمه حول مفهوم الحزب التي سادت حقبة تاريخية وتركت آثارها على الحركة الشيوعية العالمية وبضمنها حزبنا. وعند ملاحظة المداخلة، وبدون شك يُصاب المرء بحزن وألم عميقين، حيث ان المداخلة وكاتبها يحملان في دواخلهما خوفاً عميقاً من الستالينية وتعاليمها، ان المداخلة والمداخل لم يصدقوا عيونهم بعد بأن الستالينية وتعاليمها اتهمت بالاجرام والبيروقراطية ومسؤولة كل المسؤولية عن نمو الركود والبيروقراطية وعوامل الكبح التي تعيق تطور الحركة الشيوعية، وان البشرية أمام انعطاف تاريخي عاصف، وضمن هذه الاجواء تُعاد دراسة الكثير من المسائل التي تتعلق بالمباديء الاساسية لبناء الحزب ومنها مبدأ (المركزية الديمقراطية) ولذا جاءت المداخلة منضبطة للماضي وليست لينينية، وبذلك بدت يتيمة، معزولة عن اخواتها من المداخلات التي امتازت بالجرأة والابداع وتعكس جو العصر، أما مداخلتنا فكانت عمومية، مُصاغة بعبارات ملساء ومحافظة، تتلفت يمنة ويسرى، خجلة مدعية خصوصيتها، ضمن آراء ومداخلات واضحة وجريئة تخدش بوضوح الاذن وتفقأ الاعين. لماذا نخاف نقد الستالينية وتأثيراتها السلبية على حزبنا بوضوح وتأني؟ وهل ان الأدلة غير كافية بعد لحسم مثل هذا التردد في نفوسنا ومداخلاتنا؟ هل كنا تاريخياً معزولين من هذه التأثيرات؟ ولماذا لم تحمل المداخلة، وهي تساهم بمناقشة أهم مبدأ من مباديء الحزب التنظيمية مبدأ المركزية الديمقراطية، براعم العصر وضرورات التجديد، على أقل تقدير لتعكس النفَس التجديدي المتنامي الصاعد في واقع حركة حزبنا الداخلية.

ان المداخلة تتباهى بركود هامد «ان أغلبية الشيوعيين في حزبنا على كل حال تُنفذ توجهات المركز حتى عندما تكون لديها مواقف انتقادية ازاءها»، وهنا لا يتساءل المداخل هل كان مثل هذا الشيء مريحاً ومقبولاً لدى أغلب الشيوعيين؟ وهل ان أغلب الشيوعيين ينفذون بهذه الطريقة بقوة الاقناع وبشكل ديمقراطي. أم بقوة القرارات والمركزية المفرطة؟ أليس هذا واقعاً لأن تعكس المداخلة تأكيداً على حاجتنا المتنامية للديمقراطية وبضرورة خلق آلية جديدة لعمل هذا المبدأ الهام؟ وهل ان المتراكم على مدى ٥٦ عاماً من عمر الحزب حقاً لا يكفي بأن نعي حاجة هذا المبدأ للتجديد وبعث الروح فيه. لكي يلائم الحاجات المتنامية داخل حياتنا الحزبية؟ أو ليس المبدأ عرضة للمط والتقلص حسب الحاجة وليس الضرورة الموضوعية؟ ويضيف بتباهٍ منقطع النظير «فهم ينتظرون رأي القيادة التي تفكر عنهم وتصوغ النهج»* اذا كان هذا هو حال أغلب الشيوعيين عندنا، فما هو حال قيادتنا؟ وهل ان قيادتنا تأخذ الرأي والنهج من مصدر أعلى منها؟ المداخلة هرمة لا تعكس

واقع الحزب ولا ميكانيزم التجديد النامي داخل حركة الحزب الفعلية ، ولا أدري لماذا هذا الاهمال لميكانيزم التجديد الضاغط باتجاه خلق آلية جديدة لعمل هذا المبدأ بحيث لا يكون هناك قيادة تفكر وتصوغ النهج عنهم .

ابو مصطفى

*** دفعاً للالتباس نرى من المفيد اعادة نشر كامل الفقرة التي ورد فيها استشهاد الرفيق ابو مصطفى . ففي السياق لا تنم الفقرة عن أي تباه بل تصف الواقع وصفاً ينمّ عن النقد ـ المحرر .**

رحيم عجينة : اعتبر المسألة حول مشاركة الشيوعيين العاديين في صوغ خط الحزب واغنائه ، وتعديله عند الضرورة ، مسألة ذات أهمية بالغة . وكل من لديه خبرة في العمل الحزبي يعرف الدور المهم الذي تضطلع به المنظمات القاعدية في منعطفات التاريخ الحاسمة . ان اغلبية الشيوعيين ـ في حزبنا على كل حال ـ تنفذ توجيهات المركز ، حتى عندما تكون لديها مواقف انتقادية ازاءها . ولكننا لم نتمكن من تربية روح المبادرة لدى الشيوعيين في وعي الظاهرات الجديدة في الحياة الاقتصادية ـ الاجتماعية والسياسية ، وتقديم الاقتراحات بشأن تجديد استراتيجية الحزب وتكتيكه . فهم ينتظرون رأي القيادة التي تفكر عنهم وتصوغ النهج . ونحن نسعى الآن إلى تنشيط الحياة الداخلية بحيث تبدع المنظمات القاعدية الجديد ، وبحيث يصغي الشيوعيون إلى رأي القيادة ويستوحون في الوقت نفسه مشاعر مختلف فئات الشعب وامزجتها . ذلك هو أحد متطلبات المركزية الديمقراطية .

كان من المقرر ان ننشر في العدد الحالي مساهمات الرفاق كوران وآلان ومكي في النقاش حول الدعوة إلى تأسيس حزب شيوعي لكردستان العراق . ونحن مضطرون إلى ارجاء ذلك إلى العدد القادم نظراً لصدور وثيقتي الاجتماع الكامل للجنة المركزية . وإذ نعتذر للمساهمين ، نشير إلى اهمية التوجهات التي طرحتها ل . م حول المسائل الواردة في مساهماتهم .

ث ج



حول التغيرات في اوربا الشرقية

غومبو جافين اوتشيرات — البرت بين

عشية عام ١٩٩٠ اقتحمت موجة التغييرات حصون النظام الاداري الاوامري المتسلط في اوربا الشرقية . ويلمح البصر طردت من المناصب القيادية كل من حاول اطالة فترة وجود الانظمة الستالينية الجديدة. وحرمت من احتكار السلطة الاحزاب التي حكمت لسنوات طويلة باسم الشغيلة. وخرجت الجماهير الشعبية نفسها إلى مسرح الحياة السياسية .

وقد اطلع قراؤنا على تسلسل هذه الاحداث المدهشة ولعلهم انتبهوا إلى الميزة التي اتصفت بها وهي ان ضغط الطاقة الشعبية قد عجل بصورة حادة في وتيرة هذه التغييرات . ومضت تسع سنوات منذ الاضرابات العمالية الاولى التي جرت بهدف منح الشرعية الكاملة لـ «التضامن» وتشكيل حكومة ائتلافية متعددة الاحزاب في بولونيا. واحتاجت المجر لما يزيد على السنة لاجراء اصلاحات سياسية واقتصادية جذرية. وفي المانيا الديمقراطية جرت التحولات الجذرية خلال بضعة اسابيع وكانت أسرع من كل من بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا. ففي براغ كانت تتغير الصورة السياسية على مرآنا. وسميت هذه التغييرات ثورة سلمية وحتى «ناعمة». وللاسف فان التحولات لم تجر في كل مكان بدون ضحايا. ففي رومانيا اصطبغ الطريق إلى الحرية بالدماء. ولم يرد الذيكتاتور وازلامه التخلي عن دفة السلطة الجائرة بشكل آخر. . .

يمكن القول بحق ان الاحداث العاصفة في اوربا الشرقية هزت العالم . وهي اضافة

إلى ذلك طرحت اسئلة غير قليلة. فما هي الأمور التي تكمن في أساس هذه التغييرات العنيفة؟ أهو التعطش إلى التجديد، وتنقية المبادىء الاشتراكية من كل ما هو غريب ودخيل عليها، أم انه الرفض المتعاظم للانظمة التي اوصلت المجتمع إلى الازمة؟ وما هي الحجج التي يمكن ان يقدمها الآن انصار فكرة الاشتراكية لاولئك الذين كفوا عن الايمان بها؟ ألا تؤدي التغييرات في اوربا الشرقية إلى زعزعة الصرح العالمي الذي تشكل بعد الحرب العالمية الثانية ولا يزال غير ثابت حتى الآن؟

اسئلة واسئلة... والاجوبة بعيدة المعاني. وتباعد الآراء واسع والتقويمات متنافرة في الاغلب. وطبعاً، فان اصحاب المعتقدات السياسية المختلفة يدركون العمليات الراهنة في عالم الاشتراكية بصورة متنوعة. وإلى جانب كلمات الموافقة والاعجاب والتأييد تتطاير الاسهم الانتقادية من مختلف الجهات. فاذا كان البعض يقدر هذه العمليات على انها «فشل» للاشتراكية وبرهان على عجزها، فقد رأى آخرون، فجأة، في البيريسترويكا السوفييتية والتغييرات في اوربا الشرقية «انهياراً» للنظام الاشتراكي و«اعادة للرأسمالية». ومن الواضح جداً ان الحديث يدور هنا في المقام الاول حول ازالة النموذج الستاليني لاشتراكية الثكنات، الذي يحرم الانسان من حق اختيار نمط حياته بحرية والشعوب. من اختيار اشكال بناء الدولة والمجتمع. ان هذه الاشتراكية الخالية من الديمقراطية بالتحديد هي العاجزة فعلاً ولهذا ترفضها الشعوب. وفي الوقت نفسه ما زالت الجماهير الواسعة مؤمنة بمُثل المجتمع الانساني الحر والعادل. وجذر التشويهات التي حصلت في العالم الاشتراكي لا يكمن في الماركسية اللينينية بل في الانحراف عن جوهرها الانساني.

ان العمليات تجري الآن في العالم الاشتراكي وسواه بطرق مختلفة يتصف بها كل بلد، اذ ان طبيعتها واشكالها ووتائرها ترتبط مباشرة بنضوج حالة المجتمع واستعداده للتحولات، وبقدرة الاحزاب السياسية على ادراك ضرورة التجديد الذاتي والبدء بعملية التغييرات الثورية الصعبة بل والمؤلمة في بعض الاحيان، في الوقت المناسب. واذا كان هذا الحزب أو ذاك عاجزاً عن ذلك فانه يخاطر بالبقاء خارج السفينة التي بدأت بالابحار.

ان كل الاحزاب التي حكمت دون شريك حتى فترة قريبة في بلدان اوربا الشرقية هي اليوم في وضع صعب جداً وغير عادي. وليس من السهل حتى على الاحزاب التي بدأت قبل غيرها في التجديد الجذري على أساس المبادىء الديمقراطية، لكي تؤكد ذاتها كقوة سياسية معاصرة قادرة عملياً على التعبير عن مصالح الشعب، أن تجد موقعاً لها على ظهر سفينة التقدم. وتشهد على ذلك تجربة الاصلاحيين اليوغسلاف والبولونيين والمجريين. ولكن على ما يبدو ليس ثمة طرق بسيطة نحو الاهداف الجديدة.

يجب على شيوعي كل البلدان الاشتراكية عملياً ان يجدوا اليوم اجوبة عن اسئلة

صعبة، اذ ان كل بلد من هذه البلدان يعاني ازمة ـ بهذه الدرجة أو تلك. ويمكن ان تكون الاسباب مختلفة. ولكن الاحزاب التي كانت تحتكر السلطة مسؤولة طبعاً عن أمور كثيرة. انها مسؤولة عن تشويه فكرة الاشتراكية مما الحق ضرراً اخلاقياً كبيراً بقضية الاشتراكية، وعن تفويت فرص توفير الرفاهية المادية للجماهير الواسعة. ومهما كانت المرارة يجب ان نعترف بان عالم الاشتراكية لم يستطع الدخول بصورة عضوية إلى مرحلة الثورة العلمية التقنية المعاصرة، ولم يتمكن من اكتساب العديد من أهم منجزات الحضارة المعاصرة.

ان الاحداث العاصفة في برلين وصوفيا وبراغ وبوخارست ذكرتنا من جديد، بصورة قاطعة، بالحاجة الملحة للجمع بين الاشتراكية والديمقراطية الكاملة التي لا يمكن اقامة اشتراكية حقيقية بدونها. ان هذه الاحداث وما أعقبها من تغييرات في اوربا الشرقية تؤكد، مرة أخرى، ان زمن الديكتاتوريات والانظمة الاستبدادية وزمن النداءات والوعود الباطلة قد ولى، اذ من الضروري باسرع وقت ممكن تحقيق انعطاف النظام الاجتماعي بكامله نحو الانسان وحاجاته ومصالحه وحياته. والاشتراكية لا مستقبل لها إلا اذا كانت ديمقراطية وانسانية.

لا شك في ان المأساة الرومانية كانت أكبر هزة بالنسبة لكل العالم. طبعاً، لم يعرف الجميع ما هو نظام تشاوشسكو في الواقع. فالثورة الشعبية الرومانية فقط هي التي كشفت عن وجهه الفعلي [illegible] الرغم من ذلك فان اخبار انتهاكات حقوق الانسان وحالة الجماهير الواسعة [illegible]رية في رومانيا كانت تتخطى الحدود. وللاسف، يجب الاعتراف بان الرأي العام في أكثرية البلدان الاشتراكية لم يكن مطلعاً على ذلك بالصورة المطلوبة.

ان هذا الشكل الخاص من الاخلاق السياسية انتشر منذ وقت طويل في كل مجال العلاقات بين الدول والاحزاب في عالم الاشتراكية، وذلك على الرغم من ان ادراك ضرورة العلانية بالمعنى الواسع لهذه الكلمة أخذ يترسخ، أكثر فأكثر، ليس في الاتحاد السوفييتي فحسب، بل وفي بعض البلدان الاشتراكية الأخرى أيضاً. وبسبب التخوف من الاساءة إلى الاصدقاء والزملاء واثارة خطوات سياسية معينة من جانبهم، جرت التجزئة الدقيقة للمعلومات حول القضايا والصعاب والهفوات الفعلية في العديد من البلدان الشقيقة وتقديمها في شكل «جرعات» وحظر بعض المواضيع الحادة الأخرى تماماً. ويجب ألا نفاجأ بحقيقة ان التغييرات الجذرية في المانيا الديمقراطية وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا كانت مفاجأة للعديد من المواطنين في عالم الاشتراكية.

ومهما يكن من أمر فقد أخذ بالانهيار النظام الاستبدادي الذي عمل على تجفيف مصادر المبادرة الشعبية. ومن الواضح ان التغييرات في اوربا الشرقية تجري تحت تأثير البيريسترويكا السوفييتية وفي ظروف حرية الشعوب الكاملة في اختيار طريقها الخاص.

ولا أحد يفكر في تحويل التيارات الحديثة إلى المجاري السابقة. واستطاع كل العالم ان يقتنع ان الزمن قد طوى نظريات السيادة المحدودة أو المنتقصة وان كل بلد مستقل في قراراته وأعماله.

ومما يستحق الاعتبار مسألة ان كل دول اوربا الشرقية أكدت التزاماتها التحالفية في إطار معاهدة حلف فرصوفيا. وهذا شرط مهم لصيانة الاستقرار الضروري لكل بلد بمفرده ولاوربا والعالم عموماً. فالمرحلة الجديدة ـ المعقدة والعاصفة ـ للتطور الاوربي ليست درباً مستقيماً ومستوياً ومضموناً. ولا يمكن استبعاد امكانية نشوء قضايا جديدة خطيرة في منطقة حيوية جداً بالنسبة لاوربا والعالم. وسيرتبط العديد من الأمور هنا بالثقافة السياسية للجماهير وبواقعية جيل السياسيين الحالي ومسؤوليتهم.

لا شك في انه لن يكون سهلاً بناء الاشتراكية الديمقراطية والانسانية واحياء فكرة الاشتراكية التي افرغها النظام البيروقراطي الاوامري نفسه من جوهرها الانساني. وفي الاغلب هناك طريق طويل مليء بالعديد من المحن والمفاجآت.

ان التغييرات الثورّية لم تحرر وتجدد الوعي الاجتماعي في بلدان اوربا الشرقية فقط. فهي مثل كل ظاهرة جبارة جلبت البلبلة والارتباك أيضاً وأثارت الشباب بخاصة. وتشهد الاتجاهات المتطرفة والشوفينية اليمينية التي تظهر في بعض البلدان على عدم توازن الوعي الاجتماعي في ظروف التغييرات الجذرية. وتستغل بعض الاوساط الشعور القومي وايمان الشعوب بالقيم الديمقراطية والحرية وتحاول تشويه الجوهر الحقيقي للعمليات التجديدية.

وفي هذا الوضع المتوتر تقوم القوى اليسارية والاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان التي تجري فيها الاصلاحات، باعادة النظر في نظريتها حول التطور الاجتماعي بصورة جوهرية، وتعيد بناء عملها وبنيتها التنظيمية. وتكمن المهمة الأولى لهذه القوى والاحزاب في رص صفوفها بسرعة واذا اقتضت الضرورة في الخروج من حالة الصدمة التي اصيبت بها، للاسف، بعض الاحزاب وكسب ثقة الجماهير.

يمكننا قول شيء واحد بثقة وايمان: ان فكرة الاشتراكية اذ تكتسب مجدداً روحاً حيّة وتستوعب اماني البشرية الابدية حول العدالة والمساواة والحرية ستبقى دائماً جزءاً مكوناً من الحضارة العالمية.



رسالة مفتوحة إلى الاصدقاء

يفغيني ستانتشيف*

على الـرغم من ان هذا الأمر غير عادي بالنسبة لمجلة مثل مجلة «قضايا السلم والاشتراكية» فاني ارجـو ان تقبلوا هذه السـطور بوصفهـا رسالة شخصية إلى اصدقائي واقربائي . فهم وحدهم يمكن ان يتسامحوا ازاء تردد عضو عادي مثلي في الحزب الشيوعي البلغاري وانفعاله وهفواته وتذبذبه . نحن اليوم في بداية كانون الثاني . وقد مر وقت قصير على قيام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري في العاشر من تشرين الثاني ١٩٨٩ بتنحية تيودور جيفكوف من منصبه كسكرتير عام للجنة المركزية . لقد مكث حوالي اربعة عقود في قمة السلطة .

منذ شهرين فقط كان الأمر بالنسبة لنا نحن البلغار سهلاً ، سهلاً على الرغم من ان صدى هذه الكلمة مخيف . فقد كنا جميعاً (أو جميعاً تقريباً) نعرف ما هو المسموح به وما هو الممنوع . وحددنا بدقة الموقع الذي يشغله كل فرد في سلم المسؤولية وامكانات اتخاذ القرارات . وكنا نعرف مع من نتكلم بضمير « انتم » ومع من نتكلم بضمير «أنت» . واستوعبنا كيفية التحدث والكتابة وبمن نستشهد ومتى وصورة من نعلّق على الحائط وما هي الكتب التي يجب عدم قراءتها والاذاعات التي ينبغي عدم الاستماع اليها . واحرزنا على أفضل صورة ملكة انتقاد أو فضح ما يعجبنا في اعماق انفسنا بالرغم من ان ذلك ممنوع . وامتلكنا بامتياز لغة لقمان وعرفنا مسبقاً ما الذي يعجب قراءنا ومشاهدينا والمستمعين الينا .

---

* كاتب اجتماعي بلغاري .

وحقق بعض الـزمـلاء مهارة عالية في امتلاك البهلوانية الصعبة بالتعبير عما يريدون هم وقراؤهم فقط من خلال الكلمات التي تسمح بها السلطة. واذا خانت الحذاقة فجأة أحد «البهلوانات» واذا فقد اليقظة فانه ينتهي دائماً تقريباً بصورة سيئة ـ بالنسبة له. على الرغم من ذلـك جلب فائـدة لآخرين اقتنعوا ان المسألة مريبة والدرب يُؤدي إلى مأزق وبدأوا بالبحث عن طرق أخرى. . .

منذ شهرين كان الأمر «سهلاً». وكان ثمة من يقرر ما هو الصحيح وما هو الخطأ، ويضع الخطط، ويحضر التقارير، ويصوغ «النظريات» و«الاتجاهات الرئيسية»، ويقترح «الآراء» و«اعادة التنظيم» و«توزيع الكادر». وكنا نعرف موقع كل شخص وكل واحد من حاشيته. واذا اصيبت الحملة الدورية بالفشل لاقينا الحملة التالية بكلمات الاعجاب من دون أي شعور بالذنب. وكنا نصدق بسذاجة ونسمع تفسير الاحباطات: «بعض الدوائر الرجعية في الغرب» أو «حالة السوق العالمية» أو «سنة قاحلة» أو «صيف ممطر». وكانت «الهيئات الجماعية» (اللجنة المركزية للحزب والجمعية الوطنية «البرلمان») طائعة مثلنا جميعـاً وتصـوت بالاجماع وتوافق على اعادة تنظيم جديدة أو نظرية جديدة (وكأنها من اعدادها). وهكذا كان يتبعها بالتصويت بهبّة واحدة حزب اتحاد الشعب الفلاحي البلغاري الصـديق والكـومسـومـول والجبهـة الوطنية والنقابات والاتحادات الابداعية والمنظمات النسائية والاجتماعية الأخرى وصولاً إلى الطلائع. وكنا جميعاً نعرف الحقيقة ونصمت. هكذا أسهل وأضمن لأن عدم الخضوع كان غالي الكلفة.

منذ شهرين كانت الحياة اوضح بالنسبة لنا. فقد اوضح لنا ذلك المدير والمسؤول الحزبي والصحف والاذاعة والتلفزيون. وعلمونا ذلك في المدارس والمعاهد ولسنوات طويلة في مختلف الحلقات التنويرية. وصدرت «قوانين احوال» الحياة والعمل وحتى نمط التفكير بعشرات المجلدات المغلفة باغلفة حمراء والمعنونة باحرف مذهبة وصدرت مئات الكـراريس والـوف عديدة من الدوريات. وعلقت لوائح «القواعد الاخلاقية» في الغرف والممرات ابتداء من رياض الاطفال حتى اللجنة المركزية. وكانت الطاعة هي موضوعها الرئيسي.

منذ شهرين كان يمكن ألا نفكر. فكان ثمة من قام بذلك بدلاً منا رغم ان العمل الـذهني لم يكن اختصـاصاً أساسياً بالنسبة لاكثرية اصحاب القرارات. واقصد الموقع الفعلي وليس الرسمي ـ اذ جرى منح العديد من القادة درجات والقاب اكاديمية. ولم يكن من الجائز ان يفكر الناس البسطاء ـ كادوا يعتبرون ذلك خطيئة وكان يمكن ان يؤدي إلى ابراز ضعف علم المعلمين. ولتجنب المجازفة كانت غرفة المعلمين مجهزة بآلية «اعلانية» منـظمة بدقة. ولم نتكلم بصوت عال إلا عن الحب والسمر والسياحة وفي الحقيقة عن

السياحة الجبلية وليس حول الرحلات إلى الخارج ـ كون الانطباعات عنها عفنة. وخصص لكل واحد عدة ملفات تتضمن معلومات من نوع فئة الدم حتى الموقف من موسيقى الجاز. وهـذه المعطيات هي التي حددت الشخص الذي يمكن ان يصبح مسؤولاً ويسافر إلى الخـارج ويحـظى بالثقـة. . . وكانت هناك ملفات للنخبة. لاولئك الذين كانوا يعتبرون مرشحين للمناصب الوزارية وللذين جلسوا دائماً في منصات الرئاسة. واذا فشلوا بصورة مفضوحة في مناصبهم كقادة للمناطق عينوا مسؤولين في المؤسسات الاقتصادية، ثم ارسلوا سفراء إلى الخارج. ولدى العديد منهم كان عدد البنادق الثمينة في بيوتهم الفخمة أكثر من الكتب التي قرأوها. ولكن ذلـك كان يعتبر أمراً عادياً ـ فكان يجب ان يكون واحداً ممن يكسب غنائم الصيد في عشرات الغابات المحمية المقفلة في وجه الناس العاديين ويشرب الانخاب على شرف القادة في «بيوت» مريحة في ضواحي المدن وفي المقرات الرسمية المنتشرة في كل انحاء بلادنا غير الغنية عموماً.

منذ شهرين كنا ننظر دائماً إلى الرفوف الفارغة في المحلات على خلفية ما يسمى «الخدمة الطبية المجانية» و«التعليم المجاني» وضرورة «الثورة العلمية التقنية». ومن كان يعتبـر ذلـك قاعدة كان محقاً ـ كان يمكن الحصول على أي دواء في المستشفى التابع للحكومة وكان أولاد القادة وفقاً لمناصبهم يدرسون في كل انحاء العالم. وفي بلدة السكرتير العام السابق تم بناء مؤسسة لانتاج الكمبيوترات ـ رمز «تحليقنا» نحو قمم الثورة العلمية التقنية وذلك في مكانْ مصنع صغير للقرميد. وانتج حرفيو القرميد الكمبيوترات على الرغم من انه لا أحد يعرف كم كان ذلك مكلفاً لبلغاريا. وهل كان ذلك ضرورياً لها عموماً؟ اذ اننا وصلنا إلى حالة اننا لا نستورد معها القطع المخصصة للكمبيوترات فقط، بل حتى البطاطا والفاصولياء. وهجرت القرى والبلدان في هذا البلد الذي كان زراعياً إلى درجة لا يمكنَ ان يسمح بها أي اقتصادي جدي. واعتقد ان تشاوشيسكو وحده تخلص بصورة أكثر بربرية من الفلاحين الذين كان عليهم ان يتركوا الأرض وينتقلوا إلى الصناعة الثقيلة وما فوق الثقيلة المشكوك في أمرها في المدن الكبيرة.

قبل تشرين الثاني ١٩٨٩ كنا نعرف ان الحياة على هذا النحو غير ممكنة. بل يمكن ان نعيش أفضل وبصورة أذكى وأكثر حضارية. ويجب ان نغير بصورة جذرية النظام الذي حولنا ببطء ولكن بثقة إلى شيء فات اوانه على الساحة الاوربية. ولا يمكن ان نستمر في خداع انفسنا بالتأكيدات التي تزعم اننا نقوم باعادة البناء وبالبحث عن طرق معللة علمياً للخروج من حالة الخمول. فالوجوه «الابدية» التي قادت البلاد على مدى عشرات السنين لم تستطع التنازل عن مزاعمها الذاتية الانانية. وكنا بالانتقال مرة إلى اليسار وأخرى إلى اليمين نتظاهر بالنشاط زوراً لا غير، في حين ان العالم المتحضر اعتمد على منجزات

علمية حقيقية وسبقنا بوتائر عالية. وظهرت نكتة مريرة هي ان اليابانيين لن يلحقوا بنا حتى ولـو ركضـوا لمـلاقـاتنا. كان يمكن ان يكون ذلك مضحكاً لو لم يكن حقيقة صحيحة ومخيفـة. لاننـا عنـدمـا كنا نتظاهر ببناء «الاشتراكية المتطورة» بلغت ديوننا من البلدان المتطورة حوالي ١١ مليار دولار القت بعبء كبير على اكتاف أقل من ٩ ملايين بلغاري.

أجل، لقد ادركنا انه لا يمكن ان نعيش هكذا وعرفنا العديد من اولئك الذين عرقلوا تطورنا الطبيعي. وقد اختفى البعض منهم من الحلبة السياسية وستتم حتى محاكمة البعض الآخر. ولكن إلى جانب البقع السوداء في جدران المكاتب التي كانت صورهم معلقة عليهـا بقيت قضـايا اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تراكمت على مدى العديد من السنين. وبدأ الأمر الاصعب: اننا صرنا نتحرك ولكن إلى أين؟

منـذ فتـرة قريبـة تحـدثت مع بعض الـزملاء الشباب حول المؤتمر القادم لاتحاد الصحفيين، فقـالـوا «اننـا نحضر مشروعاً بديلاً للنظام الداخلي» فقلت معارضاً «ولكن المشروع الرسمي لم يظهر حتى الآن» فاجابوا «لا بأس نقدم البديل في كل الاحوال».

والآن، بعد هذه العقود الطويلة من «النظام الكامل» تبين اننا لا نعرف التفكير كما يجب. واتضح بعد كل هذه السنوات من «التقدم الواثق إلى الامام» اننا حتى لا نعرف كل القضايا التي تواجهنا جميعاً وتواجه كل واحد منا على حدة. واتضح ان بعض القرارات الخطيرة مثل قرار تغيير اسماء المسلمين البلغار الذي أدى إلى هجرة مئات الالاف من الناس إلى تركيا تم اتخاذها من قبل شخصين أو ثلاثة أو خمسة اشخاص كحد اقصى. وحدث ذلك في اللجنة المركزية والسكرتارية والمكتب السياسي، حيث كان «الاجتماع الكامل» مسيطراً تقليدياً وفقاً للصحافة. وكنا في الماضي أيضاً نظن ان هذا التعبير يعني أساساً رأي «القائد الأول في الحزب والدولة». ولكن من المشكوك فيه ان يكون واحد منا قد فكر بان الحكم المطلق وصل إلى مثل هذه المقاييس المشوهة. ولكن حتى لو افترض ذلـك فمـاذا بعـد؟ فالاشخاص الذين يستقلون سيارات «المرسيدس» الفخمة ويوقفون الحـركـة في الشـوارع يختبئـون بتـواضـع خلف الستائر متخذين شكل القادة الوقورين والمـطلعين. واليوم فقط اتضح ان خرق قواعد المرور كان أكثر آثامهم بساطة. واخفوا بالاستشهـادات من ماركس وانجلز ولينين تعطشهم البدائي حتى الوقاحة وعديم الكفاءة والاناني للسلطة والاثراء الشخصي. واولئك الذين نعتوا انفسهم بانهم «تحدروا من صفوف الطبقة العاملة» وانهم ممثلون لها كفوا منذ زمن بعيد عن الشعور بانهم جزء من الشعب. وعندما وصلت آثار مأساة تشيرنوبل إلى سماء بلادنا لم يحذر هؤلاء القادة سوى المقربين منهم من هذا الخطر.

اليوم نعرف الكثير عن العديد من الأمور. وعندما نستطيع التحدث حول ذلك فاننا

ندرك ان هذا ليس سوى نصف القضية. والآن يتكلم الوف وعشرات الوف البلغار بحرية وانفعال وحماس. وهناك من القى خلال شهرين خطباً تفوق كل الخطب التي القاها خلال حياته وسيستمرون في الكلام حتى يذكرهم أحد ما بضرورة العمل أيضاً أكثر من الماضي وبصورة معقولة وشريفة فعلاً. لاننا الآن نطمح إلى حياة أفضل وهذا يعني انه يجب ان نعمل بصورة أكثر كثافة.

واليوم يوجد العديدون من امثالي ممن افكارهم غير ثابتة. واعترف بصراحة وشرف انني لم استطع حتى الآن ايجاد موقعي في الحزب والمجتمع. فقبل تشرين الثاني كان آخرون يفكرون نيابة عني. أما اليوم فيجب ان احدد بنفسي خط الحياة. هناك عديدون القوا بكل الذنب على الحزب وقبل ان يتخلوا عن البطاقات الحزبية بدأوا بالنضال ضده. والحركات والمنظمات البديلة تنمو كالفطر بعد المطر. في البداية كانت تظهر احزاب وتيارات وتكتلات واتحادات جديدة بصورة وجلة ثم بصورة أكثر استعراضية. واذا بقيت الوتائر الراهنة على حالها فسيصل عددها حتى نهاية العام إلى أكثر من ٢٠٠ منظمة. واصبح واضحاً ان النموذج المتلاحم والمعمم للشعب البلغاري حمل في نفسه جملة لا تحصى من الآراء والعقائد التي تزدهر الآن. زد على ذلك انه عندما تم في اواخر عام ١٩٨٩ اقرار اعادة السماح للمسلمين البلغار باختيار اسمائهم بانفسهم وقف قسم كبير من الرأي العام ضد ذلك بصورة قاطعة مما فاجأ الجميع تقريباً. ولم يكن بمقدور أية حجج واستشهادات حول ان هذا القرار ينسجم مع الدستور وينبع من الاعلان العام لحقوق الانسان ان تبعث الهدوء في نفوس المعارضين. وظهر العلم البلغاري في ايدي المتظاهرين في العديد من المدن، المضطربين جداً والخطرين والمفعمة نفوسهم بالطاقة الكامنة للحرب الاهلية. وفي وسط صوفيا، أمام مبنى الجمعية الوطنية اجتمع فريق هائل من الناس الذين اتوا من مختلف انحاء بلغاريا، حيث انضم اليهم السكان المحليون وبقوا هناك وهم يحملون اولادهم اياماً كاملة في ظل برد قارس وصلت فيه درجة الحرارة إلى ٢٠ درجة تحت الصفر. وطوال حياتي التي تبلغ نصف قرن لم أشهد قيام الصحف والاذاعة والتلفزيون بالادلاء باراء متناقضة تماماً حول المسألة ذاتها. فالناس الذين صمتوا سنوات طويلة يريدون اسماع صواتهم وأخذ رأيهم في الاعتبار. ولكن خبرتنا قليلة جداً في الاصغاء إلى الطرف الآخر والبحث عن التفاهم والتمتع بالصبر حياله، اذ انا تعودنا على الاوامر...

هناك قضيتان كبيرتان للغاية تواجهان بلادنا في بداية عام ١٩٩٠ هما وحدة الشعب والحالة الاقتصادية. وحتى الآن ليس ثمة وصفة جاهزة لكيفية العمل. أي هناك العديد منها ولكن لم يتم إختيار أية واحدة منها بالتجربة، ما عدا تلك التي برهنت بوضوح في الماضي

على عقمها.

ان البلغاري المتسامح تقليدياً بالنسبة للمسألة العنصرية كشف عن نزعات قومية وشوفينية رهيبة وأخذ البعض يتحدث عن «العرق الصافي» و«الامة الصافية» وعن دولة ليست موجودة في العالم. ان السياسة خلال العقود الأخيرة في مجال القضايا الاثنية أدت إلى التراكم غير العادي للعفن الاخلاقي واثارت العديد من التناقضات المصطنعة، الأمر الذي ربما يستدعي مرور وقت غير قليل قبل ايجاد حلول أكثر صحة في سبيل تحقيق الهدوء والوحدة الوطنية. وما دامت الوحدة غير متوفرة لا يمكن ان نتحدث حول الأمن الوطني. ومما يستدعي التفاؤل القرار الذي اتخذ في ٢٩ كانون الاول ١٩٨٩ برفع سمعة البلاد أمام كل العالم. وكان لا يمكن التفكير بان لدى بلغاريا فرصاً للتطور الذاتي قبل حل هذه المعضلة. وفي عام ١٩٨٤ عندما «جعل» جيفكوف، يمكن القول بمفرده، المسلمين بلغاراً مخلصين لم تستوعب أي دولة هذا الفعل بوصفه فعلاً انسانياً وصحيحاً. وهذا حق تماماً. ولا يمكن لأحد سوى من كان في بلادنا في صيف عام ١٩٨٩ ان يعرف المعاناة التي مر بها شعبنا، حيث تدفق المهاجرون من جروحه مثل نزف الدم الغزير وحتى اليوم أرى أمامي رتلاً طويلاً من الناس مع الاطفال والعجائز المجبرين على السفر إلى الخارج. وقد عاد منهم ما يزيد على ١٠٠ الف شخص. ولكن الذين رجعوا والذين بقوا خلف الحدود سيتذكرون طوال حياتهم الالم والاهانات والمعاناة والذل الذي لحق بهم من جراء سياسة النظام السابق الاستبدادية.

ومن الرائع انه تم تحقيق أول نصر كبير وشامل في العهد الجديد، في بلغاريا بالتحديد، في النضال من أجل حل قضية حيوية جداً كالقضية القومية. فبعد عدة أيام متوترة من النقاشات الحامية في قاعة الجمعية الوطنية وفي إطار المجلس العام لممثلي مختلف القوى تم التوصل إلى اتفاق على أساس التعددية. وتم اقرار وثيقة ختامية عرضت على البرلمان للتصويت عليها بعد مناقشتها بصورة واسعة. ويمكن القول مجازاً ان نقاطها الاحدى عشرة اصبحت من الاسنان الاولى للديمقراطية في العجلة التي يجب ان تقود إلى الحركة آلية الوطن المتجدد على الطريق نحو اوربا والقرن الحادي والعشرين. وجاء في الوثيقة ان «بلغاريا واحدة لا تتجزأ وهي وطننا» وان كل المواطنين البلغار متساوون أمام القانون ويتمتعون بالحقوق والحريات ذاتها ويقومون بالواجبات نفسها، والواجب الأعلى للجميع هو حماية وحدة أراضي البلاد وسيادة شعبها. ومن الحقوق الرئيسية لكل انسان حقه في حرية الضمير والمعتقد والحرية الدينية وحرية اختيار الاسماء واقامة الشعائر الدينية والطقوس التقليدية واتباع العادات والتقاليد. وعلى الرغم من ان اللغة البلغارية هي اللغة الرسمية في البلاد فان المواطنين يستطيعون في التعامل بين بعضهم وخلال حياتهم اليومية

التحـدث بأية لغـة يريدون. ويجب الالتـزام الحـازم وغير المشـروط بمبدأ مساواة كل المـواطنين أمام القانون بدون السماح بأية امتيازات وافضليات. ويجب بصورة تشريعية توفير ضمـانات حقوقية وادارية اضافية لازمة لحماية حقوق وحريات وأمن الاقلية الاثنية ومصالحها وحياتها الهادئة في منطقة أو جماعة أو نقطة سكنية معينة.

من المستبعد وجود بلد آخر في اوربا يوجد فيه مثل هذا العدد من اللوائح والاحكام والاوامر المتناقضة والتي ينفي بعضها البعض الآخر. وكانت أية فكرة تلوح لرئيس الدولة والحزب سابقاً تحظى بثقل أكبر من أي بند من بنود الدستور، هذا ناهيكم عن قواعد الحياة الحـزبية. لذلـك، عنـدمـا توفرت للناس أخيراً امكانية التفكير بانفسهـم والاصرار على حقوقهم وحرياتهم يكاد الأمر يتطلب البدء من جديد في كل شيء بما في ذلك التعليم السياسي والحقوقي وترسيخ الحقوق والحريات وتوفير الضمانات الطبيعية لاحترامها.

ويبدو انه من المظاهر الطبيعية والمميزة إلى حد بعيد في العصر الجديد نشاط ما يسمى «عباد الشمس». ويستغرب البعض انه خلال حكم القيادة السابقة، كما تبين، كان هناك الكثير من الناس الذين تعرضوا للملاحقات والقمع وصولاً إلى واقع ان اللصوص واصحاب السوابق الذين لا يمتون بصلة إلى الملاحقات السياسية قد اضربوا عن الطعام في الايام الاولى بعد العاشر من تشرين الاول مطالبين بـ «حقوقهم». وليس من النادر ان يسمـع المـرء اليوم مزاعم رنانة من قبل بعض الناس الذين فشلوا نتيجة لتفاهتهم وعدم تحليهم بالانضباط والذين يقولون زوراً انهم «ضحايا جيفكوف».

أما البعض الآخر فقد نسوا فجأة ما كانوا يصرحون به ويروجون له خلال سنوات طويلة. في الحقيقة نشرت بعض الصحف التي يترأسها اناس جريئون ونزيهون فعلاً عدداً من المواد القديمة لكي تذكرنا في أي طرف من المتراس كان البعض اثناء تلك السنوات العسيرة. وكتب أحد زملائنا: «استقبل بعض الناس اعادة البناء بحماسة وفتحوا أذرعهم لاحتضانها إلى درجة تهدد بخنقها». أجل. يوجد مثل هذا الخطر الذي ينبع كذلك من اولئـك الـذين هم على اهبة الاستعداد للتسبيح باسم القيادة الجديدة بالتزلف والحمية اللذين حمدوا بهما القيادة السابقة. ان الدواء الشافي يكمن في الشباب الذين يقودون دونما توصيات وارشادات وبطريقة طبيعية تماماً نوادي وحركات ومنظمات واحزاباً ظهرت حديثاً.

... ان فترة الركود قد ربتنا بطريقة سيئة جداً، اذ ان المساواتية والنداءات الانسانية المزيفة الداعية إلى مساواة اجتماعية ما رعرعت في نفوس الناس شعوراً انه ليس ثمة فرق بين العمـل الجيد والعمـل السيء. وكان جيش الموظفين المملولين الهائل يثقل اكتاف الشغيلة بعبء لا يحتمل، ولكن ما كان في وسع المرء ان يعمل في الواقع عندما كان يرى

مثلاً توسع جملة من الابنية التابعة للجنة المركزية في وقت اطلاق الدعوات النشيطة لتقليص الجهاز الاداري، اذ ان بناء سكنياً قد الحق بالبناء الرئيسي للجنة المركزية في وسط صوفيا ثم تبعه مبنى آخر وهكذا دواليك. . . ثم ظهرت في كل مكان قصور تابعة للجان حزبية تقف امامها سيارات ليموزين سوداء فاخرة ويحرس ابوابها رجال الميليشيا. وكان الموظفون الذين يحتلون مناصب جيدة يعيشون حياة رغيدة على حساب الاشتراكات الحزبية والدعم الحكومي. ومن المشكوك فيه ان يلقى الكثير منهم اليوم عملاً آخر في الظروف الجديدة. اذ ان قليلين منهم يصلحون لهذا النوع أو ذاك من النشاط الابداعي.

وقد برز الكثير من القضايا التي لم نكن نتصور وجودها أو نسيء تقديرها، بل ابعادها وحدّتها، اذ ظهر ان وتائر النمو العالية التي افتخرت بها البلاد تم اختلاقها في مكتب السكرتير العام. وتتسم بصفة مأساوية المعلومات الصحيحة الاولى حول حالة تربة بلغاريا والوضع الايكولوجي وانتاجية العمل وتوزيع المساكن وقلتها والهوة الضخمة بين أعلى الاجور والمرتبات التقاعدية وادناها (لقد اتخذت اولى الخطوات لتسوية هذه القضية) وتزويد الاقتصاد بالتكنولوجيات والعديد غيرها. وتسعى جميع النوادي والحركات والاحزاب الجديدة تقريباً إلى ادخال روافع السوق. ومن الطبيعي ان تتمايز وجهات النظر فيما بعد وفقاً للاهداف والمصالح الاستراتيجية. إلا ان ذلك قد يسفر عن صعوبة تحقيق الاصلاح الاقتصادي الموحد. كما يتبين ان الاسلوب الاداري الاوامري في القيادة لن يتيح تحقيق التغييرات الجذرية (وليس في الموقع الأخير أخذ تجربة البلدان الأخرى والاتحاد السوفييتي في المقام الأول في الحسبان). إلا انه من الواضح ان الطريق المستقيم يمر عبر التغيرات الحقيقية والوطيدة والجذرية. ولا يمكن تأمين علاقات الانتاج المتجددة إلا عن طريق سن قوانين تقدمية حول الأرض والملكية وما شابه.

ومن البديهي في المقام الأول انه لا يمكن فصل الاصلاحات الاقتصادية عن الاصلاحات السياسية، اذ ان الأولى تنبثق من الثانية والعكس بالعكس. ولا يجوز لأحد ان يتظاهر بانه لا يعرف ان فئة «السابقين» القوية والمجربة بما فيه الكفاية ستعمل كل ما في وسعها للبقاء في دست السلطة ومحاولة اعاقة التغييرات.

عندما اقترحوا عليّ ان أكتب مقالة للمجلة ظننت انني سوف اتحدث باختصار عن مشاعري ورؤيتي للاحداث رؤية هامشية إلى حد ما. أما الآن فانا اختتم مقالتي واشرح هذه الهفوة بالميل العام السائد في بلغاريا إلى التأملات العميقة. اضف إلى ذلك انه لا وجود لرأي واحد حول الكثير مما يجري في البلاد. وليس من النادر ان تساعد العواطف واختلاف الآراء على تبيان الحقيقة وتشكل الاخطاء أفضل عبرة للمستقبل بشرط اكتشافها وتقييمها تقييماً سليماً وعدم تكرارها.

لقد شعر كل شخص بالانتصار والهزيمة في آن

روبيرت خوخ*

في مؤتمر عام ١٩٨٩، الذي اعلن عن انشاء الحزب الاشتراكي المجري، كانت تعمل حوالي عشرة منابر تعبر عن الآراء المختلفة، المتعارضة أحياناً، لمجموعات المندوبين. احدها «التلاحم من أجل تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري» - حل نفسه اثناء عمل المؤتمر، لأنه اعتبر ان الهدف الذي وضعه لنفسه، قد تحقق. وهذا ما اعلنه بصورة عاطفية آنذاك أحد المشاركين النشطاء فيه ر. خوخ، العالم المعروف، نائب مدير معهد الاقتصاد في اكاديمية العلوم المجرية. وبعد ان انضم إلى الحزب الاشتراكي المجري، تزعم بعد عدة أشهر من المؤتمر اتجاهاً جديداً في الحزب هو- فرع الاشتراكيين اليساريين.

- في تشرين الاول ١٩٨٩، فقدت المجر الحزب الشيوعي الحاكم مع بقاء البلد اشتراكياً. اذ ولد الحزب الاشتراكي المجري. فهل كان التخلي عن نموذج الحزب الماركسي اللينيني خطوة اضطرارية مرتبطة بالوضع السياسي الداخلي، أو انه كان حاجة داخلية لعدد من أعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق، الذي وصل إلى وضع الازمة؟

* قائد فرع الاشتراكيين اليساريين في الحزب الاشتراكي المجري، عضو مراسل في اكاديمية العلوم

ـ للاجابة عن هذا السؤال اعود إلى الكونفرنس العام لحزب العمال الاشتراكي المجري الذي جرى في أيار ١٩٨٨ . فآنذاك بالذات بدأنا (بصورة خجولة في الواقع) التخلي عن بعض تقاليد بنية التنظيمية للحزب بالمعنى السابق لهذه الكلمة . وتحديداً، لقد طرحت المسألة حول امكانية وفائدة وجود حرية العمل ومختلف المنابر في حزب العمال الاشتراكي المجري . وطالبتُ بعلنية أكبر في عمل الحزب وقيادته . واعتقد ان ذلك كان بحد ذاته نوعاً من التخلي عن ذلك النموذج البلشفي، الذي تكون في المؤتمر العاشر في روسيا السوفييتية . فحينذاك كما نعلم الغيت حرية التكتلات[1] .

اثارت الاقتراحات، كما كان متوقعاً، نقاشاً حاداً . فالرئيس السابق لحزب العمال الاشتراكي المجري يانوش كادار قد عارض ذلك بشدة . وكنت شخصياً احترمه كثيراً كقائد وكانسان، على الرغم من ملاحظتي للاخطاء في نشاطه . ولم يُتخذ القرار، وأقول بصدق انني سررتُ لذلك، لأن اغلبية المندوبين كانت على الارجح سترفض الاقتراحات . ولكن عقب الكونفرنس الحزبي مباشرة بدأ العمل في الهيئات القيادية على وضع النظام الداخلي الجديد، الذي كانت هذه الافكار بالذات تكمن في اساسه .

ان البنية التنظيمية، التي كانت تميز حزب العمال الاشتراكي المجري السابق ـ واعني بالدرجة الأولى مبادىء المركزية الديمقراطية ـ كانت تتيح خنق المبادرات والاقتراحات السليمة الآتية من الاسفل، والقضاء عليها في المهد . واعتقد انه بسبب ذلك إلى حد بعيد بدأت تتجلى ظاهرات الازمة في الحزب والبلاد منذ بداية الثمانينات . فالآمال التي راودت الشيوعيين وغير الحزبيين بان تبدأ التحولات الجذرية بعد الكونفرنس الحزبي، ظلت مجرد آمال للاسف . وشهدت الحياة السياسية اخطاء جدية في العام والنصف التي اعقبت الكونفرنس .

في الكونفرنس الحزبي لم يتطرق الحديث حتى إلى التخلي عن الدور القيادي لحزب العمال الاشتراكي المجري، وعن النظام الاشتراكي . ولكن بعد انتهائه اخذ قسم من القيادة الحزبية يتقدم بمبادرات جذابة جداً في الظاهر، لم تقبلها الاكثرية في الحزب مع ذلك . واعني هنا، بالدرجة الأولى، اعادة تقييم نتائج العقود الاربعة من تاريخنا وطابع احداث عام ١٩٥٦[2]، ونشاط امري ناج ـ رئيس الوزراء آنذاك[3]، ودور حزب العمال الاشتراكي المجري . وكانت المأساة الكبرى، في رأيي، تتلخص في ان القسم الآخر من القيادة كان يتجاوب بفتور شديد مع هذه المبادرات، وكان، أحياناً، يعرب عن وجهة نظر معينة، ثم يعود بعد فترة من الزمن ـ أيام، أسابيع، أشهر ـ ليعرب عن نقيضها تماماً . وقد أدى هذا، دون شك، إلى تقويض سمعة الحزب وثقة الاعضاء العاديين الذين لم يقبلوا مواقف القسم الأول من القيادة .

اعتقد ان مسألة نظام تعدد الاحزاب اصبحت هي الحد الفاصل. وعلى الرغم من الاعلان في الكونفرنس ان حزب العمال الاشتراكي المجري ليس معارضاً من حيث المبدأ لتعددية الاحزاب، كان الحديث يدور بان تطورنا التاريخي سار على طريق تكون خلاله نظام الحزب الواحد، وان هذا النظام سيظل قائماً في المستقبل. وبعد نصف عام أعلن في الاجتماع الكامل للجنة المركزية ان مسألة نظام الحزب الواحد أو تعدد الاحزاب ليست في رأينا مسألة مبدئية في ظروف الاشتراكية. واذ اعترفنا بتعددية الاحزاب أكدنا، آنذاك، انه لا يمكن ان تكون علنية إلا تلك المنظمات التي تدعم المجر الاشتراكية. ولكن، مرة أخرى، اختفى هذا التعريف بعد عدة أشهر.

أخذ قسم من الناس الذي كانوا في السابق أيضاً من انصار نظام تعدد الاحزاب (البرجوازي) يعلن ان هذه هي ارادة الشعب. ولكن لم يجر أي استفتاء أو اقتراح في صفوف الشعب. ويبدو لنا ان مطلب تعددية الاحزاب كان يعبر عن رغبة طائفة ضيقة من الاشخاص فقط. وكانت احدى الحجج التي طرحوها التأكيد بانه ما دامت الاحزاب موجودة عملياً، فمن الضروري اضفاء صفة قانونية عليها. واسمح لنفسي بالتشكيك بصحة هذا الطرح. ففي عهد هورثي[4] كان الحزب الشيوعي يمارس نشاطه في المجر. ولكن ذلك لم يكن بالنسبة لنظام الحكم اساساً للاعتراف بعلنيته. اذن، هذه الحجة موضع شك كبير.

لا شك في ان العمليات الاقتصادية الجارية في البلاد مارست تأثيرها في الحزب في تلك الفترة. واذكر ان وضع الاقتصاد الوطني ازداد سوءاً في اواسط السبعينات، ونما الدين الخارجي بنسبة كبيرة[5]. واصبحنا عملياً رهائن لصندوق النقد الدولي، الذي تملك الولايات المتحدة الصوت الحاسم فيه. وفي مطلع العقد الراهن أخذ صندوق النقد الدولي يدلنا على كيفية اجراء التدابير الاجتماعية وتنظيم الاسعار وما شابه. وينبغي القول انني اعلنت، آنذاك، في احدى الجلسات المغلقة في الاكاديمية، ان صندوق النقد الدولي يملي علينا السياسة الاقتصادية، ولكنني، للاسف، استصغرت عواقب هذا الضغط. ففي عام ١٩٨٧ اوصى الصندوق بتطبيق نظام للضرائب مماثل للنظام المعمول به في دول اوربا الغربية. وقد تجلى، آنذاك، ميل لتغيير توجهنا من سوق مجلس التعاضد الاقتصادي إلى سوق اوربا الغربية.

وباختصار، على هذه الخلفية الاقتصادية تفاقمت الازمات في المجتمع والحزب على حد سواء، علماً بان تأثيرها المتبادل كان كبيراً وأدى إلى عواقب جدية.

ـ هل يمكن القول ان حزب العمال الاشتراكي المجري وصل إلى مؤتمر تشرين الأول وهو في وضع كان من المستحيل فيه تغير أي شيء، وكان التخلي عن التراث

السابق وحده القادر على اعادة العافية إلى صفوف الحزب؟

ـ لقد كان حزب العمال الاشتراكي المجري، آنذاك، يضم عملياً كتلاً ومنابر مختلفة، الأمر الذي تجلى، بالطبع، أيضاً في آراء القيادة الحزبية العليا. وعلى الرغم من ان محاولات بذلت لتوحيدها، إلا انه كان واضحاً للجميع ان الصراع السياسي داخل الحزب، بما في ذلك بين الاعضاء العاديين، كان يحتدم من يوم إلى آخر. وقليلون هم الذين يعرفون المخرج.

قبل المؤتمر مباشرة كانت المنابر الآتية تعمل داخل حزب العمال الاشتراكي المجري. (سأبدأ من اليمين إلى اليسار. دون ان استبعد وجود آراء أخرى في هذا الشأن). اتحاد الاصلاحات ـ وهو ليس المنبر الأكبر والأكثر تلاحماً وتنظيماً فحسب، بل والأكثر شباباً أيضاً من حيث اعمار المشاركين فيه. واضيف إلى ذلك ان هذا المنبر لا يزال حتى الآن عبارة عن طائفة من الكتل والمجموعات والتيارات المختلفة. وبالمناسبة، اتضح فيما بعد ان قوته كانت أشبه بخداع النظر. فانصار اتحاد الاصلاحات لا يشكلون إلا ١٠ في المئة من الحزب الاشتراكي المجري الراهن القليل العدد.

وفي الوسط يقع المنبر الشعبي الديمقراطي. وأقول بصراحة انني لو لم أكن عضواً في منبر آخر لانضمت اليه بكل سرور. فقد تمكنت هذه المجموعة عملياً من اكتساب مواقع معينة وترشيح ممثليها إلى الهيئات القيادية، وإن لم يكن يمثل العدد الذي رشحه اتحاد الاصلاحات. وبالمناسبة، سأخرج عن موضوع الحديث لاذكر الواقعة المعبرة الطريفة الآتية: بعد المؤتمر ظهرت في صحيفة «نيبسابادشاغ»، التي صارت صحيفة اشتراكية (حذف شعار «ياعمال العالم اتحدوا» من رأس صفحتها الأولى)، صورة كانت أشبه بحدث مثير وفق المفاهيم المجرية، هي عبارة عن سيارة «ترابانت» ـ وهي كما تعلمون سيارة رخيصة ذات هيكل مصنوع من مواد بلاستيكية ومحرك دراجة نارية ـ لاحد أعضاء هيئة رئاسة الحزب الاشتراكي المجري، تقف أمام مبنى اللجنة المركزية. ولكن هذه، للاسف، حادثة نادرة، فلا يزال اصحاب الكلمة الفصل في الحزب حتى الآن هم أولئك الذين يركبون سيارات «مارسيدس» الفاخرة الشخصية.

في يسار اللوحة السياسية كان يقف منبر «من أجل حزب العمال الاشتراكي المجري» و«التلاحم من أجل تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري»، الذي كنت انتمي اليه، وكان زعيم هذه الحركة العضو السابق في المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري ي. بيريتس، الذي كان يهتم بمسائل الايديولوجيا في الحزب. وقد كان امراً جيداً، ان سياسياً محترفاً كان على رأس هذه الحركة. ولكن، كما تبين، كان لذلك عواقب سلبية معينة فيما بعد. فعندما قررنا في

المؤتمر، مثلاً، الانضمام إلى المنبر الشعبي الديمقراطي رفض طلبنا بكل بساطة.

أما المعبرون عن الآراء الأكثر يسارية فكانوا أما غائبين عن المؤتمر وأما ضعيفي التنظيم. فالمنبر الماركسي الموحد في حزب العمال الاشتراكي المجري، مثلاً، الذي يعتبر انه يجري، تحت شعار تغيير النموذج والتحضير لاعادة الرأسمالية في المجر، لم يكن ممثلاً في المؤتمر. كما لم يكن لدى كارولي غروس، السكرتير العام لحزب العمال الاشتراكي المجري في ذلك الحين، أية مجموعة. وهكذا، بصراحة، لم تكن القوى التي اعادت تنظيم حزب العمال الاشتراكي المجري الآن، ممثلة عملياً في المؤتمر.

ـ ان اتحاد الاصلاحات والمنبر الشعبي الديمقراطي، اللذين كانا يملكان الاغلبية في المؤتمر، حددا من حيث المبدأ قراراته؟

ـ أجل. بما ان كل النقد تركز على المنابر اليسارية، اعتقد اننا حولنا الانتباه عن الديمقراطيين الشعبيين. وفي ظروف الحرب أيضاً تكون هناك لحظات تجعل مجموعة معينة نفسها هدفاً للنيران. وهذا ضروري في النضال السياسي، على الرغم من انه غير مستحب.

وأشير إلى سمة مميزة أخرى للمؤتمر، هي العلاقات بين مندوبي العاصمة والاقاليم. فالكونفرنس الحزبي لمنظمة بودابست (وقد كانت منظمة العاصمة أكبر منظمات الحزب) الذي سبق المؤتمر، اتخذ موقعاً مختلفاً تماماً عن الموقف الذي اتخذه مؤتمر الشيوعيين المجريين. فقد دعا ثلثا مندوبيها، ان لم يكن ثلاثة ارباعهم، إلى تجديد حزب العمال الاشتراكي المجري، وليس إلى انشاء حزب جديد. ولكن ممثلي الاقاليم ايدوا باغلبيتهم في المؤتمر وجهة نظر اتحاد الاصلاحات. وهذا، بالمناسبة، أمر طبيعي تماماً: فالملوك الحزبيون، كما يسمى المسؤولون الحزبيون في المناطق الأخرى، كانوا يتصرفون دائماً على نحو مختلف عن سلوكهم في مناطق بودابست العمالية. وهذا ليس في العقود الاربعة الأخيرة فقط، بل خلال تاريخ المجر كله على امتداد الف عام. مع ان الاحزاب لم تكن موجودة، بالطبع، ولكن التقسيم الاداري كان امراً لم يتغير في شيء، وهو الذي كوّن «الامراء المحليين» في المناطق.

وبالمناسبة، تحدثت منذ أيام مع قائد أحد الوفود الاقليمية إلى المؤتمر، فقال: ان الاصلاحيين الذين نظموا ما سمي المجموعات الكفاحية من مندوبي الاقاليم، قسموا الحزب، ولكنهم الآن تركوا مساعديهم من دون اهتمام ودعم. وهذا، بالطبع، رأي مسؤول واحد لمحافظة واحدة فقط، ولكنني أعلم ان مثل هذه الامزجة موجودة في المناطق الأخرى أيضاً.

لقد نشأ في المؤتمر وضع غير عادي: فلم يكن العمل يجري في القاعة فحسب،

بل ووراء الكواليس أيضاً، حيث كانت تتخذ قرارات مهمة. ولذا طالب أحد المندوبين قبل التصويت الحاسم بان يقدم زعماء الحزب «تفسيراً للشائعات». بتقديم تقارير أمام المجتمعين عما اجروا بشأنه «المفاوضات وراء الكواليس» خلال الايام كلها تقريباً.

وثمة سمة مهمة أخرى، هي مسألة جدول الاعمال. انه لجيد ان الكثيرين في المؤتمر ـ اربعة اخماس المندوبين ـ كانوا من المنتخبين للمرة الأولى، الذين لم يمارسوا عملياً أي نشاط سياسي في السابق. ولكن هذا بدوره جعل مستوى الثقافة السياسية للمندوبين . منخفضاً جداً. وفي النتيجة بدا النقاش حول جدول الاعمال بالنسبة للكثيرين عملاً معقداً ومرهقاً جداً، ولا حاجة اليه. حتى ان الكثيرين لم يفهموا ان اقرار هذا الجدول أو ذاك كان يشكل، آنذاك، نجاحاً لحل عدد من المسائل في الاتجاه المطلوب. فلدى مناقشة مسألة كيفية اجراء الانتخابات ـ أوفق القوائم المغلقة أم المفتوحة ـ ايدت الاكثرية الاقتراح الاول اعتقاداً منها ان ذلك يؤمن الديمقراطية الحقيقية. ولكن اتضح فيما بعد انه لا يجوز في القوائم المغلقة حذف اسم مرشح ما أو اضافة آخر. عندئذ طالب البعض باعادة التصويت، ولكن القطار كان قد فاتهم، كما يقول المثل.

كان جو المؤتمر حامياً، ولم يتسم دائماً باللياقة. فاحدى الشخصيات السياسية البارزة في الحزب وصف في الاذاعة انصار اتحاد الاصلاحات بـ «عالم الاجرام السياسي». وآخرون وصفوا اعضاء المنابر الداعية إلى بقاء حزب العمال الاشتراكي المجري بانهم «جرذان». ولكن اعتقد انه يجب ان لا يكون في الصراع السياسي مكان للاساءات الشخصية.

اتحدث عن ذلك باسهاب لأن الحياة السياسية العاصفة في بعض البلدان الاشتراكية لا تزال في بداية انبعاثها، ولذا من الضروري دراسة العبر المرة بدقة، لكي لا تتكرر مثل هذه الاخطاء. واذ اتذكر اليوم تلك الايام اعتقد ان كل واحد منا، لحظة تأسيس الحزب الاشتراكي المجري، شعر بنفسه منتصراً ومهزوماً في آن. لأن الوثائق التي أقرت في المؤتمر كانت حصيلة مساومات كبيرة.

ـ ما هو جوهرها؟ فالمنابر الاساسية دعت مجتمعة إلى انشاء الحزب الاشتراكي المجري...

ـ لنبدأ بقرار المؤتمر حول الحزب الاشتراكي المجري. فهو يقول ان من بين مبادىء نشاطه ـ الاتحاد الحر والطوعي للتيارات المختلفة. والكثيرون على يقين حتى الآن من ان ذلك ضروري في ظروف نظام الحزب الواحد فقط. ولكن بما ان هذا الوضع قائم، فلا يجوز فصلي أنا ولا فصل اصدقائي وانصاري المنتمين إلى فرع الاشتراكيين اليساريين، من الحزب الاشتراكي المجري.

كما جاء في القرار أيضاً ان الحزب هو المكمل لتقاليد الحركة الاشتراكية والشيوعية التي لا ينال منها الزمن. ويشير البيان البرنامجي مثلاً إلى ان الحزب الاشتراكي المجري يدعم ويدافع عن تلك القيم الاشتراكية والشيوعية، التي لم تتمكن حتى الستالينية من اخماد قوة جذبها. وهذه الصيغ أيضاً هي نتيجة لمساومات كبيرة، لأن البعض في المؤتمر لم يكن يرغب حتى في ذكر كلمة «ماركسية»، ناهيكم عن «الشيوعية». وأخذ الحزب الاشتراكي المجري على عاتقه مسؤولية العقود الاربعة الماضية، على الرغم من ان بعض الاصلاحيين اعترضوا، معتبرين انه لم يتحقق أي شيء ايجابي خلال هذه السنوات.

ودعا قسم من المندوبين الذين يمثلون اتحاد الاصلاحات إلى تشكيل حزب جديد كلياً أو تطهير صفوف الحزب القديم بصورة جذرية. واقترح، مثلاً، انشاء حزب للاشتراكيين الراديكاليين. . . وبالمناسبة، تلقى الحزب الاشتراكي المجري صفعة شديدة بعدم قبوله عضواً في الاشتراكية الدولية، خلافاً للحزب الاشتراكي الديمقراطي المجري، الذي غدا عضواً كامل الحقوق في هذه الحركة. واعتقد ان المطلوب من الحزب الاشتراكي المجري، كشرط لقبوله ان يتخلى عن الاشتراكية عموماً كمنظومة كاملة من الافكار.

في نهاية المؤتمر ادركت، أنا والعديد من اصدقائي، ان هذا الوضع الذي تحقق نتيجة للمساومات، لن يبقى لفترة طويلة، ولذا قررنا تشكيل فرع الاشتراكيين اليساريين داخل الحزب الاشتراكي المجري.

ـ ما هي اهدافه؟

ـ انه منبر من الناحية السياسية، ولكنه، وفقاً للنظام الداخلي، فرع من الناحية التنظيمية. وقد اتخذ المؤتمر قراراً يقضي بان تكون هيئة رئاسة الحزب (المؤلفة من ٢٥ شخصاً) متجانسة، وإلا فان من الصعب صوغ القرارات حول هذه المسألة أو تلك كما يعتقد. أما مجلس قيادة الحزب، الذي يضم ممثلي المنابر والمنظمات الاقليمية، فهو أكثر تنوعاً، اذا صح القول. وهو يعكس بالفعل تنوع الآراء الموجود داخل الحزب.

ان الكثيرين ينتقدوننا اليوم ويسألوننا: أو ليس الحزب الاشتراكي المجري حزباً اشتراكياً؟ ونحن نجيب: نأمل في ان يكون كذلك، ولكننا لسنا على يقين تام من ذلك. وقد قال أحد أعضاء الفرع: ينبغي ان نصبح ضمير الحزب، ان نحافظ على روحيته، على جوهر وثائقه البرنامجية التي أقرت في المؤتمر، وان نساهم بذلك في ان يصبح الحزب الاشتراكي المجري حزباً يسارياً فعلاً.

غير ان فرعنا لا يسعى بذلك إلى الانفصال عن الآخرين. بل، على العكس، نحن نسعى مثلاً إلى تنظيم الصلات مع اتحاد الاصلاحات، حيث انها لا تزال معدومة، على

الرغم من اننا في حزب واحد. ولدينا علاقات لا بأس بها مع المنبر الشعبي الديمقراطي. ونبحث عن نقاط التقاء مع التيارات الأخرى داخل الحزب الاشتراكي المجري. ونحاول تنظيم الصلات مع غير الحزبيين، متحدثين باسم الحزب الاشتراكي المجري. ونرى انه من الضروري التعاون مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل الجديد الذي انفصل مؤخراً عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي المجرّي. وبديهي اننا نقيم الحوار مع اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري السابق.

ان عددنا الآن يزيد على الف شخص. وهو رقم مضحك بالمقارنة مع حجم حزب العمال الاشتراكي المجري السابق البالغ ٧٠٠ الف عضو، ولكنه ليس بالعدد القليل بالنسبة للحزب الاشتراكي المجري الذي ليست لديه الآن منظمات حزبية في عدد من المحافظات.

اننا نرى احدى مهماتنا الاساسية في دعم بعض الاشخاص الموجودين في القيادة، وبالدرجة الأولى ر. نيورش. لأنه من الصعب عليه الدفاع عن وجهة نظره في هيئة الرئاسة من دون دعم الوسط واليساريين.

وبصراحة أقول انني لا اعتبر ان الحزب الاشتراكي المجري ينبغي ان يكون حزباً حاكماً. خلال سنوات طويلة كان لديّ رأي آخر، لم يعد ملحاً في ظروف التعددية الحزبية الآن. فالحزب ينبغي ان يكون مؤمناً بنظام ما، ولكن ليس من الضروري ان يكون القوة القائدة فيه. فعلى سبيل المثال، أعلنت الحكومة المجرية استقلالها عن الحزب الاشتراكي المجري، ولكنها في الوقت نفسه تتوقع ان يتخذ الحزب مواقف مؤيدة لها. ولعلي أقول ان الحزب الاشتراكي هو في الظروف الراهنة أشبه برهينة لدى الحكومة. والحقيقة ان الوضع بدأ يتغير الآن، بعد ان خرج رئيس الوزراء م. نيميث من هيئة رئاسة الحزب. وفي رأيي انه ينبغي وضع حدود أوضح بين الحزب والحكومة.

ـ ما الذي يقترحه فرعكم في الميدان الاقتصادي؟

ـ ليس لدينا برنامج غير البيان البرنامجي للحزب الاشتراكي المجري. أما بالنسبة للافكار التي يمكن «اشباع» هذه الوثائق بها، فنعتقد انه من الضروري في إطار الاقتصاد المختلط تأمين الدور السائد للملكية الاجتماعية، حتى ولو لم يتجل ذلك في المؤشرات الكمية الصرف. اننا ندعو إلى تنوع اشكالها، بما في ذلك ملكية هيئات الادارة الذاتية والبلديات. ونعترف بضرورة نقل قسم من المؤسسات إلى القطاع الخاص، ولكن نحتج بشدة على تبذير ملكية الدولة بهذا الشكل.

كما نعتبر من المهم أيضاً الحفاظ على التنظيم الذي تمارسه الدولة. ونرفض النظريات والافكار الليبرالية الجديدة. التي تكتسب شعبية في الحزب الاشتراكي

المجـري، للاسف. ونقترح وضع حد للسياسة التقليدية المتبعة منذ بداية الثمانينات. وهذا يعني انه يجب خلق المقدمات والظروف لرفع مستوى المعيشة في المستقبل. لأنه يبدو لنا من غير الواقعي رفعه خلال اشهر أو حتى سنوات معدودة. ونقف أيضاً ضد اخضاع جميع جوانب النشاط الاقتصادي لتأمين وضع مالي أفضل بموجب بنود الميزانية وتوجيهه فقط من أجل ازالة العجز في ميزانية الدولة.

وبالنسبة للعلاقات الاقتصادية الدولية، نعتبر انه من الضروري التعاون بقدر متساو مع الغـرب والشـرق، دون ان نقلص بأي شكـل من الاشكـال العـلاقـات مع البلدان الاشتراكية، بما فيها الاتحاد السوفييتي بالطبع.

وبديهي ان الكثير يتوقف في هذا المجال على الانتخابات المقبلة في البرلمان، التي ستجري في اواخر آذار ١٩٩٠. مع من سنتحالف، لكي نتحاشى الهزيمة الساحقة؟ انه ليس السؤال البسيط، فالكثير يتوقف على ذلك.

اذا لحقت بنـا الهزيمة، فسنجرب الدخول في حكومة ائتلافية أو تنظيم معارضة يسارية أو وسطية في البرلمان. ولكنني أؤيد وجهة النظر الأخيرة، لأن مشاركتنا في الحكومة ستخدم الآن مصالح القوى اليمينية: ففي مثل هذه الحالة سيكون دائماً من الممكن القاء تبعة الفشل والاخفاقات في المجال الاقتصادي على الحزب الاشتراكي والنيل منه نهائياً.

ـ ربما ستتعاونون مع حزب العمال الاشتراكي المجري؟ فقد قال رئيس الحزب الاشتراكي المجري ر. نيورش في تشرين الاول ان من المنطقي والطبيعي ان يتشكل حزب شيوعي عاجلاً أم آجلاً. وقد حدث هذا بالفعل. فما هو موقف الحزب الاشتراكي المجري منه؟

ـ يدور نقاش حاد في الحزب حول هذا الأمر. فالكثيرون يخشون ان تنغمس القوى اليسارية في المجر في الصراع فيما بينها، وان تنهش بعضها.

ان النظام الداخلي لا يحظر الصلات مع حزب العمال الاشتراكي المجري، على الرغم من انه من غير اللائق كثيراً اقامة هذه الصلات على مستوى قيادة الفرع: فان ذلك سيعني نشوء حزب داخل الحزب الاشتراكي المجري، وهو أمر لن نقدم عليه بالطبع. ولكن يمكن اقـامـة العلاقات مع اعضاء حزب العمل الاشتراكي المجري ومع منظماته القاعدية، وهذا ما لم يمنعه أحد. فعلى سبيل المثال، عقدنا مؤخراً اجتماعاً لاعضاء فرعنا في الحزب الاشتراكي المجري، حضره ممثلون عن حزب العمال الاشتراكي المجري. أكان علينا ان نطردهم من القاعة؟ أم انه من الافضل الدخول في حوار معهم؟ اعتقد ان الطرح الثاني هو الأمثل.

ولكن ليس الجميع يؤيدون هذا الرأي. فعلى سبيل المثال، كان رد الفعل عاصفاً

في صحيفة «نيبسابادشاغ» على اقدام احدى اللجان المنطقية للحزب الاشتراكي المجري في بودابست على تخصيص مقر لمنظمة حزب العمال الاشتراكي المجري. وأعلن سكرتير حزبي في احدى المدن، وهو بالمناسبة لا ينتمي إلى أي منبر، انه يفضل الانتقال إلى مبنى اصغر، على اقتسام المبنى مع حزب العمال الاشتراكي المجري. وكما نرى، الموقف ليس واحداً من حزب العمال الاشتراكي المجري المجدد.

ـ ربما كان ينبغي عدم استئناف نشاطه مادام البعض يرى ان ذلك يلحق الضرر بالحركة اليسارية؟

ـ اعتقد انكم لستم على حق، على الرغم من ان الكثيرين يوافقون على هذا الرأي. ففي ظروف التعددية الحزبية، التي يؤكدها الدستور والقانون، لكل منظمة سياسية الحق في الوجود.

ـ المسألة الأخرى هي: هل كان من الصحيح الغاء الحزب في المؤتمر بالذات؟ ينبغي القول ان انصار اتحاد الاصلاحات ارتكبوا خطأ كبيراً عندما امتنعوا عن تسمية مؤتمر تشرين الاول المؤتمر الرابع عشر. وقد مكن هذا اتباع حزب العمال الاشتراكي المجري من الدعوة للمؤتمر الدوري الرابع عشر للحزب في كانون الاول ١٩٨٩. الخطأ الآخر هو عدم اتخاذ قرارات ملموسة حول وقف نشاط حزب العمال الاشتراكي المجري وهيئاته القيادية.

ان اغلبية المندوبين تعتبر حتى الآن انه كان لدينا تفويض مفتوح؛ ولذا فان قرار المؤتمر حول الحزب الاشتراكي المجري صحيح. وربما هذا صحيح من الناحية القانونية.

ولكن عندما تحدثت بعد المؤتمر في المنظمات القاعدية، سألني الكثيرون: ألا يؤنبني ضميري عما فعلت؟ وقيل لي: نحن لم نفوضك اتخاذ هذا القرار. ولذا ظهر لدى مئات الالاف من اعضاء حزب العمال الاشتراكي المجري شعور بالاساءة، وربما حتى بالاهانة، لأن الحزب اختار طريقه دون ان يتشاور معهم. وأعلم انه لم تعجبهم الكلمات التي ترددت كثيراً في المؤتمر: الحزب الاشتراكي المجري لن يأخذ التراث السياسي لحزب العمال الاشتراكي المجري السابق، ولكنه يعتبر نفسه وريثاً لممتلكاته.

والآن، بعد ان أعيد تشكيل حزب العمال الاشتراكي المجري، من الطبيعي ان تنشأ مسائل مادية، سوف تحل بالطرق القانونية، بالطبع. ولكن أود ان اشير، بالمناسبة، إلى انه على الرغم من ان الدستور كان يؤكد الدور القيادي لحزب العمال الاشتراكي المجري، فان الحزب نفسه لم يكن مسجلاً في أي مكان. (ربما لانه كان الحزب الوحيد في البلاد؟). لا يمكن تصور مثل هذا الوضع في الغرب.

ـ ان منبركم هو: فرع الاشتراكيين اليساريين. ماذا تعنون بمفهوم «اليساريين»؟

ـ قبل كل شيء انه الاخلاص لافكار الاشتراكية، لروح الماركسية. واعتبر أيضاً حزباً يسارياً الحزب الذي يقوم على مبادىء الجماعية والمعبر عن ارادة الشغيلة.

يبدو لي انه يجري الآن التلاعب بهذه المفاهيم في الاتحاد السوفييتي أيضاً، على حد علمي. لقد قال أحد الزعماء السياسيين للحزب الاشتراكي المجري، مثلاً، وأنا اعترف بان هذا تعبير موفق: ان من هم على يساري، يمينيون بالنسبة لي. فكثيراً جداً ما يعتبرون عندنا الليبرالية هي اليسارية بعينها، ويعتقدون ان كل دكتاتورية انما هي مصطلح يميني، وانه كلما كان المجتمع أكثر ليبرالية، كان أكثر يسارية. في هذه الحالة يتعين اعتبار اليعاقبة يمينيين، والسيدة تاتشر يسارية، وان حزب العمال البريطاني يقف على يمينها. اعتقد انه ينبغي استخدام هذه المفاهيم بالمعنى الاوربي للكلمة. وعلى الرغم من ان الدكتاتورية تنزلق عاجلاً أم آجلاً، مهما كان هذا محزناً، إلى مواقع الارهاب اليعقوبي أو الستاليني، فانه ينبغي مع ذلك التفريق بين الدكتاتورية الثورية ودكتاتورية الثورة المضادة. ويسعى البعض الآن إلى ازالة الفوارق بينهما. فجري التخفيف من دكتاتورية هورثي بالمقارنة مع المبالغة في وصف مرحلة ما بعد عام ١٩٥٦، التي كانت بمثابة عملية قضاء على ارهاب الثورة المضادة. ان مهمة القوى اليسارية، في رأينا، هي وضع الأمور في نصابها، ولكن هذه، للاسف، مسألة في غاية الصعوبة.

ـ يقولون إن المجريين اصبحوا غير مبالين بالسياسة، فضلاً عن انهم يتخذون موقفاً سلبياً من كل ما هو «اشتراكي». كيف ترون مستقبل المجر في العام أو العامين القادمين؟

ـ ابدأ بالقسم الثاني من السؤال. ربما ستصبح بلادنا غير قابلة للتحكم بها من الناحية السياسية، اذا ما توزعت الاصوات بصورة متساوية بين الاحزاب بعد الانتخابات البرلمانية. ولكن في ميدان الاقتصاد سيبقى الاستقرار قائماً في كل الأحوال. حتى انني اعتقد ان المجر ستستفيد من وجود حكومة أكثر يمينية، مما لو كانت هذه الحكومة إلى جانبنا. وهي ستلجأ إلى طرق دكتاتورية، بالطبع، بهدف الدفاع عن نظام تعدد الاحزاب والديمقراطية. وهنا أيضاً، كما يبدو لي، ليس ثمة طريق آخر، لأن الحكومة في اعتقادي ينبغي ان تكون مستقلة عن البرلمان إلى حد أكبر، لكي تتمكن من تحقيق برنامجها بصورة فاعلة.

أما بالنسبة للقسم الأول من السؤال، فان ما يميز اغلبية السكان هو بالدرجة الأولى الشعور بخيبة الأمل واللامبالاة السياسية. ومن الصعب جداً التنبؤ بالاتجاه الذي سيسلكه السواد الأعظم من الشعب الباقي في وضع لا مبال قبل الانتخابات وبعدها. وللاسف، لا تزال ماثلة حتى الآن آثار الحملة التي شنت قبل أكثر من ٤٠ عاماً ضد الشيوعيين.

ويمكنكم التأكد من ذلك اليوم من برامج التلفزيون والاذاعة. واعتقد انه حتى لو فتح المرء حنفية الماء لسمع شيئاً ما معادياً للشيوعية. هذه مزحة بالطبع، ولكن لو تكلمنا بصورة جادة لامكن القول ان القوى اليمينية قامت بالفعل بعمل تنظيمي هائل خلال اعادة دفن رفات أمر ناج ورفاقه في حزيران ١٩٨٩. لقد ترددت نداءات مباشرة لمواصلة «ثورة عام ١٩٥٦» وتهجمات عنيفة ومهينة ضد الاتحاد السوفييتي وحزب العمال الاشتراكي المجري. وجميع الذين كانوا إلى الجانب الآخر من المتراس. وحصلت مقاومة شرسة مماثلة بعد عدة اسابيع من ذلك، بعد وفاة يانوش كادار. ولكن على الرغم من ذلك جاءت مئات الالاف من الناس بصورة عفوية واندفاعة واحدة لوداع الانسان، الذي قاد حزب العمال الاشتراكي المجري خلال ثلاثة عقود، واقترنت هذه الحقبة من تاريخ المجر باسمه.

ولنحلل نتائج الاستفتاء الشعبي العام الذي جرى مؤخراً[٦]. لقد دعا المؤتمر الديمقراطي المجري ـ القوة الرئيسية للمعارضة ـ إلى مقاطعة هذا الاستفتاء، ولكنه اصيب بالهزيمة. ودعا الحزب الاشتراكي المجري إلى الاجابة بـ «لا» عن السؤال الاول فقط. ولكنه خسر أمام المجموعتين المعارضتين الاخريين، القليلتي العدد، بالمناسبة أي اتحاد الديمقراطيين الاحرار واتحاد الديمقراطيين الشباب. بيد ان الفارق في الاصوات كان لا يزيد عن الستة آلاف.

ان القضية تكمن كذلك في ان الناس الذين عاشوا في ظروف نمو رفاهية البلاد، قد شابوا ـ فاغلبيتهم من المتقاعدين. ان مستوى المعيشة في اوائل الستينات بدا أمراً طبيعياً بالنسبة للذين ولدوا في تلك الفترة. ولكن الشقة والاجر الجيد كانا لدى آبائهم، وليس لديهم. وعندما بلغ الشباب سن الرشد، كانت البلاد قد دخلت الازمة الاقتصادية. فالمداخيل الفعلية انخفضت من عام إلى عام، وامكانية الحصول على السكر وعلى عمل عالي الأجر، غدت حلماً بعيد المنال. وكان يربط ذلك كله في الغالب بصورة مباشرة بنشاط حزب العمال الاشتراكي المجري الحاكم آنذاك. أما الاحاديث عن الرفاهية السابقة فكانت تعتبر في الغالب مجرد حكايات أو احداث تعود إلى عصر الاجتياح التتري. ولذا فان هذه النكات التي تصدر عن السكان، وخصوصاً عمن تتراوح اعمارهم بين العشرين والثلاثين، تتخذ مواقف سلبية من النظام المسمى «اشتراكياً»، لأنه غير قادر على ان يؤمن لا ظروفاً ملائمة للمعيشة، مماثلة للظروف التي يعرفونها، ليس من الصحف والمجلات وبرامج الاذاعة والتلفزيون فحسب، بل أيضاً من خلال اسفارهم الحرة إلى النمسا المجاورة، مثلاً، وإلى البلدان الأخرى، للاطلاع على العالم.

ـ حدثونا، في الختام، من فضلكم عن حياتكم في الحزب.

ـ انتسبت إلى الحزب الشيوعي المجري عام ١٩٤٥. (وقد غير اسمه مرات عدة في

ذلك الحين). وشاركت في نشاطه، كما تفعل الاغلبية حتى الآن: كنت اكتفي بمراقبة الاحداث، والخط القيادي للحزب. منذ عام ١٩٥٤ اخذت اعارض الكثير من الأمور، التي لم تعجبني في حياة الحزب، وتلقيت تأنيباً لقاء ذلك، لكنه ألغي فيما بعد. وعموماً، كنت ادعم نشاط امري ناج. ولكن مع اقتراب عام ١٩٥٦ ترسخت لدي قناعة بانه لن يتمكن من مواصلة سياسة الاصلاحات نظراً للين عريكته وانعدام الصفات التنظيمية لديه وحسن ظنّه المفرط.

بعد عام ١٩٥٦ شاركت في انشاء حزب العمال الاشتراكي المجري وكنت سكرتيراً لاحدى منظماته القاعدية. وبوصفي اقتصادياً اعددت اصلاح عام ١٩٦٨، ومن ثم عملت بنشاط من أجل تطبيقه. وكنت آنذاك، كما هي حالي الآن، أعمل في معهد الاقتصاد التابع لاكاديمية العلوم المجرية.

وباختصار، جعلتني الحياة في صفوف اليمينيين أحياناً (في الكونفرنس الحزبي)، وأحياناً في الوسط، أما اليوم فانا في صفوف اليسار.

ـ اذن، لقد اجتزتم الطريق من شيوعي إلى اشتراكي؟

ـ لا ازال حتى الآن اعتبر نفسي شيوعياً. وكانت لدي بسبب ذلك مصاعب سواء في الحزب الشيوعي أو الشغيلة المجري أو حزب العمال الاشتراكي المجري، ويبدو انني ساواجهها في شتراكي المجري أيضاً. ولكنني لن اغير قناعاتي ونظرتي إلى العالم. فقد كنت وابقى ماركسياً بافضل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معان.

الهوامش

(١) في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) في آذار ١٩٢١، دعا لينين إلى وضع حد نهائي للتجمعات التكتلية في صفوفه. وقد جاء في القرار: «يقرر المؤتمر الحل الفوري لجميع الكتل التي تشكلت على هذا الاساس أو ذاك من دون استثناء، ويعهد إلى جميع المنظمات العمل بصرامة على منع أي نشاطات تكتلية. انّ عدم تنفيذ قرار المؤتمر هذا ينبغي ان يؤدي إلى الطرد من الحزب حتماً وفوراً» ـ المحرر.

(٢) انظر على سبيل المثال. ديورد آتسيل. لا بديل من اشاعة الديمقراطية «قضايا السلم والاشتراكية»، ١٩٨٩، العدد ٧.

(٣) جاء في بيان مجلس وزراء جمهورية المجر الشعبية حول قضية امري ناج المنشور في ١٤ حزيران ١٩٨٩: «لقد كان رجل دولة فذاً، تمكن من ادراك ضرورة تغيير السياسة الغربية غير القابلة للحياة، وتحقيق المصالح والتقاليد الوطنية. ان طموحات امري ناج واتباعه الفكرية، الديمقراطية الانسانية والوطنية بطابعها تشكل عناصر مهمة في السياسة الحكومية الراهنة» ـ المحرر.

(٤) دكتاتور المجر الفاشي في إعوام ١٩٢٠ ـ ١٩٤٤، المحرر.

(٥) يبلغ مجموعه الصافي أكثر من ١٤ مليار دولار، أي ١٨٥٠ دولار لكل مواطن مجري ـ المحرر.

(٦) جرى في تشرين الثاني ١٩٨٩ . وقد كان يقضي بالاجابة عن اربعة اسئلة: هل ينبغي ان ينتخب رئيس الجمهورية بعد الانتخابات البرلمانية فقط؟ هل ينبغي ان تغادر الاحزاب المؤسسات؟ هل ينبغي ان يقدم حزب العمال الاشتراكي المجري كشفاً بممتلكاته؟ هل ينبغي حل الميليشيا العمالية؟ ـ المحرر.



عندما زالت الاوهام

فلاديمير غانين

توصف الاحداث التي جرت في رومانيا عشية عام ١٩٩٠ بكونها ثورة. فقد سقطت دكتاتورية عاتية وحشية. واستبشر الشعب الذي سمع صوته الخاص لأول مرة عملياً خلال ربع قرن. وبهذا الواقع الجديد عرف على الفور ان له حقوقاً اضافة إلى الواجبات. فكيف تم ذلك بالضبط؟ اعتقد ان المقابلات المنشورة ادناه تمكن من وضع بعض الاستنتاجات حول طبيعة وخصوصيات العمليات الجارية الآن في البلاد.

كازيمير يونيسكو هو أحد الذين كانوا حتى الامس القريب «مواطنين رومانيين عاديين» وعاشوا في هذا البلد مثل ملايين الناس في البرد والحرمان. أما اليوم فان خريج معهد النفط والغاز ومن ثم خريج كلية الفلسفة في جامعة بوخارست، هو نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني في رومانيا. كان يعمل قبل الثورة في معهد الاقتصاد ولم يشغل أي منصب في البنى السياسية السابقة. عمره ٤٣ عاماً متزوج ويقوم بتربية ابنه.

يبدأ كازمير يونيسكو الحديث قائلاً: مع التعمق في الفلسفة وادراك قوانين التطور الاقتصادي، شعرت برغبة أقل في ممارسة السياسة في ظل النظام القديم، حيث انحصر كل شيء في تنفيذ الاوامر بصمت. وفي الوقت ذاته بدأت في السنوات الاخيرة بالتحديد في التعمق بالقضايا التي واجهها اقتصاد بلادنا وتوصلت إلى قناعة راسخة بان النظام القائم غير قادر على السير بالبلاد إلى الامام. اذ لم يكن شاوشيسكو أو الاوساط القريبة منه مهتمين بذلك.

ـ هل يعتبر هذا الوضع «مأثرة شخصية» لشاوشيسكو؟ وما هي الاجواء التي كانت سائدة في الحزب والبلاد قبل عام ١٩٦٥ أي قبل وصوله إلى السلطة؟

ـ لقد اعتقد الكثيرون منا في ذلك الوقت بان رومانيا قد تخلصت من «النفوذ الخارجي»، فقد اخرجت القوات اسوفييتية من البلاد وكان الوضع الاقتصادي مستقراً إلى حد ما، بل وخيل الينا اننا نعيش بصورة جيدة مقارنة ببعض البلدان الاشتراكية الأخرى، وبان السياسة التي مارستها القيادة آنذاك كانت في مصلحة الشعب. غير ان ذلك كله كان مجرد مظاهر خارجية ويبدو اننا خدعنا.

لقد سن شاوشيسكو في السنوات الاولى من حكمه عدداً من القوانين والمراسيم التي كان من شأنها ان تضلل الشعب فعلاً. واذكر أحد الاجتماعات «البارزة» التي عقدها شاوشيسكو في نهاية الستينات. وقد جرت فيه مناقشة مسألة سوء استخدام السلطة من قبل اجهزة الامن، وادينت علناً أساليب عمل هذه الاجهزة وأشير إلى انها لا تملك الحق في مراقبة المواطنين والتنصت على الهواتف وفتح الرسائل... الخ. كما أشير وقتها إلى ان اجهزة الامن ذات الصلاحيات الخاصة ستوضع في صف واحد مع الهيئات الحزبية. ورغم انها مدعوة لاعلام القيادة عن الاعمال الموجهة ضد الدولة ومنعها.

ولكن لم تمض ٣ ـ ٤ سنوات حتى اعادت هذه الاجهزة مراقبتها السرية على المجتمع بعد ان ادركت انها تفقد نفوذها في البلاد. وانني واثق من ان ذلك جرى بمصادقة من القيادة العليا وموافقتها. وعند ذلك صدرت، بوحي من اجهزة الامن، مراسيم رئاسية تحد من حرية المواطنين ومن صلاحيات مسؤولي المؤسسات والمنظمات، تلك الحريات والصلاحيات التي يخضع تنفيذها لمراقبة اجهزة الامن أيضاً. ومع مرور الزمن بدأت هذه الاجهزة تنسج الاوهام حول دورها زاعمة انه لولا نشاطها لحلت كارثة بالاشتراكية في رومانيا. وبعدما اقتنع شاوشيسكو بذلك بدأ هو نفسه يعتمد في كل اموره على اجهزة الامن وهي لم تسترشد في عملها مطلقاً بالمبادىء الاشتراكية.

لقد بدأت تختفي مع مرور الزمن الميول الديمقراطية المتعددة التي كانت موجودة في بلادنا اواسط الستينات. وفي الوقت نفسه استجمعت قواها تركيبة موازية للسلطة لم يتم الحديث عنها علناً في أي مكان، وكان من الممكن التكهن فقط بوجودها عن طريق معرفة كيف تُحل الامور في رومانيا. وقد شملت جميع مجالات نشاط الحزب والدولة وتغلغلت بعمق في الاقتصاد والسياسة والثقافة وفي ارواح الناس. وكانت هذه التركيبة عبارة عن مجموعة «الحزب ـ اجهزة الامن» التي قادت البلاد وحكمتها بشكل مطلق وخاصة في السنوات الاخيرة. لقد خاف الناس من هذه المنظومة غير المرئية لمعرفتهم ان محاولة مجابهتها من قبل أحد ما تعني اختفاءه فجأة بكل بساطة. واذا ما تعلق الأمر بشخصية

معروفة فقد قضت العادة بارسالها لـ «المعالجة» في مشفى للامراض النفسية، ولم يكن ثمة أمل في عودتها من هناك سليمةمعافاة. أما اولئك الناس الذين كانوا معروفين للعالم كله وكان من الصعب «اخفاؤهم» فقد احيطوا بحلقة كاملة من العاملين في اجهزة الامن، وهكذا عاشوا كما لو انهم يعيشون في جزيرة غير مأهولة في وسط البلاد.

ـ اذن كانت هناك عوامل موضوعية وذاتية ساعدت على انحطاط الحزب وشاشيسكو نفسه.

ـ ألا تعتقدون ان الاهتمام الكبير الذي يبديه جميع الصحفيين الاجانب في رومانيا بوضع الحزب الشيوعي السابق هو ظاهرة ذات دلالة؟ ان الاجابة عن هذا السؤال باستفاضة تتطلب القيام بتحليل عميق لنشاط الحزب ودراسة ارشيفه واستقصاء مجمل الطريق الذي قطعه في السنوات الاخيرة. ونحن، بهدف القيام بذلك، نعتزم تشكيل جماعات اختصاصية من العلماء تتناول الوثائق المعنية بالمعالجة والدراسة الشاملة. كما نسعى إلى ان لا يتكرر الاستبداد وسياسة املاء الشروط من جانب حزب واحد في بلادنا ابداً. لذلك اعتقد ان التفكير العميق وبشكل جدي في وضع الحزب ودوره لا يمكن ان يتم إلا بعد مضي عام أو عامين.

ـ على الرغم من ذلك يبدو ان من الممكن الآن تقييم الوضع الذي نشأ في الحزب في السنوات الاخيرة ولو ببضع كلمات؟

ـ اعتقد انه من السابق لاوانه التحدث حول الحزب ضمن الوضع الذي تكوّن في البلاد في الوقت الراهن. وسوف يقول الناس غداً عندما يسمعونني «انظروا كيف ان نائب رئيس مجلس جبهة الانقاذ الوطني بدأ يترحم على الحزب الشيوعي». وهذا لا يعني سوى صب الماء في طاحونة الذين يترصدون كل خطوة من خطواتنا ويعرقلون عملنا. ومن غير هذا لدينا العديد من المشاكل مع النشطاء السابقين في الاقضية والمؤسسات والمعامل. فهم حاضرو البديهة دوماً ويعرفون كيف يأخذون زمام السلطة في ايديهم ويطمحون في كل مكان للوصول اليها بالحق أو الباطل. لقد تعلموا خلال سنوات طويلة كيف يقودون الناس وهم يتكاتفون اليوم أكثر من أي وقت مضى.

ـ يشكو بعض قادة الاحزاب التي تتشكل الآن من انهم محرومون من حق التحدث في الصحافة والاذاعة والتلفزيون.

ـ نحن نعرف مزاعمهم وقد اطلعنا عليها في بعض الصحف الاجنبية. ولكن الوضع ليس كذلك. ان الصحافة عندنا اليوم حرة ونحن لا نوجهها. يضاف إلى ذلك، اننا كررنا أكثر من مرة الدعوة إلى جميع الاحزاب لعقد «طاولة مستديرة»، ونقترح مناقشة أية قضايا تتعلق بتطور مجتمعنا اللاحق بصورة مشتركة. اننا لا نفرض حظراً على أحد، ومن بينهم

الشيوعيون ايضاً، ولا على أي شيء. فليشكلوا منظماتهم، وليشاركوا في حياة البلاد السياسية. هذا هو موقفنا، واعتقد انه يشير إلى الثقة بقوانا وباننا على استعداد لاجراء حوار بناء مع الجميع بصراحة وعن وعي.

لكن ذلك يجب ان يتم عبر منافسة ومباراة نزيهة. إلا انه ليس ثمة الآن لدى العديد من الذين يناقشوننا أي اهتمام عدا الوصول إلى السلطة. ولكن انظروا كم من القضايا امامنا، اذ يجب حل المسائل المتعلقة بالمواد الغذائية، والا سيبدأ عندنا الجوع بالمعنى الحرفي للكلمة. كما اننا نخسر في الصناعة مليارات عديدة من الليات بسبب نقص المواد الاولية والمعدات في عدد من المصانع، كما سيتوجب علينا انجاز المهمات في المجال الاجتماعي وفي الرعاية الصحية، ويجب تأمين التدفئة والكهرباء للشعب. يضاف إلى ذلك، العمل التنظيمي الصرف، واعداد مختلف اشكال الوثائق، هذا العمل وذاك الاعداد اللذان يتطلبان جهداً ووقتاً كبيرين... الخ. ليس لدينا الآن وقت للصياغات المتقنة ووضع الفواصل كي تبدو بصورة افضل في نظر الرأي العام العالمي. وبالمناسبة يتوجب على الصحافة العالمية ايضاً اذا كانت تتمسك بالآراء الانسانية الاساسية ان تساعدنا بعض الشيء وبالاحرى ان تفهمنا بصورة أفضل.

ثمة مسألة أخرى. لقد سيطرت في رومانيا خلال ربع قرن بهذا الشكل أو ذاك دكتاتورية شاوشيسكو الشبيهة باستبداد ستالين. وكانت شاملة في العقدين الاخيرين بشكل خاص. ولم يكن من حق الانسان التعبير عن رأيه بحرية ولم يستطع قراءة الصحافة الاجنبية ولم يكن بامكانه تلقي رسالة من الخارج أو القيام بجولات سياحية. لقد شبهونا بضفدعة في بئر، يبدو لها ان السماء كلها ما تراه من فتحة البئر فقط. هكذا عشنا في رومانيا. لذلك ليس بامكان شعبنا ان يصبح بين عشية وضحاها مثقفاً تثقيفاً سياسياً. لقد كان شعبنا معزولاً تماماً عن السياسة. كما ان الدكتاتورية اقصتنا عن الحرية باحكام.

طبعاً لم يكن بمقدور الناس في مثل هذه الظروف ادراك كل شيء. يضاف إلى ذلك، اننا عشنا تحت نير الدكتاتورية، وانا نفسي مازلت اتعلم الديمقراطية واتعود على الحرية. لو عدنا إلى الاجتماعات الطلابية فانني اعترف باننا نرتكب احياناً اخطاء. فانا على سبيل المثال بدأت خطابي في أحد الاجتماعات بالكلمات الآتية: «اضمن لكم...» ولكنني لست مدعواً لاعطاء وعود وضمانات ما. لقد استولوا على ذلك الحق بانفسهم. وانتصروا في الثورة. لكنني ادركت في لحظة معينة بان الطلاب لم يتخلصوا بعد من عادة التفكير كما في ظل النظام القديم الذي كان يعد الشعب دوماً بشيء ما ويقدم له الضمانات. أما الآن فان جميع الضمانات هي في ايدي الناس انفسهم، ان جاز التعبير.

- في مجلس جبهة الانقاذ الوطني انت شخصياً مسؤول عن نشاط عدد من

لجانه. أية واحدة منه، في رأيكم، يتوجب عليها ان تنجز مهمات أكثر من غيرها؟

ـ كلها. لدينا جميعاً اليوم عمل كثير. فعلى سبيل المثال، سيبدأ بعد عدة دقائق لقاء في الاكاديمية الرومانية مع اعضاء لجنة حماية البيئة. ومن المعروف بشكل أكيد اليوم ان الدكتاتور شاوشيسكو مارس في هذا المجال سياسة تتناقض مع متطلبات الحضارة المعاصرة.

واللجنة الأخرى التي تواجهها مهمات كثيرة هي لجنة العلاقات مع مجالس جبهة الانقاذ الوطني المحلية. يواجهنا هنا نوعان من المسائل الهامة، تتلخص الاولى في ان العديد من رجال النظام السابق تمكنوا من التسلل إلى السلطة في المناطق على الرغم من جهودنا وسعينا لمنع ذلك. وهم يعالجون إلى جانب المسائل التنظيمية القضايا المتعلقة بتوزيع المواد الغذائية على السكان، ولكن ليس التوزيع فقط. فنظراً لانهم اعتادوا على سرقة الشعب، يقومون من جديد بنهب المستودعات والمؤن. وهؤلاء اناس خطرون جداً على الثورة لان بامكانهم خلق توتر في البلاد ونحن نحاول فضحهم بجميع الوسائل. وفي الوقت ذاته سيتوجب علينا تطبيق نظام البطاقات بالنسبة للكثير من اصناف المواد الغذائية كي نؤمن للشعب ولو الحد الادنى من حاجاته الضرورية، كما سيتوجب علينا تنظيم مراقبة توزيع المواد الغذائية.

أما المسألة الثانية فهي مرتبطة بالاولى ارتباطاً وثيقاً، وهي تتعلق بفئة من الناس تسللوا إلى السلطة باساليب مختلفة في العديد من الاقضية (وقد تأكدنا من ذلك خلال وجودنا هناك) وهم يلجأون إلى الممارسات السابقة ذاتها. انهم يشرفون على كتابات الصحف وينشرون الذعر ويؤلبون الشبيبة على قادة مجالس جبهة الانقاذ الوطني. لذلك قررنا اجراء انتخابات في بعض المناطق وادخال نسبة أكبر من الشباب في المجالس. وليس مهماً انهم لا يزالون عديمي الخبرة ويرتكبون اخطاء في البداية، ولكننا على ثقة من ان الشباب هم أقل الناس تعرضاً للفساد. فهم يطمحون بحماسة إلى حياة افضل وإلى الحرية. ونحن نثق بمثل هؤلاء الشباب.

ـ بعد المجازر الدموية الوحشية في تيمشوار، اتهم شاوشيسكو بعض بلدان اوربا الشرقية زاعماً انها وراء هذه الاحداث بهدف زعزعة استقرار الاوضاع في رومانيا. ماذا يمكن القول الآن حول ذلك بعد انتصار الثورة الشعبية؟

ـ هذا هراء ما بعده هراء. ان ما حدث في العقد الاخير وبشكل خاص عام ١٩٨٩ في عدد من البلدان الاشتراكية، كان بالنسبة لنا ولجميع الشعب بمثابة مدرسة حقيقية. ان تطور

الاحداث في الاتحاد السوفييتي كان يعني بالنسبة لنا «نوراً في نوافذنا». لقد تابعنا دوماً باهتمام العمليات الاجتماعية الجارية في الاتحاد السوفييتي. وعندما رأينا انهم لا يتحدثون هنـاك عن عملية اعـادة البنـاء فقط بل ويطبقـونها، ادركنا انه يتوجب علينا حل قضايانا بانفسنا، فلن يقوم أحد بذلك عوضاً عنا.

- ثمـة بعض الادعـاءات التي تزعم ان مجموعة صغيرة من اعضاء جبهة الانقـاذ الوطني هي التي تقوم باعداد الكثير من القوانين ثم يقوم مجلس الجبهة بالمصادقة عليها واقرارها، علماً انه من الناحية المبدئية يجب ان يناقشها جميع المواطنين في البلاد.

- يدور الحديث حول التدابير التي لا تحتمل التأجيل. ولكن لا يقوم باعدادها بعض اعضاء جبهـة الانقـاذ الوطني وانما مجموعات كبيرة من المستشارين والعلماء. ثم يناقش هذه المشاريع باسهاب اعضاء المجلس، وبعد ذلك فقط يتم اقرارها. أما مشاريع القوانين الأكثر أهمية مثل قانون الانتخابات ودستور البلاد الجديد فسوف يناقش باستفاضة في الصحافة ومن قبل جميع مواطني رومانيا. وعلى الرغم من ان الوقت يضغط علينا والناس يريدون التخلص بسرعة من تركة دكتاتورية شاوشيسكو لكننا لن نستعجل في اتخاذ هذه القرارات. ان الشعب هو صانع الثورة لذلك فان الكلمة الفصل له.

- سؤال أخير. لنتصور ان حديثنا يتم بعد الانتخابات العامة. فكيف ترون رومانيا وجبهة الانقاذ الوطني بعد عدة أشهر من الثورة؟

- اقول شيئاً واحداً: سنكون سعداء لو عرفنا اننا ادينا واجبنا، واننا اعددنا واقررنا قانون الانتخابات الذي سيتيح للشعب امكانية الانتخاب بنفسه وانّ احداً لن يستطيع ايقاف سير البلاد نحو التقدم والحرية والديمقراطية. واذا انتخب الشعب من هم أكثر جدارة بغض النظر عن انتمائهم الحزبي، فسنكون سعداء أيضاً. لا أحد منا يتمسك بهذه المناصب. وسوف نبني مع الجميع، في مناصب أخرى، حياة جديدة.

خلف كواليس المسرح السياسي

يمكن القـول ان احـدى الخصـائص المميـزة لرومانيا اليوم هي ظهور ما يسمى بالمسـرح السياسي فيها. وقد وضع «اساسه» قانون تسجيل ونشاط الاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية الذي اقره مجلس جبهة الانقاذ الوطني عشية عام ١٩٩٠. وعلى الـرغم من ان «انشـاءه» لم يستكمل بعد، فان الذين يساهمون في «بنائه» يستخدمون «المشروع» لاغراض مباشرة. وعلى أية حال كان النقاش محتدماً في مقر الحزب الوطني

الليبرالي في اللحظة التي دخلت فيها اليه، حول خطة المشاركة في الانتخابات القادمة.

«يجب ان نعلم الشباب الديمقراطية»

لقد مر الحزب الوطني الليبرالي الذي ظهر عام ١٨٧٥ بالعديد من المراحل الدارماتيكية. وعلى الرغم من ان الحزب كان احدى القوى السياسية الرئيسية التي حققت الاستقلال لرومانيا وشاركت بنشاط في توطيد وتعزيز نظام دولتها، إلا ان الملك كارل الثاني قام بحله عام ١٩٣٨.

وجرت ملاحقة اعضاء الحزب الوطني الليبرالي خلال فترة حكم انطونيسكو الفاشي. ثم انخرطوا عام ١٩٤٤ بعد انتفاضة آب في حياة البلاد السياسية من جديد. لكن جرى حظر الحزب، مرة أخرى في عام ١٩٤٨.

واليوم بعد ٤٢ عاماً من الغياب الفعلي يعمل الحزب الوطني الليبرالي من جديد وفق الاسس القانونية.

ويقول ايغي ساندوليسكو سكرتير اللجنة التنظيمية الخاصة باستعادة نشاط الحزب الوطني الليبرالي:

- اعتقد ان الحزب سيلعب قريباً أحد أهم الادوار في تحديد النهج الاجتماعي والاقتصادي للبلاد. ولو تحدثنا باختصار فاننا سوف نسعى إلى تشجيع المشروع الخاص وتنشيطه والدفاع عن مبدأ إلغاء التأميم في الاقتصاد. وعقيدتنا هي سياسة منح القروض التشجيعية وضمان جميع الحقوق الدستورية والحريات للمواطنين والفصل بين سلطات الدولة: التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتعزيز الاستقلال الوطني مع الحفاظ على علاقات جيدة مع جميع البلدان التي ترغب في ذلك.

وتدرك القيادة الراهنة للحزب الوطني الليبرالي ان الانتخابات القادمة ستكون بالنسبة لها امتحاناً هاماً، لانه ليس لديها الآن أية خبرة سياسية تذكر.

ويمكن قول الشيء ذاته عن الاحزاب الأخرى. اذ تشير تقديرات الخبراء انه لن يكون بمقدور أي منها كسب اغلبية الاصوات الحاسمة التي تمكنها من تشكيل الحكومة. لذلك فان الحزب الوطني الليبرالي، كما اعلموني في مقر قيادته، سيتحالف على الاغلب مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي وحزب الفلاحين، وقد تم الاتفاق على ذلك. ويعتقد ان فرصة النجاح متوفرة أمام هذا الحلف.

والأمر الذي يقلق ساندوليسكو الذي ترأس حتى عام ١٩٤٨ منظمة الشباب التابعة للحزب الوطني الليبرالي، هو ان اجيالاً باكملها قد ولدت وترعرعت ودخلت معترك الحياة

الواعية دون ان تعرف ما هي الديمقراطية.

- سيتوجب علينا تعليم الشباب العمل في ظروف الحرية الجديدة تماماً بالنسبة لهم. هكذا يحدد محدثي المهمة الرئيسية للمخضرمين في الحزب.

ويعتقد ان ثمة أولويتين في تطور الحياة الاجتماعية اليوم. أولاً - تطهير الهياكل القيادية الحالية من الذين بنوا حياتهم على أساس المساومات. ثانياً - من الضروري النهوض بالاقتصاد الروماني لكي يقف على رجليه. واذا ما تم تأجيل وتأخير انجاز هذه المهمات فستكون الرفاهية والديمقراطية والحرية في خطر كبير.

وثمة ظرف آخر في الاوضاع الراهنة يقلق قادة الحزب الوطني الليبرالي بشكل كبير هو امتلاك جبهة الانقاذ الوطني الآن كامل السلطة في البلاد. ونظراً لأن هذه الجبهة هي في وضع مميز فسوف تجد نفسها حتماً خارج المنافسة لو قرر ان المساهمة في الانتخابات أمر ممكن.

- نحن نعتبر جبهة الانقاذ الوطني كاتحاد للقوى الديمقراطية والوطنية في البلاد التي منحها الناس صلاحيات كاملة من أجل تهيئة ظروف ملائمة كي يقرر الشعب بنفسه مصيره، هكذا يوضح ساندوليسكو موقفه. ويجب على جبهة الانقاذ الوطني كأعلى هيئة للسلطة ان تحل نفسها بعد اعلان النتائج الاولية للانتخابات. واذا كان اعضاء الجبهة يريدون الدخول إلى البرمان وإلى الحكومة فيجب عليهم تقديم استقالتهم من المناصب التي شغلوها بصورة عفوية وعلى موجة الثورة الشعبية والانتساب إلى الاحزاب التي تلائم معتقداتهم أو تشكيل احزاب جديدة. وسيكون بمقدور بعضهم، في ظل التعددية السياسية تشكيل حزب شيوعي جديد تحت أي اسم كان وهو ما سيقومون به في نهاية المطاف بطيبة خاطر كما يتضح من تصريحاتهم.

عرش الملك

بدا لي ان ثمة آراء مغايرة بعض الشيء لدى من يسمون انفسهم باعضاء الحزب الليبرالي. في الواقع، لم تكن هذه المنظمة مسجلة بعد في تلك الفترة في المحكمة كما تقضي بذلك القوانين الجديدة في رومانيا. والخمسة عشر شخصاً الذين التقيت بهم في أحد فنادق بوخارست كانوا يمثلون مجموعة المبادرة لتشكيل حزب جديد وتنظيم أول مؤتمر له. وقد وافق احدهم - ميخاي كونتسانتينسكو - البالغ من العمر ٢٨ عاماً وهو نائب رئيس المجموعة على الاجابة عن اسئلتي.

- كم يبلغ عدد انصاركم؟

ـ نعتقد ان مئات الالوف من الناس تؤيد برنامجنا.
ـ ما هي اسس هذه التقديرات؟
ـ يأتي الينا الناس من جميع ارجاء البلاد ويعلنون عن تضامنهم وتأييدهم لاهدافنا.
ـ هل انتم واثقون من الفوز في الانتخابات؟
ـ نعم. ونعتقد ان حوالي ٨٠ في المئة من الناخبين سيصوتون لنا.
ـ هل تأملون انتم بالذات في الحصول على منصب ما في الحكومة القادمة وشغل مركز مفصلي في الهرمية الحزبية؟
ـ مؤتمر الحزب هو الذي سيقرر مصيري.
ـ ما هي الشهادة التي تحملونها؟
ـ لم تسمح لي اجهزة الامن بالدراسة في الجامعة.
ـ وهل تنوون الدراسة الآن؟
ـ هذه ليست المهمة الاولى بالنسبة لي الآن.
ـ ما الذي يشغلكم الآن أكثر م أي شيء آخر؟
ـ مستقبل النظام السياسي في البلاد. يجب ان يقوم على أساس ملكي ودستوري على الطريقة البريطانية · حود مجلسين للبرلمان وحكومة تشكلها الاغلبية البرلمانية.
ـ ومن سيكون
ـ الملك ميخاي الذي يعيش في المهجر. فهو سيوّحد الامة ويصبح رمزها.
ـ في هذه الحالة ما الذي يقصده مؤسسو الحزب بكلمة «ليبرالي»؟
ـ نعتقد ان المجتمع الذي نناضل من أجل تكوينه يجب ان يتميز بالديمقراطية وبالمستوى العالي من التطور العلمي التقني. وهو بالنسبة لنا مجتمع غير مسيس تنقل الملكية فيه إلى القطاع الخاص باقصى الحدود.
ـ ان اساس الليبراية هو حرية الفكر. هل توافقون على ان يتمتع الآخرون بهذا الحق الاساسي الذي تطالبون به لانفسكم؟ وبشكل خاص اولئك الذين يعتنقون الآراء الماركسية فيما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع؟
ـ لم تكن في رومانيا في أي وقت من الاوقات ظروف للماركسية. والتعاليم التي يدور الحديث حولها غريبة عن شعبنا وقد ادخلت إلى بلادنا من الخارج وفرضت بالقوة.
ـ كيف يتفق مع تصوركم حول الديمقراطية الرأي القائل بان الحزب الشيوعي يجب ان يبقى «خارج اللعبة»؟
ـ هكذا أراد الشعب. نحن طبعاً راديكاليون ولكننا لسنا متطرفين. ولكن ما العمل اذا كانت الايديولوجيا الشيوعية قد اقترنت في وعي الناس بنظام شاوشيسكو.

ـ ولكن على الاغلب كان هناك بعض الناس في الحزب الشيوعي غير موافقين على سياسة الدكتاتور.

ـ نحن لا نكترث بمصيرهم، بل نهتم بقضايانا الخاصة.

مازال السؤال مطروحاً

لا يجوز اعتبار جواب ميخاي كونستانتيسكو عن السؤال الاخير لبقاً. لكنني سمعت من كثيرين غيره تعابير أكثر حدة بحق الحزب الشيوعي. لكن هناك عدداً غير قليل من الـذين لا يوافقون على الرأي القائل بان الحزب قد فقد المستقبل بشكل ابدي. وعلى الرغم من ان احداً من هؤلاء لم يرغب في المشاركة في مناقشة مثل هذه الموضوعة على صفحات المجلة إلا انهم عبروا عن بعض الآراء التي لها علاقة مباشرة بالقضايا التي تهمني.

ان الحزب الشيوعي الروماني الذي تحول في عهد دكتاتورية شاوشيسكو إلى مجرد تمثال من الشمع يعرض في المتاحف كفَّ عن الوجود بوصفه حزباً شيوعياً في تلك اللحظة التي اقتحم فيهـا آلاف من سكـان بوخارست في ٢٢ كانون الاول ١٩٨٩ مبنى اللجنة المركزية كي يقضوا نهائياً على السلطة التي وعدتهم بجبال من الذهب في المستقبل ولكنها لم تترك لهم على امتداد ربع قرن أي أمل في حياة لائقة إلى هذه الدرجة أو تلك في الحاضر. ذلك هو الاستنتاج الذي يخطر على البال من جميع التصريحات التي أدلى بها قادة جبهة الانقاذ الوطني حتى الوقت الحاضر.

غير ان الكثيرين من الذين اقتحموا مقر الحزب أو دافعوا عن مبنى التلفزيون الذي أعلن نفسه حراً والذي انقضت عليه وحدات اجهزة الامن كانت لهم علاقة مباشرة بالحزب الشيوعي الروماني. وفي الحقيقة نقول انهم لم يماثلوا انفسهم وقتئذ بالحزب ولم يكن بامكـانهم ان يتأملوا في العواقب المحتملة بالنسبة لهم والتي قد تسفر عنها الثورة التي اندلعت بسرعة مفاجئة والمرجوة إلى اقصى الحدود.

ولكن في اليوم التالي لسقوط الدكتاتور برزت أمام الثلاثة ملايين و٨٠٠ الف انسان الذين كانوا يحملون بطاقة عضوية الحزب الشيوعي الروماني اسئلة حادة بهذه الدرجة أو تلك تتعلق بمكـانهم ودورهم في ماضي ومستقبل البلاد والمجتمع. واذا ما استخلصنا استنتاجات مما تسنى لي سماعه في بوخارست، فيمكن الافتراض ان حل مثل هذه القضايا صعب جداً بالنسبة لمن لم يطابق في أي وقت من الاوقات بين المبادىء والمثل الشيوعية الحقيقية وبين الاهـداف واسـاليب تحقيقهـا مما أعلنه وطبقه الدكتاتور، ولمن كان في

المعارضة الداخلية لنظامه.

لقد بدا ان انهيار الدكتاتورية يجب ان يفتح الافاق لانبعاث الحزب على الاسس الماركسية بالذات وبناء مجتمع اشتراكي حقيقي في البلاد.

ولكن اولئك الذين وافقوا على مناقشة هذا الموضوع معي يعتقدون ان التربة الواقعية منعدمة اليوم بالنسبة للاولى والثانية على حد سواء. واشاروا إلى انه من الجنون السياسي والاستفزاز الصريح التحدث الآن عن شيء من هذا القبيل. لذلك يمكن فقط التكهّن بمدى عمق المأساة بالنسبة لانصار المبادىء والافكار الاشتراكية المخلصين الذين يدركون بوضوح استحالة تحقيقها في الوقت الراهن.

طبعاً لن يقف هؤلاء مكتوفي الايدي. فالعديد من الدين عارضوا شاوشيسكو علناً معروفون بشكل جيد على انهم شرفاء ومبدئيون. وثقة المجتمع بهم كبيرة لدرجة انها كافية لمساهمتهم ومشاركتهم في تكوين مؤسسات دولة جديدة وبنى سياسية تضمن لرومانيا تطوراً ديمقراطياً حقيقياً.

وعلى الرغم من ذلك كله مازالت قائمة مسألة امكانية بروز حزب في البلاد قادر (في المستقبل) على تطوير النظرية الماركسية اللينينية بشكل خلاق والعمل على تحقيقها في الحياة.

ويمكن القول انه لم تعد هناك عراقيل شكلية لتحقيق ذلك بعد الغاء المرسوم الذي فرض الحظر على نشاط الحزب الشيوعي. ولا يرى الزعماء السياسيون ذوو التفكير الواسع للاحزاب التي يعاد تشكيلها والاحزاب الجديدة في مثل هذا الخصم خطراً جدياً ولن يصروا كما يبدو على اقرار قانون يحد من حقوق مثل هذه المنظمة. سوف يمر الزمن ويتضح للجماهير الواسعة ان مأساة رومانيا لم تكمن في الافكار الشيوعية بحد ذاتها. وعلى أية حال، فان جميع الذين تكلمت معهم في هذا الموضوع يدركون جيداً ان مثل هذا السؤال لا يمكن النظر فيه إلا بوصفه سؤالاً بلاغياً في ذلك البلد الذي ساد فيه مدة طويلة وتحت يافطات مختلفة الحكم الملكي المطلق، والذي يقل فيه الدخل الوطني بثلاث أو اربع مرات عنه في البلدان الرأسمالية الشبيهة به من حيث المساحة والموارد. ويرى الكثيرون من هؤلاء الناس ان هذا السؤال سيكف عن كونه سؤالاً بلاغياً اذا ما تخلصت الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى التي سارت منذ وقت غير بعيد بـ «ثبات» على طريق البناء الاشتراكي، من الازمة التي تعانيها حالياً، واثبتت ان برامجها واقعية وقابلة للتحقيق.


أدب وفن

تحية، ابا فرات، لاعوامك والشعر

ما أجدرَنا، ونحن نشهد اقتراب شاعرنا الكبير الجواهري من عامه التسعين، ان نجعل هذه المناسبة حدثاً للاحتفاء بالشعر الذي جسّده الجواهري مختصِراً عصوراً باكملها وتاريخاً لا يستدعي الذاكرة بل يحرّضها لتستحيلٍ حاضراً.

ما أجدرَنا أن نعلن: انَّ زمناً ينفي الجواهري ستحلّ عليه اللعنةُ إلى الأبد.

ما أجدَرَنا أن نربط يقينَنا بيقين الجواهري، ونُعلي حقيقةَ الشعر!

من ينفي المتنبّي ثانية؟ ومَنْ يُعيد مأساة شعرائنا العظام؟

هل قَدَرُ الشعر أن يبصر المأساة وهي تتكررُ مهزلةً في التاريخ؟

هل قَدَرُ نا أن نصدق التاريخ ولا نصدقُ ما نراهُ باعيننا؟

ولكن ما نراه أوسعُ من رؤية العين، وأصدقُ مما يتوهمهُ العقل، فعَنْ أيّ مهرجانات وباطلٍ يتحدث المحتفون، ومَنْ ينبغي ان يُحتفى به غائبٌ وهو الأشد حضوراً وسيدُ كلّ مهرجانٍ؟

إن الجواهري هو الآن ألصقُ بوطنه وشعبه من أي وقتٍ مضى.

وإذا كان ثمة أفراحٌ شحيحةٌ لنا في المنفى فهو فرحنا بحضور الجواهري بيننا شاهداً للمأساة يشاركنا مصائرنا، ويقاسمنا همومنا، ويتطلع معنا إلى ما حلمنا به جميعاً: عراق اشعاره الجميل.

تحية، أبا فرات، لحلمك الجميل واشعارك الخالدة، ولتكنْ أيامُنا القادمة مهرجاناً حقيقياً للاحتفاء بايامك وأيام الشعر، وليجعل ادباؤنا وشعراؤنا هـذه المناسبة، باسهاماتهم في مجلتنا، انتصاراً للحقيقة والشعر.

أدب وفن



الاسلام وعلم الجمال والفن

فيصل لميبي

«والأرض وضعها للأنام. فيها فكهةٌ والنخلُ
ذات الأكمام والحب ذو العصف والريحان.»*

تضم الفن الاسلامي وحدةٌ شاملة، على الرغم من سعةِ المناطق التي التي انتشر فيها، والتنوع القومي والجغرافي والفقهي الذي نما وترعرع فيه من حدود الصين حتى بلاد الاندلس.

أكدت هذه الحقيقة الآثارُ الشاخصة حتى يومنا هذا، والممتدة هي الأخرى من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر منه: عمارة، مخطوطات، رسوم، نحت، زخرفة، خط عربي، نقش، أثاث، ملابس، وشم، تنسيق الزهور، منسوجات أرضية، وجدارية، قبور، طريقة تجميل الوجوه، الخ... وهذا التشابه يحيّر المختص والمشاهد العادي معاً. ونادراً ما نستطيع التمييز بين الانتاج الروحي لبلاد ما وراء النهر وانتاج بلاد الشام، أو إبداع بغداد وإبداع القاهرة. فهناك روح متكاملة وجمال واحد مهيمن على سائر الأشياء.

* سورة الرحمن، الآية: ١٠، ١١، ١٢. وفي نفس السورة نجد هذه الآية: «متكئين على رفرفٍ خضر وعبقري حسان» وهي الآية: ٧٦. ولم أجد في القرآن كلمة «عبقري» إلا هنا.

فهل هناك تصور جمالي أو فلسفة جمالية أو علم جمال عند المسلمين وأين نجده؟
في الحقيقة لا يمكن الادعاء، على الأقل من جانبي، باني سوف أبرهن على ذلك، لكني في الـوقت نفسه، سادعي بأني احاول هنا تتبع الخطى والآثار الموصلة إلى هذا الموضوع. «وليس للانسان إلاّ ما سعى وإن سعيه سوف يُرى».
سنبـدأ بكتـاب المسلمين: «القـرآن» أولاً ونحـاول تتبع الآيات التي تفيدنا بهذا الخصوص، تم نتفحص الاحاديث النبوية وآراء بعض الصحابة وفقهاء المسلمين الذين نجد عندهم ما يسعفنا، ثم ننتقل أخيراً إلى شيوخ الصوفية والكتّاب المتنورين من المسلمين.

١ ـ موقف القرآن

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تدفع الانسان إلى التمعن في خلق السماوات والأرض*، والنـظر إلى عجـائب الكون وجماله ودقة صنعه وفائدته، ولا يمكننا، بطبيعة الحال، تسجيل هذه الآيات كلها، ولكن لابد من إيراد بعضها للبرهنة، ليس غير.
وقبل الخوض في هذه المسألة، علينا أيضاً ان نحل مشكلة من أعقد المشاكل التي تواجـه الناقد الفني، أو عالم الجمال وربما حتى المؤرخ الفني، ألا وهي علاقة الدين الاسلامي بالفن وتحريمه.
لقـد كان الـدين اليهودي ضد صنع التماثيل والرسم وكل ما يشابه ما في الأرض والسماء: ـ «الصورة المنحوتة أو أي شيء مشابه لما في السماء من فوق، أو في الأرض من تحت أو في الماء من تحت الأرض.»[1]. وظل الدين المسيحي ضد استخدام الفن في بيوت العبادة حتى القرن الثالث الميلادي، إذ بدأت الاستفادة منه لغرض نشر الدين وشرح ما يصعب شرحه بالكلام. ولم يسلم الدين الاسلامي من هذه التقاليد، رغم ان القرآن لم يحرِّم الفن أو صناعته، ولم يعتبره شيئاً غير مرغوب فيه. وسيأتي الكلام عن هذا في وقته.
فالقرآن، ابتداءً، يحدد العالم الموضوعي، وهذا ما نراه في العديد من سوره، وقصة آدم خير مثال على ذلك: «وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء.»[2]. و (خلق الانسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارجٍ من نارٍ»[3] أي ان الطين (الصلصال) كان قبل الانسان ومنه جاء الانسان.
وظهر إهتمام القرآن بالطبيعة وجمالها، وجعل الانسان مندفعاً اليها والتمتع بها «قل

---

* مثلاً الآية (٣٣) في سورة الرحمن. ـ «يامعشر الجنِ والأنس إن إستطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لا تنفذوا إلا بسلطان».

من حَرَّمَ زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصِّل الآيات لقومٍ يعلمون.»[٤]. ويزيد القرآن في حثّ الانسان على التجميل والتزيين:- «يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين.»[٥].

ثم يحدد القرآن الجمال بالاخلاق كذلك:- «ألَمْ تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيِّبة كشجرةٍ طيِّبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء»[٦] أو «ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ أُجْتُثَتْ مِنْ فوق الأرض ما لها من قرار.»[٧] ولكن كيف يمكننا الاحساس بالجمال وروعة الخلق؟ يقول القرآن:- «... وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون.»[٨].

بايجاز نستطيع ان نحلل هذه الآيات على الشكل التالي:

هناك عالم خارج وعينا، وهو عالم جميل (الجمال في الطبيعة). وهذا العالم ينعكس علينا من خلال السمع والابصار والافئدة (الحواس وتطورها وتحولها إلى اجهزة طورت الانسان بعد ان تطورت هي بالذات)، ثم تحويل هذه الانعكاسات إلى أفعال وبالتالي إلى معرفة وخبرة، واكتساب تجارب جديدة. وهذا اذا ما حاولنا تطبيقه على تطور فلسفة الجمال أو علم الجمال (الجماليات) (ESTETIQUES) نجد ان الاسلام قد أختزل هذا التطور الذي وصلنا اليه، منذ قرونٍ خلت، فالمثاليون الذاتيون والموضوعيون الذين تكلموا عن الجمال حصروه في ذات الانسان وفي الطبيعة، كلٌّ على حدة.

ولما جاء ديدرو وروسو وفولتير كان الرأي السائد ان الجمال في الطبيعة وهو في الاساس موضوعي ولا دخل للانسان فيه. ثم تطورت منذ ذلك الحين النظريات الجمالية في الغرب على يد كانت، غوته، هيغل، فيورباخ، شوبنهاور، نيتشه، ماركس، بليخانوف، لينين، لوكاش. اصبح الجمال متوزعاً على الطبيعة + الانسان + العمل الفني. وهناك علاقة متينة ما بين الأطراف الثلاثة..

حتى الآن تكلم القرآن عن الجمال في الطبيعة والجمال عند الانسان. لكن كيف تطرق القرآن إلى الجمال في العمل الفني؟!

سؤال هام علينا الاجابة عليه، وها نحن نحاول.

توجد في القرآن ثلاثة مواقع تتحدث عن النحت (التماثيل). واحد من هذه المواقع كان ضد النحت لأنه وضع لغرض العبادة: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكُنّا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم عليها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين»[٩] اذن الاستياء قد جاء بسبب العبادة. وهذا ما كان أيضاً عند فتح مكة حيث دمرت الأعمال النحتية باعتبارها تمثل آلهة وليس لكونها أعمالاً فنية. أما الآية الثانية فقد وردت التماثيل فيها كشيء مبارك ونعمة من نعم الله

على عبـده الانسان :ـ «ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر (النحاس) ومِنْ الجنِّ من يعمل بين يديه بإذن ربه ومَنْ يفرغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريب **وتماثيل** وجفان كالجواب وقدور راسيات إعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور»[١٠].

هنا تأتي صناعة التماثيل كنعمة من نِعمه على عباده الصالحين، أي إنها موهبة لا يستطيع كل انسان التمتع بها. وللتأكيد على هذا نورد المثال الثالث عن التماثيل :ـ «اني (يقصد هنا عيسى بن مريم) قد جئتكم بآيةٍ من ربكم إني أخلق لكم **من الطين كهيئة الطير** فأنفخ فيه **فيكون طيراً** بإذن الله. »[١١]وفي هذه الآية يتحول صنع التماثيل إلى آية من آيات الله يهبها لمن يشاء من عباده. ولما كانت السورة الثانية والسورة الثالثة تجيزان صنع التماثيل مادامت ليست للعبـادة، فلمـاذا حرَّم الاسلام الفن (الفنون التشكيلية وخصوصاً تصوير البشر)؟ علينا إعادة ترتيب وطرح السؤال على النحو التالي : لماذا لم يذكر القرآن ولو آية واحدة ضد الفن وهو الذي تطرق إلى قضايا أقل خطورة واخف جرماً من الناحية الدينية، كالخمرة والميسر ولحم الخنزير وما إلى ذلك؟

الجواب، على ما أعتقد ان التحريم قد جاء بعد وفاة النبي، وخلو القرآن منه يؤكد هذه الحقيقة رغم ما نُقل عن النبي محمد من احاديث ليست في كل الاحوال لصالح الفن، والرسم والنحت بشكلٍ خاص. ويبني الفقهاء قضية التحريم على أساس الآية التالية :ـ «هـو الله الخـالق الباريء **المصوِّر** له الأسماء الحسنى. . . »[١٢] وترد كلمة المصور في أشكال مختلفة للفعل «صَوَّرَ» في القرآن مثال: «خلق السموات والأرض بالحق **وصوَّركم فأحسن صُوَركم** واليه المصير. »[١٣]. واجمالاً للموقف من الفن والفنانين نجد في موقف القـرآن من الشعـراء الموقف الصحيح للاسلام تجاه الفن والفنانين :ـ «والشعراء يتبعهم الغاوون. أَلَمْ ترَ أَنهم في كلِ وادٍ يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وأنتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلم الذين ظَلَموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون»[١٤]. فالشعر اذن مسموح به بشرط أن يكون صادقاً وحقيقياً ويقف ضد الـظلم ومع الأعمال الصالحة. وموقف النبي من حسّان بن ثابت وغيره يكرره لينين مع غوركي في عصرنا الحاضر. لقد كان الاسلام مع العلم النافع، فلم يك مفكروه من هواة التأمل الفلسفي المحض وبعيداً عن سير الحياة وحركتها الدائبة بل ان النبي محمد يؤكد على ان :ـ «لا خير في علمٍ لا ينفع» وهم يربطون المعرفة بالتجربة الحسية ويؤكدون عليها.

٢ ـ **موقف النبي محمد**: يتحدث الرواة، وما أكثرهم، نقلاً عن النبي بانه قد حرَّم الرسم والنحت (التصوير والتجسيم) لأنه اعتبر ذلك محاولة لتقليد الخالق (نظرية المثل

لأفلاطون). أو التشبّه به، فالله هو «المصوِّر» ولا مصور سواه. لكنهم يقعون في تناقض غريب عندما يبيحون رسم النبات والطير وما اليها، بحجة عدم وجود الروح فيها، وهم ينسون ان الشجر والصخر والطبيعة عموماً هي من خلق الله كذلك. ومن يرسمها يقع عليه ما يقع على رسّام الاشخاص. والحال ان العديد من الاحاديث هي أحاديث مزوَّرة ليس فيما يخص الفن فقط، بل في أمورٍ أخرى كذلك. ومما له دلالة ما رواه أنس بن مالك، خادم النبي والعارف بشؤون بيته، حيث قال: ـ «كان قرام (ستر) لعائشة، قد سترت به جانباً من بيتها، فقال رسول الله (ص) أميطي عنّا قرامكِ هذا. فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»[١٥]. والنبي هنا لم يقل لها لا تستعمليه وانما ابعديه عن مكان الصلاة وهذه الرواية لها علاقة برواية لعائشة نفسها: «قدم رسول الله (ص) من سفرٍ، وقد اشتريت نمطاً (ثوباً من صوف ـ أو بساطاً) فيه صورة، فسترته على سهوة بيتي (السهوة: الرف، أو الطاق، أو الكوة...). فلما دخل (ص)، كره ما صنعت، وقال: أتسترين الجدر ياعائشة؟! فطرحته، فقطعته مرفقتين (وسادتين) فقد رأيته متكئاً على احداهما وفيها صورة!»[١٦]. وعن علي بن ابي طالب يروى هذا الحديث: ـ «قال رسول الله: أن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال، فاذا اشتهى الرجل صورةً دخل فيها..»[١٧] ويروى عن ابن عباس: ـ «ان رجلاً (رساماً) من العراق جاء إلى عبد الله بن عباس فقال له: ـ «ياابن عباس، اني رجل أصور هذه الصور ، وأصنعُ هذه الصور، فإفتني فيها؟» فقال للرجل: ـ «... فإن كنت لابد فاعلا فإجعل الشجر وما لا نفس فيه.»[١٨]. وحادثة دخول النبي جوف الكعبة تشير إلى الموقف النبوي من الرسم، ويروي ابن عباس ان النبي «لما رأى الصور في البيت (يعني الكعبة) لم يدخل، وأمر بها فمحيت. ورأى [صور] إبراهيم واسماعيل، عليهما السلام بايديهما الأزلام. فقال: قاتلهم الله، والله ما إستقسما بالأزلام قط!»[١٩]. وعن عمر بن الخطاب، انه لا يدخل كنيسة فيها تماثيل أوصور، وهو أميل هنا إلى الكنائس الشرقية التي لا تحبذ الرسوم أو التماثيل. ولم تسجل حادثة في تاريخ خلفاء النبي «الأربعة» تقول بانهم حطموا تمثالاً في كنيسة أو صورة في جدارها. لأن معظم هذه الصور (وهي من الفن البيزنطي ـ القرن السابع الميلادي ـ) كانت تؤيد ما جاء به القرآن من قصص الانبياء ومعجزاتهم. وربما زار النبي الكنائس المهمة في «رافينا» في ايطاليا وكنائس الشام والاسكندرية واليونان في سفراته العديدة إلى الشمال (رحلة الصيف). فالقرآن يصف العرش السماوي وكأنه فسيفساء بيزنطية، من موازييك مدينة بيزانص، عاصمة الامبراطورية الرومانية المقدسة (الشرقية) وقد سميت هذه العاصمة بالقسطنطينية نسبة إلى الامبراطور قسطنطين وتسمى الآن اسطانبول المحرف من اسم «اسلام بول»، والتي تم فتحها من قبل (العثمانيين). ومن السنّة النبوية أيضاً نروي

هذه الحادثة :ـ «كنت العب بالبنات (الدمى) عند النبي»[20] تقول عائشة . وتضيف أيضاً :ـ «دَخَلَ عليَّ رسول الله (ص) يوماً وأنا ألعب بالبناتِ فقال :ـ ما هذا ياعائشة؟ فقلت :ـ خيل سليمان فضحك»[21] .

هنا نجد أنفسنا أمام دمى على هيئة خيل ، فهل كانت عائشة تلعب بالكرَّج؟ (قصبة في نهايتها رأس حصان أو حيوان ما حسب طبيعة الحكاية) . وقد تحدث الدكتور محمد حسين الأعرجي في كتابه : (فن التمثيل عند العرب) عن ذلك (ص ٢١) قائلاً :ـ «كان المخنَّثون على عهد رسول الله (ص) أربعة : هيت ، وهرم، وماتع ، وإِنَّه . ولم يكونوا يزنون بالفاحشة الكبرى . . . . وربما لعب بعضهم بالكرَّج» .

وهنـاك رواية عن ابن عباس كذلك تقول انه كان يملك كانوناً (موقداً) معدنياً فيه تمـاثيل أربعـة . كان يستعمله لحاجاته . والواقع ان موضوعة التحريم تُحيطها تناقضات وإحاديثٍ متضاربة ، أقل ما يقال فيها ، انها تعكس صورة سلبية وجامدة وقاسية عن النبي محمد . وهذا عكس الواقع والتاريخ الشخصي للنبي ، فقد اتسم حقاً بالحزم في الأمور الأساسية لدينه ، لكنه كان في منتهى السماحة والرقة في تعامله وعلاقاته الخاصة والعامة .

٣ ـ موقف الفقهاء وعلماء الاسلام وشيوخ الصوفية

يروى عن الامـام علي ابن ابي طالب أنـه قال :ـ «صفـاء الكتـابة من صفـاء القلوب»[22] . وله في «نهج البلاغة» صور أدبية رائعة التعبير عن بدائع الخلق والطبيعة ، ومنها يمكن استنباط قيم جمالية غير بعيدة عن تلك التي وردت في القرآن .

ويتحدث ابـو حامـد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م) عن الجمال ، في كتاباته العديدة ومما يقوله :ـ «كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله اللائق به الممكن له . فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال»[23] . ثم يضيف «فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء . »[24] ويزيد هذا العالم : «ان الجمال ينقسم إلى جمـال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونـور البصيرة . . . وكـل جمال فهو محبوب عند مُدْرِك الجمال . فان كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب»[25] ويربط الغزالي الجمال باللذّة :ـ «كل ما ادركه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك . »[26] .

أما جلال الدين الرومي (المتوفى عام ١٢٧٣ م) فيقول في ديوانه الشهير «المثنوي» الـذي ترجمه د. محمد عبد السلام كفافي إلى العربية عام ١٩٦١ ، ج١ ، ص ٥٤٢ ـ

٥٤٣ :ـ «كل ما كان جميلاً رائق الحُسنِ فقد صُنعَ من أجلِ الاحساس السليم الذي يدركه ويتذوقه.»[٢٧].

ويسأل هذا الشيخ قائلاً :ـ «هل يرسم أي رسام صورةً جميلة حباً في الصورة نفسها دون ان يأمل في المنفعة من ورائها؟» ثم يقول «ان الصورة الظاهرة إنما عُملَتْ لكي تُدْرك الصورة الباطنة، والصورة الأخيرة تشكلت من أجل ادراك صورة باطنية أخرى على قدر بصيرتك. فالصورة الأولى انما تعمل من أجل الوصول إلى الثانية مثل ارتقاء درجات السلم»[٢٧].

أما ابن عربي محيي الدين (المتوفى عام ١٢٤٠ م) فيقول: «يجمع في نفسه (أي الانسان) صورة الله وصورة العالم. وهو وحده الذي تتجلى فيه الذات الإلهية، بكل الصفات والاسماء. وهو المرآة التي تنكشف له فيها ذاته. ونحن أنفسنا الصفات التي نصف بها الله، ووجودنا ما هو إلا تحقيق وجوده»[٢٨].

أما المفسر، النحّاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي (ت ٣٣٨ هـ ـ ٩٥٠ م) فيقول :ـ «ان بعض المفسرين والفقهاء يجيزون الصور»[٢٩] واستدلوا بسورة سبأ وآيات سليمان مع الجن وكذلك بسورة آل عمران وصنع عيسى طيراً من الطين لقومه. ويتحدث مكي بن حموش الأندلسي (ت ٤٣٧ هـ ـ ١٠٤٥ م) في كتابه (الهداية إلى بلوغ النهاية) بان هناك «فرقة تجيز التصوير» مستندة على الآيات نفسها التي ذكرناها سابقاً. والقرطبي (ت ٦٧١ هـ ـ ١٢٧٣ م) يقدم إجتهاد المالكية في اجازة التصوير عندما تقتضيها ضرورات اجتماعية واخلاقية، وأستند على احاديث عائشة «وبناتها».

وهذا ابو العباس أحمد بن ادريس القرافي المالكي المذهب (ت ٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٥ م) يقول في كتابه (شرح المحصول) :ـ «بلغني ان الملك الكامل وضع له شمعدان ـ وهو عمود طويل من نحاس له مراكز يوضع عليها الشمع للانارة ـ كلما مضى من الليل ساعة إنفتح باب منه وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فاذا إنقضت عشر ساعات ـ أي حان وقت الفجر ـ طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وإصبعه في أذنه، وقال: صبح الله السلطان بالسعادة. فيعلم ان الفجر قد طلع؟!»[٣٠]. ثم يدعي هذا الامام بانه قد صنع واحداً أفضل منه لكنه لم يستطع ان يجعل الشخص يتكلم.

ويقدم الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م) في بداية هذا القرن شرحاً جريئاً لقضية التحريم، في مقالاته التي كان يكتبها في مجلة (المنار) لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: «. . . ولا يمكنك ان تجيب المفتي بان الصورة، على كل حال، مظنة العبادة، فاني أظن انه يقول لك: أن لسانك، أيضاً، مظنة الكذب، فهل يجب ربطه؟! مع انه يجوز ان يصدق، كما ان يكذب؟! وبالجملة، فانه يغلب على ظني ان

الشريعة الاسلامية أبعد من ان تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم. . . . وليس هناك ما يمنع المسلمين من الجمع بين عقيدة التوحيدة ورسم صور الانسان والحيوان لتحقيق المعاني العلمية، وتمثيل الصور الذهنية. . . »[٣١].

أرجو ان أكون قد قدمت صورة سريعة وعامة عن التصور الجمالي والموقف من الفن في الاسلام، بما يخدم الحقائق الموضوعية والحضارية، وساهمت كغيري في توضيح بعض النقاط الخلافية التي لا يزال الجدل يدور حولها. . وربما يساعدنا الحظ، في المرة القادمة، كي نتحدث عن الرسم الاسلامي وجمالياته.

الهوامش

(١) الاصحاح العشرون، سفر الخروج ـ التوراة.
(٢) سورة هود، الآية: ٧ ـ القرآن.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ١٣، ١٤ ـ القرآن.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٢ ـ القرآن.
(٥) المصدر السابق نفسه، الآية: ٣١ ـ القرآن.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤ ـ القرآن.
(٧) المصدر نفسه، الآية: ٢٦.
(٨) سورة السُجَدة، الآية: ٩ ـ القرآن.
(٩) سورة الانبياء، الآية: ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤ ـ القرآن.
(١٠) سورة سبأ، الآية: ١٢، ١٣.
(١١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.
(١٢) سورة الحشر، الآية: ٢٤.
(١٣) سورة التغاين، الآية: ٣.
(١٤) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧.
(١٥) رواه: أحمد بن حنبل، انظر: د. م عماره: الاسلام وقضايا العصر، ص ٥١ ـ ٥٢، دار الوحدة ـ بيروت.
(١٦) المصدر السابق نفسه.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) المصدر نفسه.
(١٩) نفس المصدر. نجد ان النبي قد أمر بمسح صورة إبراهيم لكونها تزيف حقيقة الرجلين فهما ضد الأزلام (الفأل) ولهذا فالصورة تشويه له ولابد من ازالتها.
(٢٠) طبقات ابن سعد، ج: ٨ ص ٤٨، ط، دار التحرير ـ القاهرة.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٤٢ . ومثله روي عن أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم. ومن الجدير بالذكر ان المذهب المالكي يبيح صنع التماثيل لغرض التربية والتعليم فعنده ان الدمى تساعد الاطفال على تعلم قواعد الحياة الاجتماعية الضرورية.

(٢٢) رواه القاضي أحمد بن مير منشي في كتابه: «الخطاطون والرسامون» وهو من كتّاب القرن السابع عشر الميلادي.

(٢٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية، ط٢ ، ج٢، ص ١٠٤١، مادة الغزالي انظر أيضاً كيمياء السعادة. وهو جزء هام من كتابه البارز إحياء علوم الدين

(٢٤) المصدر السابق نفسه

(٢٥) احياء علوم الدين: ج٤، ص (٣٠٣ - ٣٠٤).

(٢٦) المصدر نفسه' ج٤، ص (٢٩٦).

(٢٧) نفس المصدر، ج٤، الأبيات ٢٨٨١ - ٢٨٩٢.

(٢٨) دائرة المعارف الاسلامية، انظر مقالة ر. أ. نيكلسون عن الانسان الكامل ولوي ماسينيون: الطواسين، للحلاج، باريس ١٩١٣، ص ١٢٩.

(٢٩) د. م. عمارة، الاسلام وقضايا العصر، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٣٠) مقدمة تحقيق كتاب القرافي (الإحكام) ص ١٥، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح ابو غره، طبعة حلب سنة ١٩٦٧. انظر كذلك: الاسلام وقضايا العصر، ص ٥٥.

(٣١) (الاعمال الكاملة للامام محمد عبده) ج٢، ص ٢٠٥، ٢٠٦. دراسة وتحقيق د. م. عماره، بيروت عام ١٩٧٢ م.

اربعة عقود من تاريخ المسرح السياسي في العراق (١٨٨٠ ـ ١٩٢٠)

لطيف حسن

عرف العراق بدايات المسرح الوافد اليه، من مصادره المختلفة (من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٩٢٠)[1].

خلال هذه العقود الأربعة، تعرف الوجهاء والأعيان ومترفو التجار والمثقفون الشباب، وضباط الجيش على نشاطات مسرحية باللغة الفرنسية والانكليزية والتركية والعربية.

وقبل تناول هذه النشاطات المتفرقة والهامة في تاريخ المسرح العراقي، لابد من وقفة سريعة عند الوضع الاجتماعي والسياسي للعقود الأربعة التي شهدت لأول مرة عملية انبات بذرة المسرح الباروكي في العراق.

في الفترة (١٨٨٠ ـ ١٩١٧)، كان العراق جزءً من الامبراطورية العثمانية، وقد حكم ولاة بغداد وحدها في هذه الفترة القلقة خمسةً وعشرون والياً، أي بمعدل عام وبضعة أشهر لحكم كل وال[2].

ونحن نشير إلى هذا الأمر، كونه يشكل مظهراً من مظاهر الفوضى السياسية السائدة خلال هذه المرحلة التي عمت فيها الأمية والأمراض والنكبات.

كما ان العراق قد عانى من ويلات الحرب العالمية الأولى الشيء الكثير، حيث كان خلال سنوات الحرب، ميداناً لمعارك حربية شملت معظم مساحة العراق، ناهيك عن تفسخ الجهاز الحكومي وفساده، وغلبة النزعة العشائرية والقيم البدوية.

ان هذه المرحلة من أشد المراحل تخلفاً «على الرغم من انها شهدت تأسيس أول مدرسة للبنات، وافتتاح أول شارع عام، وتكوين النوادي الأدبية والاجتماعية التي كان لها دور في مناصرة المسرح والايمان برسالته ومن هذه النوادي (الانتباه العربي) و (ندوة المقهى الحمراء) و (النادي العلمي الوطني) الذي أقدم على تمثيل رواية (وفاء العرب) لكن جمال باشا منعها وأوعز إلى مرتزقته ان يشهروا بالقائمين بها»(٣).

كما ان هذه المرحلة «شهدت قيام الحركة المشروطية في تموز ١٨٨٨ والتي تمثلت فيها اعادة الدستور، وصدور مراسيم أطلقت فيها حرية الكلام والطبع والاجتماع، وكذلك الغيت الرقابة، وأعلن العفو العام عن السجناء السياسيين، وكان لهذه الحركة تأثير واسع على وعي مواطني العراق، وخاصة الحواضر، إلى جانب ما كانت تلعبه الصحافة من أدوار على اختلاف منابرها»(٤).

في الفترة (١٩١٧ - ١٩٢٠) أصبح العراق كله تحت السيطرة الانكليزية، فقد أقامت بريطانيا في العراق نظاماً استعمارياً،كانت السلطة المطلقة فيه للقيادة العسكرية الانكليزية المحتلة، حيث تفرد بالحكم كل من (الجنرال مود) و (ارنولد ولسن) و (بريسي كوكس)، وخلال هذه الفترة حل محل الموظفين الاتراك السابقين، موظفون من الادارة الانكلو- هندية، واستبدلت العملة التركية بعملة جديدة، وأعيد تنسيق نظام الادارة والقضاء على الطراز الهندي، وتحول العراق إلى أحد أقاليم الهند البريطانية»(٥).

في هذه العقود الأربعة المثيرة من تاريخ العراق، بدأت البرجوازية تنمو في رحم الامبراطورية العثمانية، التي كانت تعيش أزمتها الأخيرة، وشمل هذا النمو العراق أيضاً، ولكن بوتيرة أضعف، ونهوض ابطأ، ومع نهضة البرجوازية «دخل المسرح تركيا، ومنه وفد إلى العراق. فقد زارت بغداد، وقامت بجولة في المحافظات الأخرى فرقة (آل طغرل بك) التركية عام ١٩١٠، وكررت زيارتها مرة أخرى بعد هذا التاريخ»(٦).

وعند دخول الانكليز إلى العراق، «استقدموا معهم فرقاً تمثيلية خاصة بهم، سرعان ما توجهت عروضها إلى عموم الجمهور، وكانت تسمى اجواقاً، وتقليداً لهذه الفرق، فقد عَمدت بعض المدارس الخاصة باليهود إلى تقديم عروضها المسرحية باللغة الانكليزية»(٧).

وأزاء هذه النشاطات المسرحية الاجنبية، التي لم تكن معروفة سابقاً، انبهر الشباب المثقف والمتنور من الطبقات الارستقراطية والبرجوازية الناهضة، لاسيما اولئك الذين درسوا في اسطنبول، «وقد تأثروا بمشاهدتهم للمسرح هناك»(٨). وكذلك من هؤلاء الشباب من زار مصر والشام التي شهدت برجوازيتها نهوضاً أبكر وأطلعوا على بواكير العروض المسرحية هناك، وحاولوا تقليدها، إلى جانب متابعتهم باعجاب نشاطات الجالية التبشيرية

الفرنسية، التي كانت تشجع مدارسها المسيحية في الموصل وبغداد للعناية بالفن المسرحي المدرسي لاغراض لا تنفصل عن مطامح فرنسا الكولونيالية، وهي تنتظر وفاة الرجل المريض (الامبراطورية العثمانية) لاقتطاع ولاية الموصل منها.

وكانت مدارس هذه الجاليات، تضم أيضاً طلاباً عراقيين من المسيحيين أثرت فيهم بهذا الشكل أو ذاك النهضة البرجوازية، وتأثيراتها في تأجيج المشاعر الوطنية والقومية التي عمت الشباب المثقف آنذاك.

وكما هو معروف ان «المسرحية التبشيرية، هي المسرحية الرائدة في العراق والتي وضعها القسس والمعلمون في المدارس، وكانت تدور في إطار الاحداث الدينية التاريخية المنتزعة من العهد القديم والعهد الجديد»[٩].

ويؤكد لويس شيخو ان الكلية اليسوعية في بيروت كانت السبّاقة في تقديم المسرحيات العربية «كانت كليتنا أول من سبق إلى تشخيص الروايات العربية التمثيلية سنة ١٨٨٢، فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقية ليرسخ في قلوب طلبتهم معَ حب الوطن، ذكرى تواريخ بلادهم، فمن جملة ما مثلوا (حكم هيرودوس على ولديه) و(استشهاد القديس جرجس) ورواية (صدقيا) ثم (داوود ويوناثان) ومما أقتبسوه من تاريخ العرب رواية (أبن السموأل) ورواية (المهلهل) و(شهداء نجران) و(نكبة البرامكة) و(اخوة الخنساء) وكاَن للطلبة في التأليف سهم واف، إلا ان معظمها بقلم الآباء، أو بعض اساتذة الكلية»[١٠].

وقد قدمت مسرحيات عراقية حول نفس المواضيع بسبب الترابط والعلاقات المذهبية، ووحدة المنهج فيما بين هذه المدارس التي تدار من مركز واحد «فقد قدمت مسرحية (جان دارك) عام ١٩٠٦ على مسرح القاصد الرسولي في الموصل، ومثّل الطلاب في مدرسة (السمنير في الموصل) مسرحية (الطيور الصغيرة) عام ١٩٠٨، ومسرحية (ماركسان) في السنة نفسها وقد ترجمها عن الفرنسية مترجمان لبنانيان، كما ترجم القس جرجس قندلا مسرحيتي (الطبيب رغماً عنه) و(الثري النبيل) لموليير عام ١٩٠٨ ومثلتا على مسرح المدرسة الكلدانية في الموصل»[١١].

لقد ساعد قيام الحركة المشروطية، أنبعاث الوعي القومي لدى الشباب العراقي المتنوّر، وتوفرت الاجواء في ظل الايام الأخيرة للامبراطورية العثمانية لانتعاش افكار التحرر الوطني من عسف واضطهاد وحكم السلاطين المطلق، وشكل هؤلاء الشباب العديد من النوادي الاجتماعية التي قدموا من خلالها محاولاتهم الأولى في المسرح العراقي، على نمط مشاهداتهم للاشكال المسرحية الوافدة، ومحاكاة لها، لكن بمضامين وأهداف سياسية منسجمة مع تطلعاتهم الجريئة آنذاك.

لقد ارتبط هذا المسرح الوافد من البداية بالوعي الوطني والقومي والسياسي للبرجوازية الفتية، ووُجِّه ضد الاحتلال العثماني، وقد حفظ لنا الأرشيف المسرحي، التابع لمركز الابحاث والدراسات المسرحية في العراق حوالي ثلاثين مسرحية كتبت خلال هذه العقود الأربعة، وقد منعت السلطات العثمانية العديد منها. «فقد أوعز جمال باشا إلى المرتزقة بايقاف عرض مسرحية (وفاء العرب) التي حاول النادي العلمي الوطني ان يمثلها بمناسبة قدوم الصحفي محمد رشيد رضا من لبنان، الذي كان مقرراً ان يلقي محاضرة على جمهور المسرحية خلال الاستراحة»(١٢). «ومنعت مسرحية (شهيد الدستور) من العرض لأمد غير معين ولموانع اقتضت ذلك، حسبما جاء في الاعلان الذي نشرته جريدة (الرقيب) في الاول من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هجرية»(١٣).

وخلال هذه العقود الأربعة لا تتوفر لحد الآن أية معلومات تشير إلى تشكيل فرق مسرحية أهلية خاصة، وما قدم من نشاطات فبواسطة المدارس والنوادي والتجمعات «التي تسترت بالنشاطات الاجتماعية والثقافية، وهي في جوهرها كانت تعمل من أجل اذكاء الروح الوطنية وتأجيجها ضد المحتلين، ان هذه النوادي لعبت دوراً في انعاش النشاط المسرحي الذي اتخذته سلاحاً في جهادها ضد الغزاة الانكليز وخاصة في بغداد ونينوى»(١٤).

وتكتب (مس بيل) رسالة إلى ابيها تذكر فيها انها حضرت مسرحية وطنية، قام بتمثيلها جماعة من الشباب الوطنيين، وتذكر كيف كان الحاضرون يصفقون كلما وردت كلمة (الاستقلال) أثناء التمثيل، وكيف انها التقت في الحفلة بأشد أعداء الانكليز، فصافحتهم بروح ودية»(١٥).

مما تقدم نخلص إلى ان المسرح الوافد إلى العراق بروافده المتعددة: التركية والفرنسية والانجليزية والعربية (سوريا ومصر)، نجح في خلق مناخ لنشوء مسرح النخبة، يعكس ايديولوجيتها الوطنية والقومية التحررية وهو مسرح بهوية سياسية سافرة منذ البداية.

وجمهور هذا المسرح، هم نخبة من شرائح اجتماعية متنورة وجديدة كانت في طليعة النضال التحرري من أجل الاستقلال وتحقيق الهوية القومية، انضم اليهم في وقت لاحق رجال الدين من مناوئي الاحتلال البريطاني الذين لعبوا دوراً هاماً في قيادة وتوجيه ثورة العشرين.

ظلت هذه النشاطات المسرحية هامشية وموسمية، محصورة بين جدران المدارس ومنتديات القلة من علية القوم، معزولة عن الطبقات الشعبية الواسعة التي لم تكن في متناول يدها غير فنونها الاصيلة المتوارثة (رواة السيّرة، والقصخون وطقوس الشيعة المهرجانية في عاشوراء والالعاب التي تجري في الاعراس والافراح والاسواق).

وبما ان المسرح السياسي، هو مسرح طبقي واسع وشعبي من حيث الجوهر، يعكس الطموح السياسي للجماهير وموقفها من الطبقة السائدة والفئات الحاكمة، فان هذا المسرح في ظل ظروف العراق آنذاك، اقتصر نشاطه المحدد على مراكز المدن الهامة بغداد والموصل والبصرة، حيث تشكل هذه المدن مراكز التجمع الاساسية للشرائح الاجتماعية المتنورة القليلة العدد بما لا يقاس إلى عدد سكان العراق من فقراء الفلاحين والكادحين والحرفيين والمعدمين لكنها فاعلة سياسياً وحتى هذه النشاطات المسرحية الضيقة لم تتوسع في المدن المذكورة إلى خارج مراكزها وجمهورها المحدد، ولم تتحول إلى ظاهرة شعبية في المدينة.

لقد كان للشعب فنونه الاصيلة (المناسبات الدينية وفنون الاسواق والافراح) التي يعبر من خلالها عن مشاعره ومواقفه ازاء الاحداث الهامة بشكل عفوي في أحيان كثيرة، فقد كان للشعر الشعبي و (الهوسة) كما هو معروف، دورٌ هامٌ في تحريك مشاعر الجماهير الفلاحية أثناء ثورة العشرين.

ان محدودية انتشار هذا المسرح، ومن ثم تراجعه فيما بعد يرتبط بهوية النخبة التي التزمته، النخبة الاجتماعية الناشئة والمتحركة وغير المتبلورة طبقياً.

وللدلالة على ذلك نشير إلى وثيقة تؤكد هذه الحقيقة، من خلال الكشف عن ان المساهمين في تقديم ما يمكن اعتباره أنضج محاولة مسرحية في إطار هذه الفترة من حيث التأليف والتمثيل، احتلوا فيما بعد مراكز رفيعة على صعيد اجهزة الدولة، والبعض منهم لعب دوراً يتعارض سياسياً وفكرياً مع طبيعة الدور الذي كان يقف وراء مشاركته في هذه المحاولة المسرحية الرائدة.

وتشير هذه الوثيقة التي نشرها مصطفى نور الدين الواعظ تحت عنوان (تمثيل الروايات لتغذية الثورة) ان مسرحية النعمان بن المنذر التي الفها الشاعر مهدي البصير والتي تعد أول عرض فني سياسي في العراق قد قام بتمثيلها «كل من السادة قاسم العلوي (محام) وعبد القادر صالح (مدير الحسابات العام) ومحمود خالص (عضو محكمة التمييز) ونجيب الراوي (وزير المعارف سابقاً) وابراهيم الواعظ (حاكم استئناف الموصل) وعلي غالب العزاوي (محام توفي رحمه الله) والحاج رؤوف الدهان (حاكم في محاكم العراق) وعبد العزيز ماجد (حاكم في محاكم العراق) وأحمد الراوي (مدير الخارجية العام) وعبد القادر جميل (رئيس محكمة استئناف الموصل) وحسن سامي التاتار (عضو محكمة التمييز) وطالب مشتاق (مدير البنك العربي) وجميل الراوي (مدير مدرسة الشرطة) وجميل رمزي (ضابط في الجيش توفي رحمه الله) وخير الدين خورشيد (ضابط في الجيش) وأمين خالص (مفتي اداري) وأنور النقشلي (مدير ادارة المجلس النيابي سابقاً) فمثلنا رواية (النعمان ابن

المنـذر) مرتين مرة لمنفعة مجلة اللسان والثانية لمنفعة المدرسة الاهلية (التفيض اليوم) وكان الدخل في كل مرة يتجاوز العشرة آلاف روبيه وكل هذه المبالغ كانت ترسل إلى الثوار في الجنوب»[17].

«ان العناوين التي الحقها مؤلف الكتاب (الروض الأزهر) بجوار اسماء الممثلين هي عناوين وظائفهم التي كانوا يشغلونها في اواخر الاربعينات من هذا القرن عند تأليفه لكتابه»[18].

بمعنى ان هذه النخبـة التي لعبت دوراً ثورياً في مرحلة التحـرر الـوطني من الاحتلال، هي ذاتها التي تسلمت فيما بعد أرفع المناصب في الدولة العراقية الحديثة التي كانت ترتبط بالاستعمـار البـريطاني باحلاف سياسية وعسكرية تؤمن تبعيتها الكلية لها، وأخذت تلعب هذه العناصر فيما بعد الدور الكابح في السلطة لحركة الجماهير ولمناضليه من أجل انجاز الاستقلال الحقيقي، والتحرر الوطني الكامل.

الهوامش والمراجع

(١) ١٨٨٠ تاريخ أقدم مخطوطة لمسرحيات عراقية (آدم وحواء، ويوسف الحسن، وطوبيا) تأليف الشماس حنا حبشي ١٨٨٠، عثر عليها كاتب البحث في مكتبة توما عزيزة في عام ١٩٦٦ واهداها إلى المركز الوثائقي للمسرح العراقي عام ١٩٦٩.

(٢) راجع (حكومات بغداد) عبد الحميد العلوجي ١٩٦٢.

(٣) (الحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ ـ ١٩٢١) أحمد فياض المفرجي مجلة ـ سينما ومسرح ـ العراقية ـ عدد/١ حزيران ١٩٨٢.

(٤) (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) د. علي الوردي ـ الجزء السادس/ ١٩٧٦.

(٥) راجع (العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب) نجدت فتحي صفوت، بيروت ١٩٦٩ و(حكومات بغداد).

(٦) (المسرحية العربية في العراق) علي الزبيدي ـ ص/ ٢٨.

(٧) (الحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ ـ ١٩٢١).

(٨) (المسرحية العربية في العراق).

(٩) (اثـر المسرح العربي على المسرح العراقي) د. عمر الطالب ـ القسم الأول ـ مجلة سينما ومسرح ـ العراقية العدد/ ١١ ايلول ١٩٧٤.

(١٠) (الآداب العربية في القرن التاسع عشر) لويس شيخو ـ ص/ ٢.

(١١) (اثر المسرح العربي على المسرح العراقي) القسم الأول.

(١٢) (الحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ ـ ١٩٢١).

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) راجع (خلق الملوك) مس بيل - ترجمة عبد الكريم الناصري - مكتبة النهضة، بيروت/ ١٩٧٣.

(١٦) (الحركة المسرحية في العراق) أحمد فياض المفرجي - بغداد ١٩٦٥ - ص/ ١٩.

(١٧) (الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر) مصطفى نور الدين الواعظ.

(١٨) (وثائق مسرحية) أحمد فياض المفرجي - مجلة - سينما ومسرح - العراقية العدد/ ١١ ايلول ١٩٧٤.



جان جينيه وحديث عن المسافة بين الأماني والواقع!

سمير سالم داود

في خريف عام ١٩٧٠ وصل جان جينيه إلى دمشق قادماً من الاردن، لم يمكث سوى أيام معدودة طلب بعدها بالحاح زيارة قواعد المقاومة المنتشرة آنذاك على طول الخط الفاصل مع قوات الاحتلال الاسرائيلية في مرتفعات الجولان، نفس الشيء كان يفعله دائماً حين يصل عمان قبل مجزرة ايلول، فور وصوله يسرع إلى الاغوار ليعيش عن قرب مع عالم «الفدائيين» تاركاً للزمن تسجيل الانطباعات والملاحظات بعيداً عن رتوش وبهارات اللقاءات الصحفية السريعة!

بعد اسبوعين، أو ربما أكثر ـ لا اذكر على وجه التحديد ـ امضاها جينيه بين قواعد المقاومة، عاد إلى دمشق في طريق عودته سراً إلى المناطق الشمالية في الاردن، يومها تقرر ـ ! ـ اللقاء معه للوقوف على حصيلة جولته الميدانية لغرض الاستفادة من انطباعاته عند تنظيم زيارات صحفية أخرى لهذه القواعد للتأكيد ـ اعلامياً! ـ أمام الرأي العام العربي والدولي، ان ما حدث في ايلول الاسود لم يكن سوى سحابة صيف عابرة!

ابدى جينيه دهشته من الطلب ـ هذا ما عرفناه فيما بعد! ـ ولم يوافق على الفكرة إلّا على مضض، دون ان ندري انه قد عقد العزم على «تدفعينا» ثمن اصرارنا «السمج» على اللقاء معه خلافاً لارادته الحقيقية!

كنا ثلاثة! يجمعنا العمل في اعلام أحد مكاتب المقاومة الفلسطينية. . . سوري ـ المترجم ـ كان على معرفة جيدة بجينيه بحكم دراسته في باريس. . وفلسطيني سبق ان

التقى مع جينيه مرات عديدة في الاغوار و. . . عراقي لم يلتق مع جينيه من قبل وكل ما كان يعرفه عن الرجل لا يزيد عن مواقفه الداعمة لنضال الشعب الفلسطيني وبعض التفاصيل عن حكايته «الفضائحية» المعروفة!

في الموعد المحدد تماماً وصل. . أو بالاحرى تسلل إلى المكتب بكل تواضع، وبشكل كنّا نعتقده آنذاك ـ آنذاك فقط؟! ـ عند التعامل مع «قادة» من الدرجة العاشرة!. . شدني اليه منذ البداية روحه الفتية، على الرغم من انه كان يومذاك قد جاوز عقده السادس، بنطلون جينز وسترة جلدية مثل أي شاب في العشرين من العمر!

باصرار غريب رفض الجلوس! كما لو انه كان ينوي اختصار اللقاء إلى أقصر وقت ممكن، وهو اصرار لم نفهم دواعيه في البداية طبعاً، نظراً لأنه لم يكن يخامرنا أدنى شك في اننا نتعامل مع جان جينيه معاملة الند للند! باعتبار ان الحكاية لا تعدو ان تكون في النهاية أكثر من مجرد لقاء بين ثلاثة من المثقفين العرب و. . مثقف فرنسي! وكم كان هذا الشعور مثيراً للشفقة خاصة ونحن كنا لا نزال نلعق جراح هزيمتنا المريرة في ايلول الاسود!

حين بدأ اللقاء الموعود وتأكد من الهدف ابتسم ـ استطيع الجزم الآن ان ابتسامته كانت تنطوي على قدر غير قليل من السخرية! ـ ندعوه لزيارة قواعدنا ثم نجلس بانتظار معرفة انطباعاته، كما لو ان الوصول إلى هذه القواعد صعب جداً أو لعجزنا الوقوف على طبيعة الواقع ـ واقعنا [illegible] ملاحظات الآخرين!!

حين سألناه [illegible] انطباعاته لغرض. . . قاطعنا بشيء من نفاد الصبر متسائلاً: عن توقعاتنا نحن حول حصيلة جولته؟!

في ذلك الزمن! يوم كنا نطرح اوهامنا بديلاً عن الوقائع الملموسة على الأرض ـ هل انتهى ذلك الزمن حقّاً؟! ـ بادره الفلسطيني ومن منطلق الاعتداد بالنفس وأعلن ـ بصيغة أقرب ما تكون إلى القرار! ـ ان الحصيلة هي بالتأكيد ايجابية و. . . .

قاطعه جينيه متسائلاً بمكر: لماذا تتصور الأمر على هذا النحو ياسيدي؟!

حين طال صمت صاحبي تدخلت محاولاً اعادة الكرة إلى الملعب الفرنسي! مؤكداً بحماس ان من الطبيعي ان تكون حصيلة جولته ايجابية انطلاقاً من حقيقة ـ ! ـ ان استمرار المقاومة وقدرتها على المواصلة بعد مجزرة ايلول لا يمكن ان يثيرا في النفس إلا مشاعر ايجابية دون أدنى شك!

تصورت ان ما قلته كان ضربة «معلم!» وتركني جينيه استمتع بهذا الشعور الساذج بضع لحظات قبل ان يرد: ذلك جانب واحد من الصورة، ماذا عن الجانب الآخر الذي ينبغي الآن التركيز عليه وتفحصه بصورة دقيقة؟!

تساءل قبل ان يضيف بأسىً واضح: كنت اتصور ان ما حدث في ايلول سيجعلكم

تبتعدون عن الاسراف في احلال تصوراتكم بديلاً عن الوقائع! ـ احاول ان أعكس جوهر ما قاله من حيث المعنى وليس حرفياً ـ ولكن يبدو انكم مازلتم تواصلون باصرار الاستمتاع بترديد «حلو» الكلام حتى لو كان لا يعبر عن الواقع! والمصيبة انكم تفعلون ذلك بنشوة من يمارس الجنس!

شعرت بالغيظ إلى حد الانفجار بعد ان تحولت مع صاحبي إلى مجرد «شيء ما» وتركنا جينيه لحظات قصيرة نستوعب هجومه العاصف قبل ان يعود للحديث مضيفاً بألم: كيف يمكن ان تكون حصيلة جولتي ايجابية بعد ان عشت بين مقاتلين يتطلعون في كل لحظة إلى عدوهم دون ان يتمكنوا من ان يفعلوا أي شيء؟ وما قيمة البنادق حين تتحول إلى مجرد عصي حديدية؟!... من قبل كانت ساعات النهار هي كل ما يفصل ما بين الرغبة وتحقيقها.. أما الآن لقد حاولوا ـ يقصد المقاتلين ـ اقناعي كما تفعلون الآن بان كل شيء تمام! وتحدثوا بحماس أكبر من حماسكم عن.. وعن.. وعن.. ولكني طالعت في عيونهم وتعابير وجوههم الحقيقة المرة التي تحاولون جعلها ايجابية بالقوة وخلافاً لارادتي!

هل تدركون لماذا تمارسون هذه اللعبة إلى حد الابداع أحياناً؟!

أجاب ـ بعد ان صرنا في وضع لم نعد نفكر فيه بالرد ـ تفعلون ذلك خوفاً من مواجهة اخطائكم.. وبدلاً من مناقشة الاسباب التي قادتكم إلى هذه النهاية تفضلون القفز إلى النتائج والبحث عن الذرائع المناسبة حتى لو أدى ذلك إلى «لَحْس» شعاراتكم التي كنتم إلى ما قبل اسابيع قليلة فقط تقدمون الشواهد والأدلة على صوابها وامكانية تحقيقها على أرض الواقع.. و..

لم تكن هذه الكلمات القاسية هي فقط ما ميز هذا اللقاء «التاريخي»! فالرجل لم يتركنا حتى بعد ان تحولنا إلى مجرد تلامذة صغار لا يملكون ازاء استاذهم سوى الارتباك والحيرة ـ هكذا كان يجب ان نتصرف منذ البداية! ـ وانما راح يتحدث عن ضرورة عدم محاكمة النتائج بمعزل عن الاسباب، أو الوقوع في خطيئة التقدير غير الصائب للمسافة بين الأماني والواقع.. بين الخطاب والفعل.. معيداً على اذهاننا ـ وبشكل ينطوي على التقريع ـ الابجديات الاولية للماركسية رغم انه لم يكن في يوم ما شيوعياً!

الهوامش

- ولد جان جينيه في باريس ١٩١٠ وعاش حياته في البداية ما بين التشرد والسجون قبل ان يكرس نفسه للابداع الفني بعد ان نظم جان بول سارتر وعدد من كبار المثقفين الفرنسيين حملة واسعة لاطلاق

سراحه.

- كتب عنه سارتر دراسة طويلة بعنوان: جان جينيه.. القديس الشهيد.
- اصدر جينيه العديد من الروايات منها «سيدة الورود» و «معجزة الوردة» و «يوميات سارق»... أما في المسرح فقد كتب... «الخادمات»، «الزنوج»، «الستائر»، «رقابة مشددة».. وقد قدمت العديد من أعماله مسرحياً وسينمائياً.
- عرف جينيه بمساندته لقضايا الشعوب المضطهدة.. عاش بين المقاتلين أيام حرب التحرير الجزائرية.. ساند نضال شعب فيتنام ودخل سراً إلى الولايات المتحدة الامريكية لتنظيم حملات الادانة للعدوان الامريكي ضد الشعب الفيتنامي.. ساند بقوة الشعب الفلسطيني وكفاحه البطولي وكتب العديد من الموضوعات حول الفترات التي امضاها بين قواعد المقاومة في الاغوار وجرش.
- كان من بين اوائل الذين دخلوا إلى مخيمي صبرا وشاتيلا بعد مجزرة ايلول عام ١٩٨٢ وكتب شهادته عن تلك المجزرة المروعة في مجلة الدراسات الفلسطينية الصادرة باللغة الفرنسية.
- توفي جان جينيه في باريس نيسان عام ١٩٨٦.



ماذا يحدث في بطرسبورغ

ماركلا بوجيو وفرانكوكومو ترجمة ـ هلال حميد

مشهد من مسرحية بعنوان (الرفيق غرامشي)، من تأليف ماركلا بوجيو، و فرانكو كومو. عرضت عام ١٩٧٢ على مسرح (أضواء المسرح) في بولونيا وقام باخراجها بوجيو نفسه. ومن خلال اعادة البناء المسرحي لحياة أنطونيو غرامشي، تقدم هذه المسرحية بانوراما مركبة للمجتمع الايطالي عشية وخلال هيمنة الفاشية.

(غرامشي في زنزانة. حوله ظلام. . ظلامٌ مخيف يساعد فيما بعد، عندما يأخذ الضوء بالانتشار، في عرض الاحداث والشخوص التي تسترجعها ذكريات غرامشي المضطربة. تلك الذكريات تجره بين حين وآخر الى دوامتها ـ تعاقب في الشخصيات، طفرات في الزمان والمكان، تقلبات في الظروف والمحيط ـ.

لهذا فان زنزانة غرامشي ستكون الموضوع الاساسي للاحداث بغض النظر عما تحتويه، حيث انها يمكن ان تحتوي على حاجيات بسيطة ـ سرير قابل للطي، طاولة، بعض الكراسي ـ من البساطة بحيث يمكن استخدامها في أي مشهد وحدث كان.

كل شيء الآن في غاية الفوضى، أشبه بكابوس الذكريات التي تتراكم فوق بعضها في ذهن السجين ـ أصوات مبعثرة، هيجان، ضجيج.

ظلال تتحرك عند حافة الضوء. غرامشي يجلس ماسكا رأسه بين يديه. الزنزانة تدوي بالاصداء).

(أصوات)

ـ ماذا يحدث في بطرسبورغ؟.

ـ ماذا حدث في روسيا؟.

ـ ثورة ـ ثورة.

ـ ثورة ـ في ايطاليا كما في روسيا ـ ثورة.

ـ ماذا حدث في روسيا؟.

ـ ثورة ـ ثورة فرنسية.

(صرخة بمثابة سؤال)

ـ ماذا يحدث في بطرسبورغ؟.

(جواب بموازاة السؤال)

ـ ثورة فرنسية.

(في هذه الاثناء، يظهر من الظلام، حشد من العمال يتجمع حول غرامشي، الذي لايزال جالسا ورأسه بين يديه)

غرامشي ـ عام ١٩١١ ـ ١٩١٤ ـ ١٩١٧ في تورينو، كان لايزال من السهل الاعتقاد بامكانية العمل في ايطاليا على غرار روسيا.

. . . .

ـ ثورة ـ الآن هنا.

ـ ماذا يحدث في بطرسبورغ؟.

ـ ثورة فرنسية.

غرامشي ـ لا ليست فرنسية. يجب مناقضة تأويل البرجوازية بتأويل اشتراكي للاحداث. (ينهض الآن من بين الآخرين. يحاول ان يخاطب الحشد) باغتنامهم لِشحة الاخبار، قام البرجوازيون باختلاق التماثل. ففي صحفهم يزعمونَ المقارنة بين الثورتين، لآن الاحداث تتشابه ـ لكن الثورة الروسية ليست هي الثورة الفرنسية. هم ـ في صحفهم، يقولون لنا أن سلطة القيصر الاوتقراطية قد أستعيض عنها بسلطة لاتعرف هويتها بعد، هذا كل مافي الأمر، وأنهم يأملون أن تكون برجوازية ـ لهذا اختلقوا التماثل بين روسيا وفرنسا ـ فهم يخطئون. ان الثورة الروسية ليست حدثا فحسب. انها فعل بروليتاري. وأنا موقن ـ علينا أن نكون موقنين ـ بأن النظام الوحيد الذي سينبثق هو النظام الاشتراكي.

صوت ـ ههنا في الحال ـ ثورة.

غرامشي ـ الثـورة لاترتجل. تريثوا. من يشأ الغاية عليه مشيئة الوسيلة. تريثوا ـ تورينو في حالة حصار.

(يتعـاظم هيجان الحشد. لايصغون إليه حماساتهم تغلب غرامشي.
خطابات مرتجلة تعارض موضوعات غرامشي وتريثه).

الخطيب الأول ـ الشعب في عجلة من أمره.

الخطيب الثاني ـ من الافضل خسارة خمسمائة من جماعتنا، في النضال من أجل قضية الشغيلة، على خسارة عشرة آلاف ضد الالمان في الجّبهة، لمصلحة البرجوازية.

غرامشي ـ الجنود سيطلقون النار عليكم.

الخطيب الأول ـ الجنود بروليتاريون ـ انهم معنا.

غرامشي ـ ليس صحيحاً ـ فالبرجوازيون أقنعوا الجنود بأن الثورة قد نظمها الالمان للانتصار في الحرب ـ احذروا.

الخطيب الثاني ـ الجنود سيتآخون مع الثوار.

غرامشي ـ تورينـو محـاصـرة بفوج ساسرّي. كل سقف أصبح عشا للرشاشات. حاصروا الطرق بالمدافع. وأمام كل مدخل دورية.

. . . .

الخطيب الثاني ـ الجنود سيتآخون. . . . .

(صلية رشاش. صرخة. الحشد يتفكك. غرامشي وحيد في الزنزانة، رأسه بين يديه، كما في البدء)

غرامشي ـ أي ثوري أنا، اذ احول الثورة إلى عملية حسابية مجردة؟. أي ثوري أنا حيال أولئك الموتى؟. (يدخل جنود مسلحون) فوج ساسرّي ـ جميعهم ساردينيون، موتى من الجوع، أتوا ليقتلوا موتى آخرين من الجوع. (يكلم احد الجنود) أتيتم لتفعلوا ماذا في تورينو؟.

الجندي الأول ـ لقتل السادة.

غرامشي ـ أي سادة؟.

الجندي الأول ـ السادة الذين يقومون بالاضراب.

غرامشي ـ السادة لايضربون. أولئك هم عمال.

الجندي الأول ـ ههنا الجميع سادة. عندهم نقود.

الجندي الثاني ـ عندهم نقود ويضربون.

غرامشي ـ ولماذا يضربون؟.

الجندي الثاني ـ لأنهم يريدون المزيد منها.

الجندي الأول ـ بينما نحن في ساردينيا نعاني الجوع.

غرامشي ـ العمال ناس فقراء ـ حيثما وجدوا.

الجندي الأول ـ الفقراء في ساسرّى. أنا أعرف الفقراء. ان هؤلاء سكنة اليابسة يضعون الياقة والرباط ويكسبون ثلاثين ليرة في اليوم.

الجندي الثاني ـ أنا لا أحصل على الثلاثين ليرة حتى في شهر.

الجنـدي الاول ـ (الى غرامشي) أنت من ساردينيا ـ مثلي. ولكن هل رأيتهم في ساسرّى ـ في نوورو، كيف يلبس الفقراء الحقيقيون؟. يكسبون ليرة واحدة ونصف، في اليوم ـ ليرة ونصف.

. . . .

غرامشي ـ ماذا تعمل في ساردينيا؟.

الجندي الأول ـ أنا؟ ـ لاشيء. أي عمل ألقاه.

غرامشي ـ (للآخر) وأنت؟.

الجندي الثاني ـ أنا أعمل في المنجم. في مقالع سيداس مودرنس. احدى عشرة ساعـة عمل في اليوم. من السادسة صباحاً وحتى الخامسة مساءً دون توقف حتى وقت الغذاء. ان قطعة الخبز الاسمر الصغيرة تلك، كُنا نأكلها ونحن مستمرون في الحفر، ولا يعرف ان كان أسمر لأنه أسمر بسبب حجر التوتياء.

الجندي الأول ـ كان أبي عامل منجم. عندما مات كان بصاقه أسود. أنا، الخدمة العسكرية ماكان عليّ حتى أداؤها، لأني أتحمل عبء الاسرة بكاملها. ولكن بما أني كنت عاطلا عن العمل، فقد كان عليّ ان أكون اما في الجبهة أو في البيت ـ قالوا لي، الامر سيان، فأرسلوني الى الجبهة.

الجندي الثاني ـ أنا أيضاً ماكان عليّ المجيء الى هنا، لأن بصاقي أسود مثل أبيك. لكن الطبيب قال لي انه هكذا لأني أشرب وأثمل ـ وهكذا، أعطاني دواء الكينين، فكدت ان أصاب بالجنون وارسلني إلى الجبهة. . . . . . . أنت من ساردينيا ـ وتقول، ان هؤلاء سادة تورينو فقراء. فأي سارديني تكون؟.

غرامشي ـ سارديني ـ مثلك.

الجندي الأول ـ ولكن هل رأيتهم في حياتك أنت، كيف يلبس الفقراء الحقيقيون؟.

غرامشي ـ حتى أنا فقير.

الجندي الأول ـ كيف؟ ـ لأنك سارديني فأنت فقير.

غرامشي ـ قل لي اذن ـ لو أني غدا، أقوم بالاضراب مع الآخرين، فما تفعل أنت؟. أتطلق النار عليّ؟.

الجندي الأول ـ (بتردد) ما شأنك أنت بهم؟. أنت ساردينيي.

غرامشي ـ واذا قمت بالاضراب معهم؟.

الجندي الأول ـ اذا تقوم بالاضراب معهم، (بشيء من التعاطف، وهو يتقهقر للخروج) ابق في البيت.

الجندي الثاني ـ اسمع لي أنا ـ ابق في البيت.

الجندي الأول ـ أفضل.

(يتقهقر الجنود فيخرجون. غرامشي وحيدا في الزنزانة).



- جلاس المقاعد الامامية -

د. حسان عاكف

منذ اسبوعين وهو ينتظر هذه اللحظات بشوق وتحرق. انشغل طيلة النهار باستكمال مفردات زينته ومكياجه وأكسسواره: أمضى ساعتين تحت موس الحلاق وأدوات التجفيف والسشوار. صبغ الحذاء الذي استعاره من زميله. بدل شريط الساعة الجلدي بآخر معدني، وعاد ببدلة قيافته العسكرية من محلات الكوي والتنظيف. ارتدى البدلة، عدل كتافياتها وأكمامها، تحسس طياتها وازرارها وهو يتحرك ويتبختر أمام المرآة. فرح طفولي غمر قلبه عندما بدت له جديدة ومتناسقة مع جسمه، رغم إنه اشتراها منذ خمس سنوات، ربما لأنه لم يلبسها سوى في ثلاث مناسبات سابقة. لم يعبأ كثيراً برائحة البنزين المنبعثة منها، وقدر ان عطر «البروت» المبتاع لمثل هذه المناسبات بديلاً عن قناني ماء الورد التي توارث استخدامها عن أبيه ستغطي على رائحة البنزين. رش وجهه وكفيه وكتافيات البدلة برذاذ «البروت»، تردد للحظات ثم راح يرذذ أبطيه وقفاه. وللمرة الأخيرة تساءل: «هل اذهب بالملابس المدنية أم ببدلة القيافة العسكرية؟». شعر بالامتعاض حين خيل له انه سمع صوت زميله عادل ينصحه بالصحو من غفلته والتخلي عن فكرته الساذجة!. حسم الأمر بشكل لا عودة عنه «سأذهب بالملابس العسكرية، لسبب بسيط هو اني لا أملك أفضل منها بين ملابسي المدنية»، ثم ان الحفل يقام بمناسبة مرور عام على توقف المعارك في الحرب «التي كان لي شرف المساهمة في جبهاتها الامامية سنين طوال». مرة أخرى ترذذ

من عطر المناسبات المفضل. نظر إلى المرآة وغمز مبتسماً، ثم توجه نحو باب الغرفة وهو يدندن: «جندينا أبو التحرير جندينا. . .».

غادر البيت قبل موعد الحفلة بوقت طويل، استقل الباص العمومي، وزادت شدة الازدحام فيه من قلقه على نظافة البدلة وطياتها، بعد ساعتين من التنقل بين ثلاثة باصات وجد نفسه أمام المبنى الضخم المخصص للاحتفال. ما زال هناك متسع من الوقت، لكن لا بأس من الدخول مبكراً وحجز مكان في مقدمة القاعة، فالدعوة عامة ويمكنك إختيار المكان الذي ترغب. دخل القاعة وجدها شبه خالية. تقدم ببطء نحو المقاعد الامامية. شعر بالارتباك وتسارع نبضه حين تخيل نفسه جالساً في الصف الأول. فكر للحظات واختار مقعداً في الصف الرابع، فذلك أفضل وأهدأ ويجنبه نظرات الآخرين وفضول عدسات التلفزيون التي لابد انها ستتركز على جلاس الصف الأول، رغم رغبته وحرصه على ظهور صورته على الشاشة الصغيرة ومشاهدة زملائه لها، خصوصاً المناكد عادل «الذي لا أحد يعرف ماذا يريد، ولا هو بعارف ما الذي يرضيه». ضحك من نفسه حين تنبه انه حاول نفض المقعد قبل الجلوس عليه «هل تظنه مقعد (زيل) أيها المغفل، تمعنه جيداً مخمله القرمزي أنعم من وجهك وأنظف من وجه جدك». خلع بيريته، وضعها على ركبته، أفرد أصابعه وراح يعيد ترتيب شعره وتصفيفه.

جال بنظره في أرجاء القاعة، مجاميع المدعوين تتوافد كاسراب طيور ملونة وتنثر ألوان الطيف وعطر الياسمين على المقاعد، بهرته الألوان والانوار وأدهشته لوحات الديكور الفخمة وبراعة تصميمها. «آه ما أجمل ان يكون المرء من جلاس المقاعد الأمامية في مثل هذه القاعات الفارهة» خاطب نفسه، وحين رنا بانتباه إلى الوجوه المحيطة به إنتابه شعور غريب وخيل له انه يقلب صفحات «نجوم المجتمع» في المجلات المصرية واللبنانية. إنتبه حين لاحظ واحدة من أولئك الفاتنات اللائي يعلقن الأشرطة الحمراء على صدورهن تتوجه نحوه وابتسامة آسرة على شفتيها الورديتين «اتحداك ياعادل واتحدى فاتنات السينما إن كن في جمالها». إعتذرت منه بهدوء وقدمت له القرنفلة التي كانت تحملها. لم يذهب به التفكير كما يفترض ان يحصل لشاب في سنه يُفاجَأ بموقف كهذا «لابد ان منظمي الحفل أوجدوا هذا التقليد لتكريمنا نحن الذين اعطينا الكثير لصنع لحظات الفرح هذه». لم تمهله ليشكرها، وبصوت دافىء خجول طلبت منه التخلي عن مقعده للرجل الواقف إلى جانبها واختيار مقعد بديل في مؤخرة القاعة. أحس بصفعة موجعة على قفاه جعلته يصحو ويفقد توازنه في ذات الوقت. شعر بما هو أكثر من الانزعاج، شعر بالخذلان والمهانة، إلا انه تمالك نفسه، ولملم شتات جرأته معتذراً عن عدم استعداده للتجاوب مع ما طلب منه. أخبر ذات الشريط الأحمر انه تعمد المجيء مبكراً للحصول على مكان في المقاعد

الامامية، وهناك مقاعد عديدة يمكن ان يختار الرجل أحدها. لم تغير الفاتنة من سحر لباقتها: «عفواً، كل ما تقوله صحيح، ولكن هل يرضيك جلوس سيادة العميد في المقاعد الخلفية». تهاوت حججه، وتبعثرت كلماته، وغشيت وجهه سحابة من الضيق والانكسار، وأحس بجيوش النمل تغزو جسده، ودارت جدران القاعة وتداخلت مع سقفها، واختلط طيف أسراب الطيور مع هالة شرائط الزينة المعلقة على الجدران، واختزلت جميع الألوان بلون كان يبدو قاتماً تارة وباهتاً تارة أخرى. ووسط هذه العتمة قفزت صورة زميله عادل فاقعة مستفزة وجاء استخفافه فاقعاً هو الآخر «لم تسمع نصيحتي، هذه الحفلات لأهلها. وأنت لست من سمارها». شعر بثقل كبير على صدره، واختلطت رائحة البنزين النفاذة المنبعثة من البدلة برائحة العرق المتصبب من جسمه، وبجهد غير يسير، ودون ان يكلف نفسه عناء التطلع في وجه العميد، كبح انفعالاته وجاء صوته مخنوقاً متقطعاً: «إن كانت هناك حاجة للاعتذار فأنا من يجب ان يعتذر، كان عليّ ان أدرك منذ البداية اننا لسنا في جبهة قتال حتى أفكر بمكان لي في الصفوف الأمامية، في الجبهة نحن في الصفوف الأولى، أما هنا فانتم من ينبغي ان يكون في المقدمة».

وبدون ان يعرف كيف غادر القاعة أو يتنبه لموسيقى «اعراس النصر» ولألعاب «الفرح» النارية وأسهم الوردية التي كانت تملأ سماء المنطقة، وجد نفسه يركض للحاق بالباص الذي كَ . ـب في الطرف الآخر من الشارع.

ايلول/ ١٩٨٩

خريف المحبة

منعم الفقير

الخيانة لم تعد موجعة
من أية جهة تجيء.

الشاعر الروسي يسينن.

«خريف المحبة»

لقد
تساقط الاصدقاء
من شجرة الصداقة
وها أنا ذا
أمضي خريف المحبة
بكل
ما في الخوف من فرح.

«عزلة»

على
تلة بعيدة
بعيدة جداً

سأبني كوخا
وسأحكم بناءه

وسأدع
في أحد جدرانه
كوة صغيرة جداً

ليتسلل
منها ضيوفي.

«الصمت»

اريد
ان ألزم الصمت
وأدير ظهري إلى الثرثرة

اريد
أن أمنح البحر فمي

وأنتظر
حتى يغدو
جزءاً منه.

«ملوحة»

لقد
نسيت (ملوحة)

القبلة الأولى

وها أنا ذا
أضغط على البحر
بين شفتي.

«جفاف قلب»

أخيراً
ستجف ياقلبي المغرور
وستغدو
كتلة
لحم
تثقل صدري.

(. . . .)

الليل
يتداعى عند النافذة
الشمعة
تدفع بما لديها من ضوء.
القلم
يتأوه
الكلمات العابثة
تلتهم صفاء الورقة.

«وجع النظر»

أطوف بنظري
من مكان إلى آخر
أطوف
به

الاغصان
تتشح بثياب الحداد
ربما
على يوم انقضى.

أحلق بنظري
بعيدا، بعيدا
لعله يحط على تلك النافذة
التي تلهث عبر اسوارها الزجاجية
ألسنة الشموع.

(. . . .)

ابعدي عني
ايتها الطبيعة

باشجارك، بحارك،
وناسك، قادة ومقادين.

لكي
أختلس لحظة واحدة
من وجودي. . .

«رغبة محمومة»

أنا
لم أزل كما أنا

محموم الرغبة
بالنط في الحقول

واللعب
في البرك والاوحال

وقضاء نهاري
في ملاحقة فراشة .

«وجود الشجرة»

صدقيني
ايتها الشجرة

أن وجودك ،
أفضل من وجودي .

اذ لا شجرة
(مهما علت أو انحطت)
تستطيع أن
تحجب عنك الربيع .

«اقتراح صباحي»

المرآة
تقترح علي وجهي
فأقبل
على مضض
هذا الاقتراح .

خريف كوبن هاكن ١٩٨٩

جدارية
أسفار

صلاح الحمداني

رأيت

مواعيد لاتفارق الذاكرة، قبراتٍ مثقلة بحزمات حزن تختبىء تحت اكوام معاطف جنود مهشمين. . . رأيت كذلك حكايات منسية في جيوبي، حانوت معسكرات الرشيد العفن، ساحة التعداد الغريقة، عريف حضيرتي الجنوبي، ضابط المعسكر الفاشي وعواصف تغلي تنتظر على عتبة دار. . .

رأيت

جراحاً متفتقة تزحف ببطء تبتلع بغداد. . . رأيت نفسي في مرآة وشعراء مهملين تحت مطر، عباءات، قطارات، مظلات، هموم وسهر . . . رأيت امي تحت ضوء قمر شهريار تغرف بفوطتها اجنحة فخات ممزقة برصاص الحرب، مقتولة وخارطة الوطن - الشهادة، ووجعاً يغص في ضحى. . . رأيت صداما مذبوحاً وناسا يرقصون رقصة الغدر ويموتون. . .

رأيت

جثثا متروكة في مقبرة، وهموماً ترتدي اجيالا لاتورق من أرصفة تائهة مثلهم في

مدن عصرية، ماء متحجرا وسط صحراء، نصيرا يضع رأسه في فوهة مدفع هاون ويضحك، نخيلاً يمد الاعناق، يستقصي تموز، ومحتضراً يقرأ وصية. . . رأيت ملاحا يقصقص خارطة بالية في جزيرة نائية تطفو في غرفتي ويشتم، حمامات وكلمات عن الحب والسلام موشومة في جلود رجال، مدبوغة، ملقاة على اسلاك حدود، وعجوزاً تحتضن بذلة شهيد تحاور جمرا في «منقلة»، كاتبا مشنوقا في أجيال، وابتسامات نسوة يجلدهن قانون الله يدهن احذية عسكر.

جهوداً ضائعة في صحف قديمة

واشلاء مقاتلين مبعثرة فوق ورق. . .

رأيت

بحارا ينتحب فوق رصيف ميناء وكاهنا يرمي بنفسه من سطح كنيسة، صياداً ملتحياً يضع البحر خلفه مع قليل من شمس ما، على دراجة بخارية يتجه صوب فناء. . . رأيت مزارعاً يعرض زوجته البسيطة على زوار لايعرفون لغة الجوع وملاحا في عتمة يرطم رأسه بفنار مهجور، جنوداً يلعقون اعمارهم على حيطان جرداء شامخة في خواء.

لعناتي تغرق روزنامة ١٩٨٧

الحرب دخلت عامها السابع. . .

رأيت

— كتابا وقصائد لشعراء منفى، تبعثرت بمحاذاة مقبرة مراكب، وكلمات رسامين ورجال سياسة تطاردها كلاب.

ماذا يعني ان يموت الرجال في وقت مبكر؟

أو عصفور يحلق توا من دفتر مبلل فوق سطح دار، يحمل بمنقاره لغات عن الثورة، يهاجر بها عبر بحار ليرميها فوق قبر يمتد في عراء.

اشترطت على نفسي غرف الطوفانات ولملمت الابدان المرتجفة في عزلة شتاءات. نعم، سأنشد للغائبين والذاهبين صوب النخيل المغرق بالدماء، مافاتني يوم زغاريد سقوط الفاشية، وما جفلتني سحابة تسقط في كأس أو موعد في علبة تصفر الآن فيها الريح، وما تركني ضيم متعفن في الذاكرة.

ماذا يحدد الخوف يا صديقي؟

هو أن تأخذ مطرقة تهشم بها مرآة، ترصد شارع. خال هذا الرواق، وشظايا المرآة

لاتعكس الرجولة، الا بعض هموم شيخوخة وعطش يزداد ظمأ وحماقات طفولة.

هو ان تطارد كلمات وأنفاسا تحمل معنى عودة، تحمل عصا ومشاوير لملاحقة الدم المتقيح بين معاني اللغة.

هو أن تطعن الارق، أن تأخذ الحدود مرات عديدة تربط بها الانهر كي لاتهرب من العراق.

هو ان تطارد طيور «اوتنابشتم» العمياء التي مازالت تبحث عن يابسة. مات كلكامش وبقي سهر انكيدو والحراس اللّيليين النبلاء.. هو الخوف يا صديقي ان تأخذ متراسات تعبىء الرؤوس وانتظار الغرباء وتقذف بهما بعيدا، وراء المرايا والمحيطات.

أعزل هذا الشعور، تكلست فوقه الايام العجاف
ارصد نفسي والصحف، أعوي صباحات مشلولة
لاتحمل معنى انسانيا...

املك حق المشاركة مع هذه الجثث المتباعدة الاوصال.. ماذا اقرأ هذا النهار؟
ماذا قرأت ليلة البارحة؟ حرب الشوارع تنتظر/ ليكن!!

الحدود المكتظة بالاموات، نسور جارحة تقتفي وعر الجبال وشبابا يرتدون الرياح لم تهزمهم المدن..

تملك حق المشاركة حتى لو كنت منفيا تلتقط كفن عزلتك بين الاسنان، تتهجى مقتلك بين سطور الاخبار...

لك حق الاطياف والعودة مع الرجال.
حق لك الارض
حق لك الخوف
حق لك القتل برؤية الفاشيين مفجوعين كلٌ ملتصقٌ بقبره!!



قصائد كردية حديثة

شعر: حمه سعيد حسن　　ترجمة: سامي شورش

(١) التمثال

بالامس . . .
وفي الساعة الرابعة عصراً حسب توقيت صدام،
تفقد الرئيس صدام
في زيارة عاجلة، مدينة الرئيس صدام،
وهناك في محلة صدام
عند ساحة صدام بالذات،
وبعد القائه خطبة تأريخية مطولة
ازاح الستار
عن تمثال شامخ للرئيس صدام.

(٢) بكائية

من على بعد آلاف الاميال عن كردستان ،
إذا ما تيقنت
ان زهرة سيمائي الحمراء . .
سوف لا تذبل بعودتي ،
لعدوت حافياً . .
واحتضنت الطرق عشقاً
حتى مدينة شارزوري .

* * *

ما برحت عيناي تنزّان العمى
اشوقاً لاحضان مدينتي الطافحة بدفء الامومة ـ السليمانية
ها . . تدحرج رأسي المقلوع
وسقط عند أقدامي .

* * *

كأم ثكلى بوحيدها
أسمع لفحة نيران الوجد في قلبي
لمدينتي المختنقة في عواصف الغاز ،
وكطير ضاع منه الصغار . .
يؤرقني الجنون لعشي المهدّم ، .
ويعتصر النشيج عروقي . .
فيما دموعي المهطال لا تعرف برهة راحة
لشعبي المطارد ،
لشعبي المعتقل بين اسوار الموت
لشعبي المباد كأسراب الجراد
على مرأى من العالم .

(٣) نشيد اليأس

صدره . . زوادة أخبار مؤلمة ،
ومقلتاه . . مدامع ،
عش عصافير حزن . . قلبه ،
واعماقه . . بركان هائج ،
منبع الحسرة والآهات . . حنجرته ،
وروحه . . بحر رماد لا متناه ،
ومأكله . . الألم
لكردستانه الممدودة تحت حدّ السكاكين ،
ولشعبه الكردي المنتظر تحت ظلال اللهيب
حبال المشانق .

* * *

ضباب هلاميّ . . هو مصيره ،
محيّاه غريب ، وارديته الاسى ،
يجوب الارجاء مشرداً وتائهاً
فرحاً بأصفاد الغربة ،
نهاراته ليلٌ . . ولياليه ليلاء ،
لقد أضاع البرجوازيون حياته سدىً ،
وعيونه
قد انطفأت من شدة التطلع
والبحث عن شعاع الأمل .

يانكي/ فيلم جديد

لا يمكن لمن يزور مدينة كييف في جمهورية اوكرانيا الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي حيث توجد أكبر ثاني استوديوهات السينما هناك بعد موسفيلم وهي ستوديوهات دوفجينكو، إلا ان يلتقي حقاً مع المخرج الاوكراني الموهوب ذي الخيال الخصب والنشاط المتفجر فيكتور غريس، الذي يدهش المتحدث اليه بحيويته وسرعة بديهيته وذكائه المتقد وتواضعه الكبير. هذا الفنان كنز من المعلومات والأفكار فهو قادر على افتان المقابل بكل شيء يملكه بصوته الطفولي وحركاته العصبية وتعابير يديه ووجهه وبالطبع بمواضيعه الفنية والثقافية. ففي لقاء واحد خلال ساعة من الزمن يستطيع ان يتحدث عن عشرة سيناريوهات ومشاريع جاهزة للتنفيذ في رأسه. ومن امنياته العزيزة على نفسه هو ان يتمكن يوماً من تحويل ملحمة جلجامش إلى السينما برؤية خلاقة جديدة.

ولد المخرج فيكتور غريس عام ١٩٣٩ لكنه يبدو حتى اليوم شاباً رغم اعوامه الخمسين. درس السينما في معهد الدولة للسينما في موسكو «فغيك» وتخرج عام ١٩٦٧ وكان عنوان فيلم التخرج القصير (من الذي سيموت اليوم). اخرج عام ١٩٦٩ فيلماً تلفزيونياً بعنوان (المطر الأعمى) وهو فيلم روائي قصير أيضاً حصل عنه على الجائزة الذهبية الأولى في مهرجان الافلام التلفزيونية في مونت كارلو وجائزة لجنة التحكيم الخاصة في المهرجان الفيدرالي للافلام التلفزيونية في لينينغراد عام ١٩٦٩. كما اخرج فيلماً قصيراً آخر بعنوان (الازرق والاخضر) عام ١٩٧١. يعتبر المخرج اعماله هذه محاولات تجريبية أو تطبيقية لصقل موهبته واكسابه الخبرة العملية الضرورية للانطلاق في عالم الافلام الروائية الطويلة. اعطيت له الفرصة الأولى عام ١٩٨١ لاخراج أول افلامه الروائية الطويلة وكان بعنوان (الدجاجة السوداء) أو (سكان الاقبية) فاز هذا الفيلم بالجائزة الكبرى في مهرجان موسكو الدولي في تظاهرة افلام الاطفال والمراهقين عام ١٩٨١ وكذلك الجائزة الكبرى للمهرجان الفيدرالي في فيلنوس للافلام المؤجهة للشباب عام ١٩٨١ وجائزة تقديرية خاصة لفريق الفيلم عن النوعية الراقية وثراء الاخراج والاتقان الفني والتقني وذلك في اللقاء الدولي للافلام الاولى لمخرجيها (أول فيلم طويل في حياة المخرج) للسينما

المستقلة في تور عام ١٩٨٣ كما عرض جماهيرياً في صالة كوزموس الباريسية المتخصصة بعرض الافلام السوفييتية وكان الاقبال الجماهيري عليه شديداً كما أشاد به النقاد الفرنسيون كثيراً.

الفيلم عبارة عن قصيدة شعرية رقيقة عن الحياة الداخلية لطفل فائق الحساسية في احدى المدارس الداخلية ومحاولة هروبه من قسوة المعاملة الخشنة التي يتلقاها في المدرسة من خلال التجائه للخيال والحلم حيث يتخيل دجاجته السوداء السحرية تمتلك قدرات هائلة لا محدودة تعطيها له مثل الذكاء والذاكرة غير المحدودة وامكانية الاجابة على أي سؤال وحل أية معضلة.

لعلّ أهم ما يميز هذا الفيلم هو معالجته الاخراجية إلى جانب مضمونه الجميل ففيه رؤية إخراجية جديدة ومتطورة جداً بالنسبة لمجمل الانتاج السينمائي السوفييتي العام عدا استثناءات قليلة بالطبع. لقد كان المخرج جريئاً في كل لقطة ومشهد نفذه بمهارة خارقة رغم نقص أو قلة الامكانيات والخبرات المتوفرة (كان أول افلامه الطويلة) إلى جانب رداءة الفيلم الخام المتوفر آنذاك وقِدَم الوسائل التقنية لتنفيذ المؤثرات والحيل السينمائية التي لم تسعفه في تنفيذ سوى ٣٥٪ مما كان يتمنى أو يرغب في تنفيذه حسب تصريحه لنا. ومع ذلك جاء الفيلم جميلاً جداً أخاذاً يشد المشاهد وساحراً للغاية خصوصاً بالنسبة للاطفال.

منذ أول لقطة ـ مشهد ترافلنغ بانورامي طويل جداً لم يشهد له تاريخ السينما المعاصرة مثيلاً، نفذ بطريقة الكاميرا المحمولة على الكتف نلمح ونتلمس في هذا الفيلم بدايات اسلوب المخرج ونتوقع ما سيكون عليه في افلامه القادمة مثل شغفه في إدارة المجاميع في حركة كاليغرافية مذهلة وسيطرة تامة من الناحية الشكلية والتكوينية على هذه المجاميع (الكومبارس) وتوزيعها توزيعاً هندسياً متقناً مع تدعيم المشاهد بالمؤثرات الصوتية والموسيقية المناسبة لاضفاء بُعدٍ غنائي فريد عليها.

على الرغم من كل هذه البدايات الموفقة التي اثبتت بلا لبس أو شك قدرة المخرج الفنية وموهبته الفذة ونجاحه على الصعيدين الجماهيري والفني إلا انه أثار الهلع في نفوس المسؤولين القدامى على جهاز السينما السوفييتية وجعلهم يترددون في منحه فرصاً أخرى خوفاً من خلق تاركوفسكي آخر أو باردجانوف آخر واضطر المخرج إلى الانتظار ثمانية أعوام أخرى قبل الانفتاح الأخير الذي حصل منذ عام ١٩٨٥ لأخذ فرصته الثانية في مجال الافلام الروائية الطويلة وكان فيلم (يانكي) أو (مغامرات جديدة ليانكي في بلاط الملك ارثر) سنة ١٩٨٨. وهو فيلم ملحمي ـ اسطوري من نوع الخيالي أو فنتازيا معاصرة اعده بحرية تامة عن رواية قديمة جداً لمارك توين. كتب السيناريو بالاشتراك مع ميخائيل لوشتشيت وصوّره الكسندر باتوفيسكي وادوارد تملين وقام بالادوار الرئيسية فيه سيرغي

كولتبوكوف وايفدوكيا غيرمانوف والبير فيلدزوف والممثل ـ والمخرج الكبير الكسندر كايدونوفسكي مع اناستاسيا فيرتنسكايا وايفجيني ايفستنيف فلاديمير كاشبور ومارك غريس ابن المخرج فيكتور غريس وانتج الفيلم ستوديو دوفجينكو في كييف جمهورية اوكرانيا. . .

موضوع الفيلم لا يُلخص ببضعة صفحات فهذه محاولة فاشلة سلفاً ولا يمكن الاحاطة به في مقالة صحفية ـ نقدية واحدة فهو يستحق ان يَخصص له كتابٌ كاملٌ لدراسة وتحليل جوانبه الفنية والجمالية. لكني سأحاول ان أنقل انطباعاً أولياً رسخ في ذهني منذ مشاهدتي لأول مرة له بحضور مخرج الفيلم في عرض خاص نظمه له في ستوديو دوفجينكو لأني شاهدته بعد ذلك عدة مرات على الفيديو لكتابة دراسة نقدية ـ تحليلية طويلة عنه متخصصة بعض الشيء.

يبدأ الفيلم بعرض لطبيعة وعرة وقاسية مكونة من صخور وجبال ورمال وصحراء وذلك بلقطات عامة وبعيدة جداً، نرى في عمقها فرسان من العصور المندثرة يحاولون اخراج ناقوس ضخم مدفون تحت التراب. وفي مشهد لاحق بالغ الجمال والروعة ومصور بطريقة الرؤية السرابية المضببة ـ أي كما تبدو الأشياء غير واضحة كالسراب في الصحراء ـ لطائرة ضخمة لا نتمكن من تمييزها أول وهلة حيث تبدو كالوحش الكاسر الطائر في الجو تطلق صراخاً وخواراً موحشاً ومخيفاً كصراخ الديناصور وهي على وشك السقوط مصوّرة بالتصوير البطيء مثيرة عاصفة من الرياح القوية جداً مع غبار كثير، ثم نرى فارسين من القرون الوسطى يتصديان ببطولة نادرة ويائسة في نفس الوقت لهذا الوحش الفولاذي الطائر القادم من المجهول. وبعد ذلك في بلاط الملك ارثر تتوافد الاخبار بطريقة تراجيدية عن مصرع الفارس الاسطوري الشجاع لانسلوت لكنه يبرز أثناء طقوس التأبين من بين الجموع مثخن بالجراح.

لم ينج من كارثة سقوط الطائرة إلا «هانك مورغان» ـ مثل دوره بروعة واتقان وبكثير من الصدق سيرغي كولتاكوف ـ وكانت دهشته عظيمة عندما اكتشف انه موجود في بلد لا علاقة له بالحضارة التي يعرفها. بلد ليس فيه حدود جغرافية ربما يكون موجوداً بالتوازي مع عالمنا الحقيقي. انه عالم اسطوري ينتمي بشكله الظاهر للعصور الوسطى في عهد الاخلاقيات الفروسية والحقائق الخالدة. على الرغم من اصالة الشخصيات المعروضة سواء عن طريق الملامح الخارجية أو الملابس التي يرتدونها أو الديكورات التي يتحركون داخلها إلا اننا نرى بجلاء ان المخرج لم يهدف إلى اعادة بناء اجواء القرون الوسطى بل سعى إلى خلق ملحمة فنية خيالية لها معانٍ معاصرة ومغزى رمزي نبيل.

نتابع رحلة هانك مورغان في هذا العالم الغريب عنه عندما يتعرف بأمرأة فاتنة

الجمال هي ساندى حيث يربطهما خيط غير مرئي من الحب لكنها سرعان ما تختفي ليجد مورغان نفسه بين ذراعي الساحرة الجميلة مورغانا حيث يتخلى على الفور وبلا تردد عن معشوقته السابقة ويخونها مع هذه الساحرة المغرية.

الطائرة التي اجتاز بها مورغان حدود البعد الرابع للوجود أي اجتاز بها الزمن النسبي، باتت حطاماً من القرن العشرين تشهد على روعة تكنولوجيا هذا القرن وتقدمه العلمي الشكلي مع خوائه الاخلاقي والروحي. في كل فصل من فصول الفيلم يخرج من حطام هذا الركام الحديدي نوع جديد من الاسلحة الفتاكة اسلحة الابادة الجماعية من المسدس إلى آخر ما توصل اليه العقل البشري من اجهزة تدمير جهنمية حيث تتحول هذه الروعة التقنية إلى وخش خرافي مهلك لا يمكن لفرسان القرون الوسطى استيعاب سره أي إلى ان تتحول الطائرة في آخر الفيلم إلى قنبلة ذرية عند انفجارها في آخر الفيلم..

بعد محاولات لاستغلال هانك مورغان من قبل القائمين على الكنيسة وتقديمه باعتباره نبياً جديداً مرسلاً من أعماق الزمن لانقاذ البشرية ادخل هانك إلى بلاط الملك ارثر ليتعلم اصول واخلاق وفنون الفروسية لكنه يفشل في أول اختبار مبارزة مع أحد الفرسان الذي يتحداه ويقع صريعاً على عتبة الموت وفجأة نراه يدافع عن نفسه ويقتل خصمه باستخدامه لمسدس كان يخفيه تحت درعه كان قد جلبه معه من الطائرة. وبعد فشله في اسعاد وادهاش الملك ارثر بما يملكه من روائع حضارته المستقبلية، يقترح مورغان اجراء مبارزة استثنائية لا مثيل لها تخرج عن حدود المعتاد الذي يعرفونه، بينه وبين فرسان تلك الفترة مجتمعين ضده. وفي أروع مشهد من مشاهد الفيلم نرى التحضيرات لهذه المبارزة الخارقة حيث يتجمع الفرسان مع معرفتهم المسبقة بخسارتهم وموتهم الحتمي في هذه الجولة التراجيدية المقترحة عليهم لمعرفتهم بمدى فعالية اسلحة هانك الفتاكة والتي لا تستطيع سيوفهم ولا بسالتهم وشجاعتهم واخلاقهم ضدها شيئاً، إلا انهم يقبلون التحدي ثم نصل إلى لحظة المواجهة في واحد من أجمل مشاهد الفيلم وأروعها من كافة النواحي التنفيذية التقنية والجمالية (لون وحركة وتكوينات وتوزيع كتل وتوازنات وسينوغرافيا ومؤثرات صورية وصوتية اذ يمكن اعتباره وبلا مبالغة أحد أفضل المشاهد السينمائية في السينما المعاصرة).

يتقدم الفرسان بحركة دائرية ذات طقس مُنظّم رغم انهم يعرفون سلفاً ان دروعهم لا يمكن ان تحميهم من نيران المدفع الرشاش الذي حمله هانك مورغان من بطن الوحش الفولاذي الجاثم بعد ان استبدل ملابسه بملابس القرن العشرين (الجينز والنظارة الامريكية والترانزيستور) إلا ان الفرسان لم يترددوا أو يخافوا أو يساوموا أو ينسحبوا. ويخونوا اخلاقهم الفروسية العظيمة ويستمرون في التقدم بخطى ثابتة حتى يحاصروه بعد ان نفذ رصاصه

وذخيرته ليلجأ محتمياً بحطام الطائرة، وفي محاولة يائسة لافزاعهم يضغط على زر لم يكن يعرف هو نفسه ما فيه واذا بالطائرة تنفجر ويتحول انفجارها إلى انفجار قنبلة ذرية.

من الشخصيات التي لا تنسى في هذا الفيلم شخصية الفارس النبيل لانسلوت وهي مهمة جداً لفهم احداث وتطورات احداث الفيلم ومغزاه فقد كان في المقدمة اثناء هبوط الطائرة وكان الوحيد الذي تصدى لها وقاومها بشجاعة خارقة ثم قبع في الظل بعد ان كان (نجم الفرسان وأشهرهم) وذلك أثناء صعود نجم هانك مورغان لكنه بقي البطل الاصيل الـذي لا يمكن استبـدالـه بأي غريب مهمـا كانت قدراتـه. كان لانسلوت (الكسنـدر كايدونفـوسكي) مسكـونـاً بحلم العثـور على ناقوس ضخم جداً وقديم جداً مدفون في الصحراء (أماكن التصوير غاية في الجمال) الوعرة المحاطة بالجبال الصخرية. وحسب ما تقول الاسطورة فانه بمجرد سماع دقات هذا الناقوس يسترد الأعمى بصره ويتكلم الابكم ويسمع الاطرش وكل من لديه عاهة تشفى ويتفاهم البشر فيما بينهم إلا ان أول دقة منه تكلف البطل الذي يعثر عليه حياته ثمناً لذلك ويكون هذا البطل هو لانسلوت الذي نراه في أول الفيلم وهو يبحث عن الناقوس حيث كرس حياته لهذا الهدف الانساني الرائع وفي آخر الفيلم نراه يعثر عليه ويدقه ويقدم حياته قرباناً لعمله هذا.

د. جواد بشارة ـ كييف

لقاء مع فيكتور غريس

بعد العرض الخاص الذي نظمه المخرج لفيلمه (يانكي) و (الدجاجة السوداء) في صالة عرض ستوديو دوفجينكو اقترحت على المخرج اجراء مقابلة سريعة معه ليحدثنا عن رؤيته السينمائية في فيلميه. وقد قام الزميل المخرج ليث عبد الامير بالترجمة مشكوراً.

ـ الفيلم اقتباس عن رواية للكاتب مارك توين هل تعتقد انك وفقت في عملية الاعداد السينمائي لها وهل تتخيل انه لو كان على قيد الحياة لاعجبه ما قمت به؟

ج ـ لا اعتقد ان الكاتب الامريكي سيلومنا على اقتباسنا الحر كثيراً لروايته أو لاثره الفني الكبير. ففي نصه الجميل يستخدم مارك توين طريقة خيالية فنتازية حيث يقوم بنقل مواطن امريكي معاصر لزمنه من ولاية كونيكتيكوت إلى انجلترا القرن السادس عشر في

بلاط الملك ارثر حيث يبرز الكاتب تفوق هذا العالم على الخرافة وتفوق التفكير الحر على الظلامية. أما في فيلمي فهناك أيضاً ماكنة لاجتياز الزمن واختراق العصور حيث يجد أحد سكان عصرنا الحالي أو عالمنا المعاصر نفسه في مملكة الملك ارثر. وبعرضنا لرحلته لا يمكننا ان نتجاهل مضي زمن طويل جداً بين صدور الكتاب وزمن اخراج الفيلم أي ما يقارب القرن من الزمن. مما أتاح لنا ان نرى الكثير من الجوانب الايجابية لهذه الظواهر وأكثر منها الجوانب السلبية. فعرفنا مثلاً ان التيار الكهربائي الذي يضيء منازلنا يمكن ان يوصل باسلاك شائكة تقمع الانسان وتمنعه من التحرك والتنقل. وان كل عقلية أو ذهنية استبدادية تقود إلى بروز جميع انواع أو انماط النظريات المبغضة للبشر وفي الفيلم أقدم عدداً من وجهات النظر عن حضارتنا وطريق تطورها في المستقبل.

ـ من الواضح ان اجواء القرون الوسطى تستهويك وان المخيلة الانسانية تهمك كثيراً لذا فان شخصياتك السينمائية ومواضيعك كلها مستوحاة ومستنبطة من وحي الخيال.

ج ـ الانسان ذاكرة الوجود الحية ولا قيمة للزمن بدون ان ينسخ ويُدوّن في ذهن هذا الانسان الذي يتساءل دائماً عن ماضيه وعن اصله وسر وجوده وعن حاضره وتطوره وعن مستقبله وما سيكون عليه. الواقع الآني وحده لا يسعفنا بتقديم اجابات ولا يكفينا لتقديم تفسير ولو نسبي لكل هذه التساؤلات.

ـ عالمك قريب من عالم اكيرا كيروساوا خصوصاً في فيلمه كاغاموشا من حيث الاجواء والديكورات والملابس والاحداث.

ج ـ ربما. هذا فخر لي ان اقارن أو اذكر إلى جانب مخرج مبدع من وزن كيروساوا لكنني لم اشاهد فيلمه بل سمعت عنه وسمعت أيضاً انه كان انتاجاً ضخماً ومكلفاً جداً فقد كلّف حوالي العشرين مليون دولار على الأقل.

ـ وما هي تكاليف فيلمك الذي لا يقل عنه روعة بل ويضاهيه بكل شيء؟

ج ـ قد لا تصدق لو قلت لك انه كلف مليون روبل أي عشرة آلاف دولار تقريباً لو حسبنا قيمة الروبل في السوق الغربية أي أقل من راتب عامل في استوديوهات هوليود لفيلم واحد. ولكن ليست هذه هي المشكلة. الأهم في الأمر هو الجو الذي نعمل فيه.

ـ ما هي الصعوبات التي واجهتك اثناء عمل الفيلم؟

ج ـ اولها الصعوبات البيروقراطية فقد قطعوا عني عدة مرات الميزانية بحجة انني تجاوزت كثيراً ما كان محدداً لي في الأصل (أقل من مليون روبل بكثير) وثانياً الصعوبات التقنية: قِدَم واستهلاك الاجهزة ورداءة الافلام الخام وبطء الاستوديو والمختبر ورفض التقنيين تصوير بعض المشاهد الخطرة مما اضطرني إلى تصويرها بنفسي ادخلت اثرها إلى المستشفى عدة مرات وأخيراً اصبت بانهاك وانهيار عصبي نقلوني على اثره إلى مستشفى

الامراض النفسية. وأكثر من هذا كله فترة الانتظار الطويلة بين فيلم وآخر ثم فترة انتظار خروج الفيلم جماهيرياً بعد الانتهاء من تصويره.

- من هم المخرجون الذين تعتبرهم قدوة وتفضل عوالمهم.

ج - من السوفييت أحب بارادجانوف وتاركوفسكي بالطبع. من المخرجين العالميين احب بيرغمان وبازوليني وغيرهم كثيرون لا أذكر اسماءهم. هل تعرف اننا قبل البريسترويكا لم نكن نشاهد إلا نادراً افلام هؤلاء المخرجين العالميين الكبار وحتى الآن لم نشاهد الكثير من افلامهم ناهيك عن افلام الشباب الجديدة في اوربا وامريكا...

- ما هي مشاريعك المستقبلية؟

ج - لدي عدة مشاريع ليست أكيدة فلم احصل لحد الآن على اجازة تمويل وتصوير أي منها لدى مشروع فيلم تلفزيوني طويل على عدة حلقات وأحب كثيراً ان أخرج للسينما ملحمة جلجامش لاني مفتون بها كثيراً وقرأت عنها وثائق كثيرة جداً... ولدي تصور جمالي واخراج خاص لها اعتقد بانها ستكون فيلماً عظيماً لو اتيح لي فرصة اخراجها للشاشة.

- هل يهمك ان تكون عالمياً ومعروفاً على الصعيد السينمائي الدولي؟

ج - ليس هذا من اهدافي واهتماماتي لكن يسعدني جداً ان تعرض افلامي في أكبر عدد ممكن من الدول ويشاهدها أكبر عدد ممكن من المشاهدين لكنني لا أعمل افلاماً احدد لها هذا الهدف مسبقاً. اعمل الافلام التي تضغط علي وتعجبني وفي هذا المجال لا اساوم ولا اتنازل.

- لو قدم اليك عرض في اخراج فيلم في الغرب ماذا سيكون ردك؟

ج - الجواب بديهي لا أحد يرفض مثل هذه الفرصة ولكن ليكن بعلمك اني لا أقبل ان أعمل فيلماً هناك إلا بشروطي أي ان اختار أنا بنفسي موضوعي وفريق عملي واسلوب الاخراج وما عليهم سوى توفير الميزانية المطلوبة.

- هل لديك نظرية اخراجية خاصة بك وهل للنظريات السينمائية الجمالية تأثير على جمالياتك الاخراجية؟

ج - ليست لدينا كتب نظرية كثيرة عن السينما وكلها قديمة منذ عهد ايزنشتين. ونادراً ما تترجم كتب نظرية سينمائية كتبت بلغات أخرى. نحن نكون مفهومنا السينمائي من المشاهدات وان كانت نادرة ومن بعض الكتب المتوفرة ومن الافلام السوفييتية العظيمة التي اخرجها العباقرة الكبار على مدى تاريخ السينما السوفييتية...

- طرحت عليك هذا السؤال لأني أعرف انك تدرس الاخراج السينمائي لطلابك في معهد كييف للسينما.

ج ـ نعم لكني ادرس وجهة نظري الخاصة ورؤيتي السينمائية الخاصة كما افهمها واطبقها في افلامي وهم احرار في تقبلها أو رفضها لكن طلابي قريبون من عالمي ويحبون طريقتي في عمل الافلام وما عليك سوى مشاهدة افلام التخرج لتكون لديك فكرة عن ذلك.

ـ هل تتدخل في عمل التقنيين (المصور ومدير التصوير ومهندس الديكور) أم تكتفي بكتابة السيناريو أو المشاركة بالكتابة والاكتفاء بالاخراج؟

ج ـ كل تفصيل فني في الفيلم هو جزء من الاخراج يكلف المخرج به شخصاً كفوءاً ومتخصصاً آخر لتنفيذه حسب تعليماته وإرشاداته، إن أيّ اختصاص من اختصاصات العمل السينمائي يجب ان يكون لي رأي فيه وفي طريقة تنفيذه ومن ثم اترك الحرية للتقني في تنفيذه حسب خبرته وتجربته بعد ان نتفاهم على الأمور المبدئية. واتفرغ أنا عند ذلك للممثلين والادارة العامة للتصوير. . .

ـ شكراً على هذه المقابلة السريعة أرجو ان نرى مستقبلاً افلامك ونتحدث عنها باسهاب.

اجرى المقابلة في كييف د. جواد بشارة

متحف آنا اخماتوفا

كيف يعيد الشعب تركيب شاعرته!

اخيراً تم اللقاء. ولم نتحدث في خفوت مثلما في الماضي، بل عبرنا، بكل وضوح، عن حُبّنا لآنا اخماتوفا، اولغا بيركولتز، بوريس باسترناك، أوسيب ماندلستام، نيقولي غوميلييف، فلاديسلاف خوداسفيتش. . . نعم، فما جدوى البحث عن المبررات؟ لقد انقضى بعض الوقت قبل ان نعلن ذلك، وكان علينا ان نقوله من قبل، حتى لا نخجل من صمتنا الطويل. ولكن لنشكر بعضنا البعض اننا لم ننس شيئاً، لم نخن احداً، وعلى اننا بقينا مخلصين لوعينا من اجل الاستمرار في الحياة حتى نؤدي ما علينا من ديون.

واحدٌ من هذه الديون يتمثل في جمع مغلفات آنا اخماتوفا الموزعة على بيت الشاعرة، البيت التاريخي في لينينغراد، في قصر الكونت شيريميتييف القديم، الذي

استضاف ما لا يُحصى من المعجبين بفن اخماتوفا . هنا عاشت الشاعرة ايامها الاكثر جمالاً ومأساوية . في هذا البيت شرعت في كتابة عملها الذائع الصيت (قداس)، الذي لم ير النور حتى عام ١٩٨٧ . ومن هنا كانت تزور سجن كريستي بذاكرة حزينة، حاملة الطعام الى ابنها ليف غوميلييف البريء، المحكوم عليه ظلماً. من هذه السنوات المريعة بقيت هذه السـطور الابدية : «كنت، اذن، مع شعبي حيث حتّم سوء الحظ على شعبي ان يكون . » . وبعدئذ ستكتب: «ليس لدي أي تحفظ تجاه هذا البيت الرائع . لقد حدث انني طوال حياتي تقريباً، عشت تحت سقف قصر فونتانو. بائسةً دخلته وبائسةً غادرته . » .

منذ امد بعيد حلم الناس بهذا القصر. حالياً نتألم اذ نتذكر اول من استولى على هذه التحفة التي جمعت آلاف المهتمين بإرث اخماتوفا الشعري، ومنْ جميع شعراء «كوكبة العشرينات» مَنْ قاسمه مصيره المر الغريب .

انـنا ـ ولا بد من التصديق ـ امام ظاهرة خاصة، أو حالة نادرة خلقها اصرار الشعب . حيث لا يهم فقط «من قال»، بل وكم من الناس امسكوا بالكلمة، وكم من الانصار كان لها .

إلا انهم كانـوا كثيرين . وواضـح ان هنـاك، دائمـاً، وجـوداً لاشخـاص قامـوا باستطلاعاتهم حتى في السنوات التي لم نكن نفكر فيها دون ان نرتعد . وعلى الرغم من ان اصواتهم لم تكن مسموعة وقتئذ، فهي اليوم، وصلتنا في كلية صراحتها، وعلى سبيل المثال صوت الكاتب بانتوليس : «كلاسيكية، استاذة في الشعر، وطنية كبيرة يشيد بها اكثر من جيل من القراء، اخماتوفا تستحق تذكاراً يرصع مدينتنا . » .

على مدى اكثر من عشرين سنة، وبجهد خارق، جمع سيرغي اوتنيكوف مادة هامة عن الشاعرة، فضلاً عن الاشياء التي لها صلة بمدينة بتْسَارْسْكِي سِيلِي التي ظل يقطنها دائمـاً . وبعـد تقـاعده، تفرغ أوتنيكوف، كلياً لقضية شاعرته المفضلة . والحق ان هذا الشخص يستحق، اكثر، من لقب بطل؛ بالنظر الى ان نشاطه الوحيد قد انطلق في زمن لم يُعط فيه الامر، بعدم، بقدر تحريم اعمال الشاعرة . وكثيرون كانوا يخشون، وقتئذ، ان يلهجوا، في الغالب، بأبياتها، بل وحتى باسمها .

سيرغي اوتنيكـوف وزوجتـه فالـونتينـا فينكـوفسكـايا جمعا كتباً نادرة، معلومات، صوراً . . . كما ظهرت، ايضاً، دائرة متحمسة من الاصدقاء، متحدية المنع : المهندسة كالينـا غينسـروفسكـايا، المترجم الكسندر شوشكو، الطبيب العسكري مارك غوردون، الفنـانـة الـرسامة فانيا فيزواتينسكايا، استاذة الموسيقى لاريسا روزكو، المهندس يوري كروتوف، علاوة عن آخرين عبروا عن مشاركتهم في صيانة الارث الابداعي للشاعرة .

في السكن الوحيد لاوتنيكوف ـ حيث وُجد، بغرابة، مكان لآلاف القطع ـ تُستقبل

المعلومات بفرح دائماً. والى هنا يفد المعجبون بآنا اخماتوفا من المدن المجاورة: من كويبوشيف، نوفوغوسيسكي، كراسبارسيك، كانافا روسك، ألما آتا. . .

في السنة الماضية، حيث ايدت ادارة لينينغراد للشؤون الثقافية فكرة انشاء المتحف في منزل الفورتانيكا، توجه سيرغي اوتنيكوف برسالة الى الاكاديمي ديمتري ليخاتشيف: «بيروقراطيون قاموا بكل محاولاتهم للحيلولة دون انشاء المتحف في شارع فونتانكا، أو على الاقل من اجل تأخير التدشين. لكن بشيء من الحزم يمكننا النجاح في التدشين. . . كل ما حصلته عن اخماتوفا اتعهد بان اضعه، دون مقابل، بين يدي المتحف بمجرد الشروع فيه.».

في مئات الرسائل المتوافدة على الادارة البلدية للشؤون الثقافيةنقرأ الترقب القَلِق لفتح المتحف. كما يُعاد التذكير بالتاريخ القريب ليوم ميلاد الشاعرة المعلن عنه من طرف اليونسكو (عام ١٩٨٩ اعتُبر سنة الشاعرة الدولية ـ المترجم). ان العالم كله يعرف الشاعرة، في حين لا وجود لمتحف أو لاي نصبٍ أو حتى نحت ثابت، تخليداً لآنا اخماتوفا، كما ان اسمها ليس مكتوباً ويُلهج به وحسب، وخيال تقاسيمها الساحرة يبدو، فقط، في ماء (نيفا) الهارب. ولا شيء اكثر.

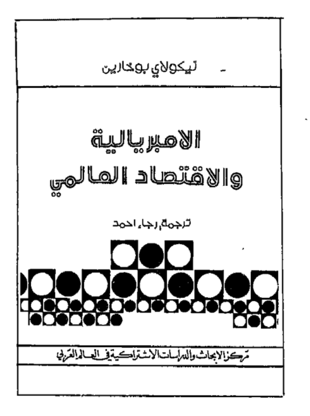
ان حصول المتحف، الآن، على عنوان حقيقي، انما هو تعبير عن نفاد صبر الناس الراغبين، بأقصى ما يمكن من السرعة، في رؤية نتيجة الجهود المشتركة والانتظار الطويل. كما لايزال يُعبر عن الخوف من ان لا يتحقق شيء من كل هذا، كما يحدث عادة. ولدرء ذلك سارع الناس الى وضع اللبنات بأنفسهم، دون انتظار الامر والتحديدات الرسمية. وتم احياء التقليد الروسي القديم الذي طاله النسيان خطأ؛ تقليد التبرعات. وتم القيام بذلك في الامسيات الخيرية. كما انه بمجرد سماع ان العمل سيتم على تدشين متحف على نهر نيفا، تم ارسال النقود على الحساب ٧٠٢ الحامل لسجل ادارة الشؤون الثقافية السوفييتية لبناء متحف اخماتوفا. هكذا، اذن، وبمناسبة تخليد ذكرى ميلاد الشاعرة، سوف يُدشن القسم الاول من المتحف/ سكن اخماتوفا في الجناح الذي شغلته الشاعرة، وملحق حديقة القصر القديم شيريمتييف. ان اصرار الشعب يسنده مجلس السوفييت لمدينة لينينغراد قد تم الاعتراف به كعمل للدولة.

لقد انتظرنا طويلاً هذا اليوم. ونحن نعلم ان منزل الفونتانكا، حيث يمكننا زيارة الشاعرة، هو تخفيف عنا جميعاً.

تايا بلوشيكوفا

ترجمة (بتصرف) عبد الرحيم حزل

الآن في الأسواق







السعر دينار ونصف